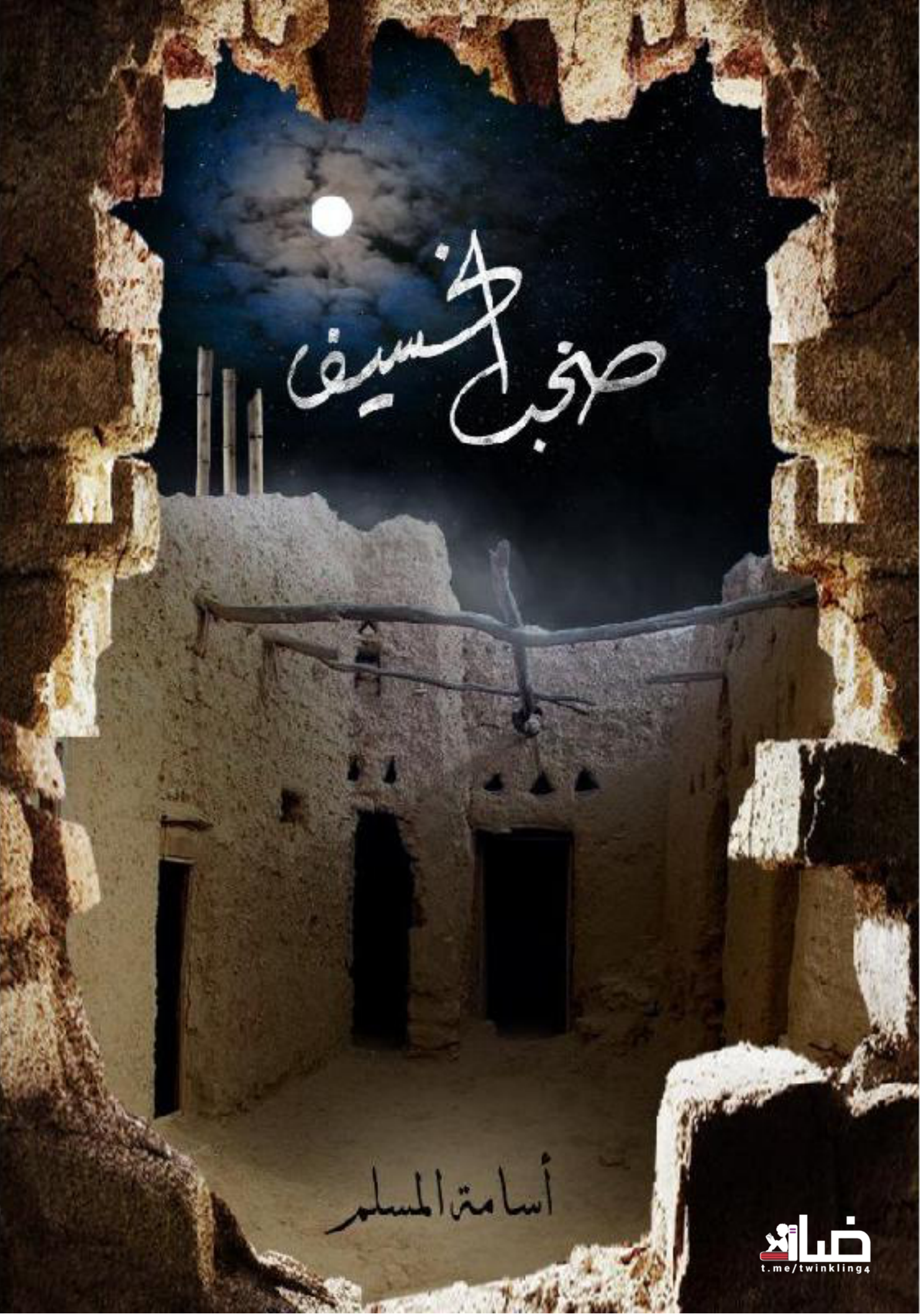

صخب الخسيف
أسامة المسلم
t.me/twinkling4

صخب الخسيف ااا

ح مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المسلم، أسامة محمد
صحب الخسيف - الجزء الثالث. / أسامة محمد المسلم - ط ٣ - الدمام، ١٤٤١هـ
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٩٩-٥٢-٤
١- القصص القصيرة العربية - السعودية   أ. العنوان
ديوي ٨١٣,٠١٩٥٣١   ١٤٤١/٧٨٧٥
رقم الإيداع: ١٤٤١/٧٨٧٥
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٩٩-٥٢-٤

مصمم الغلاف: @shathahvd

مسؤول النشر:
للتواصل
0597777444

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع
الموقع الإلكتروني:
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

المملكة العربية السعودية - الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة   مكتبة الأدب العربي   00971569767989

جمهورية مصر العربية   مركز الأدب العربي   00201120102172

صخب الخسيف III

(مجموعة قصصية)

الروائي

أسامة المسلم

@osamahalmuslim

@osamahalmuslim

Komontage

الطبعة الثالثة

١٤٤٣ هـ – ٢٠٢٢ م

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ميساء طه.
أشرف غالب.

إن سمعت صوتاً غريباً خلال القراءة.

فحاول قدر استطاعتك تجاهله . .

ومهما حدث . . لا تلتفت وراءك . .

ما نفع الحرية في هذا العالم وأنت حبيس رأسك..؟ ..

حبيس الأوهام.. أوهامك عن الحقيقة.

غشاوة سميكة تحكم قبضتها على أبصارنا ومعظمنا

يرفض ويدفع كل من يحاول الاقتراب منا لإزالتها..

حتى بتنا في عمى.. نفق أسود نصبنا فيه الخيام ولا ننوي

الرحيل عنه في وقتٍ قريب.

أسامة المسلم

الشمعة المشتعلة في حالة احتضار دائــم ..

المَنْدَل

عادت (هلا) لمنزلها مساءً من السوق بعد ما اشترت كمية من الشمع الأبيض الخام ومجموعة من القوارير الصغيرة حوت بداخلها أنواعاً مختلفة من الزيوت العطرية بالإضافة لقارورة متوسطة الحجم من الجلسرين. اقتنت معها أيضاً علبة كبيرة من أقلام الباستيل الملونة. كل ذلك لتمارس هوايتها المحببة لقلبها وهي صناعة الشموع بأشكال وأحجام وألوان مختلفة. لتمارس هوايتها المحببة لقلبها وهي صناعة الشموع بأشكال وأحجام وألوان مختلفة. بدأت (هلا) في إعداد قوالب الشموع والقدر الذي ستستخدمه لإذابتها وخلط الشمع الخام قبل إضافة كسرة من القلم الملون للخليط حسب حاجتها ليكتسب الشمع درجة اللون الذي تريده. كان ذلك نهاية الأسبوع وبما أن اليوم التالي إجازة سهرت (هلا) الليل بطوله حتى تجاوزت الساعة الواحدة فجراً وهي منهمكة في إعداد تلك القوالب ووضعها تباعاً في البراد لتجمد وتتخذ الشكل الذي تريده. جلست على الأريكة وهي منهكة بعد ما غسلت يديها وأعدت لنفسها كوباً من الشاي الأبيض لتستريح بعد ذلك المجهود في تلك الليلة الشتوية الباردة والطويلة، وخلال استرخائها انتبهت لعلبة الألوان الشمعية التي استخدمتها لتلوين قوالب الشموع ولاحظت أنها استخدمت جميع الألوان في العلبة عدا لوناً واحداً .. الأسود.

ابتسمت وقالت محدثة نفسها: «لم أصنع شمعة سوداء من قبل..»

نهضت من مكانها حاملة كوب الشاي بيدها اليمنى وباليسرى التقطت علبة الألوان وتوجهت للمطبخ حيث كان القدر الذي تذيب فيه الشمع الخام لا يزال على الموقد. وضعت الكوب على طرف المنضدة بجانب الفرن وأخرجت القلم الأسود ورمت به في وسط القدر وأشعلت النار من أسفله. أفرغت بعض قطع الشمع الأبيض من الكيس فوق القلم الأسود وبدأت تقلب القطع حتى ذاب القلم والشمع وامتزجا مكونين خليطاً مائلاً للون الرمادي. لم يرق لها لون الخليط وأرادت أن يكون سواده أكثر حُلكة فتوجهت لغرفتها وبحثت بين أدوات التجميل الخاصة بها وأحضرت كل شيء حمل صبغة سوداء من كحل وغيره وأفرغتها في القدر وعاودت التقليب حتى ذابت واندمجت مع الشمع الرمادي وأصبح لونه أسود حالكاً. ابتسمت (هلا) عندما انتبهت أن شعرة صغيرة تطفو فوق الخليط وأوعزت ذلك لمساحيق التجميل السوداء التي أفرغتها في القدر وأنه لا بد أن أحدها حمل شعرة من أهدابها انتهى بها المطاف في خليط الشمع الأسود.

مدت يدها لتأخذ كوب الشاي وهي لا تزال مبتسمة وعيناها على الشعرة الطافية فوق سطح الخليط فدفعته بظهر يدها من فوق طرف المنضدة دون قصد ليسقط على الأرض ويتهشم لقطع صغيرة. نزلت على ركبتيها على عجالة وبدأت بالتقاط قطع الزجاج الصغيرة بحذر لكن حذرها لم يمنع من أن يجرح طرف سبابتها العلوي عندما التقطت قطعة زجاجية حادة. وقفت (هلا) ووضعت أصبعها في فمها وامتصّته في حركة لاشعورية وقبل أن تطبب جرحها بضماد سمعت صوت فقاعات الغليان يأتي من القدر فأدركت أنها تركت الخليط فوق الموقد أكثر من اللازم فهرعت وأطفأت النار ومدت يدها التي بها الأصبع المجروح وأخرجت الملعقة الخشبية التي قلبت بها الخليط وأصبعها لا يزال ينزف فسقطت نقطة دم في الوعاء دون أن تنتبه.

بعد أن لفت (هلا) إصبعها بضمادٍ طبي مخصص للجروح البسيطة عادت للمطبخ وحملت القدر قبل أن يبرد محتواه وسكبت الخليط الأسود في قالب كروي صغير وثبتت الفتيل الخاص بالشموع وسطه مستخدمة مشبك غسيل خشبياً ثم وضعته مع بقية الشموع الأخرى في البراد. مع دخول الشمعة السوداء في الثلاجة انتهى يوم (هلا) المرهق في ممارسة هوايتها وتوجهت لغرفة نومها في الطابق العلوي من منزلها وألقت بنفسها على فراشها وخلدت للنوم مباشرة. لم تمضِ ساعات قليلة حتى استيقظت مفزوعة قبل الثالثة فجراً بدقائق قليلة على صوت طرقات قوية آتية من مطبخها. جلست على طرف سريرها وانتعلت خفيها الناعمين ووقفت وهي تلف حزام روب نومها حول خصرها قبل أن تسير ببطء وحذر شديد خروجاً من غرفتها نحو السلالم المؤدية للطابق السفلي في جو شبه معتم.

في بادئ الأمر لم تتيقن (هلا) أن الصوت آتٍ من المطبخ لكنها تيقنت من ذلك عندما تكررت الطرقات القوية وهي في منتصف السلالم نزولاً. بعد تسمرٍ لم يدم طويلاً عاودت السير نزولاً وظهرها ملتصق بالجدار وعند وصولها للطابق السفلي مدت يدها لقابس النور القريب منها وأدارته لكن الإضاءة لم تعمل. كررت المحاولة أكثر من مرة دون جدوى لذلك اضطرت للتوجه للثلاجة في المطبخ متجاهلة الصوت الذي اعتقدت أنها سمعته وقامت بإشعال شمعة حمراء لتفحص المطبخ والبحث عن مصدر الصوت لكنها لم ترَ شيئاً يثير الريبة وبعد تحققها من خلو المكان من أي شيء خارج عن المألوف بدأت تشعل شموعاً أخرى كي توزعها في غرف الطابق السفلي ريثما تعود الكهرباء المقطوعة.

من ضمن تلك الشموع التي أشعلتها (هلا) تلك الشمعة السوداء وخلال توزيع الشموع بشكل عشوائي في الغرف قامت بوضعها في غرفة المعيشة

على الطاولة أمام الأريكة وفوق التلفاز وضعت شمعة زرقاء. جلست (هلا) على الأريكة في انتظار عودة الكهرباء للمنزل ونظرها موجه للشمعة السوداء تارة وللزرقاء تارة أخرى حتى استقر الحال بها بأن تسرح في لهب الشمعة السوداء الذي اختلف قليلاً عن بقية الشموع في حركته و توهجه.

الهدوء كان صارخاً في المكان لدرجة أن (هلا) تمكنت من سماع صوت احتراق وذوبان الشمعة وصرقعات فتيلها البسيطة جداً من وقت لآخر ولم ينكسر الهدوء إلا عندما سمعت صرير أحد أبواب المنزل وهو يتحرك لأقل من جزء من الثانية كان كفيلاً بأن يبدأ قلبها بالخفقان بقوة شديدة غطت على صوت أي شيء آخر. تجمد الدم في عروقها وتسمرت (هلا) في مكانها وضاقت أنفاسها وأخذت تتنفس بسرعة وكان شهيقها وزفيرها في ذلك الهدوء كصوت ريح قوية عصفت بالمكان. حاولت طمأنة نفسها بأن الوهم بدأ يتمكن منها وقررت إمضاء الوقت بالعبث في هاتفها النقال حتى تعود الكهرباء للمنزل. وضعت (هلا) يدها على جيبها فتذكرت أن هاتفها لا يزال بجانب سريرها فحملت الشمعة السوداء بيد وحمت لهبها باليد الأخرى واستدارت نحو باب غرفة المعيشة المفتوح وفي تلك اللحظة لمحت ما بدا لها كرجل يخطف بسرعة من أمامها. كان ذلك المشهد السريع كفيلاً بأن يدفعها للخروج من المنزل جرياً لكنها تمكنت بطريقة ما من إقناع نفسها بأنها تتوهم وأن كل ما تراه هو بسبب توترها الشديد من الظلمة واستأنفت السير نحو السلالم ومن ثم الصعود للأعلى نحو غرفتها. عند وصولها لغرفة النوم وجدت أن الباب مغلق فقالت محدثة نفسها باستغراب شديد:

«لا أذكر أني أغلقت الباب .. »

مدت (هلا) يدها لتدير المقبض وما أن لمسته حتى أحست بأنه ساخن ولكن ليس للدرجة المحرقة مما أثار استغرابها لكنه لم يمنعها من فتح باب الغرفة والتقدم أكثر. دخلت الغرفة وتوجهت مباشرة للمنضدة بجانب سريرها حيث تركت هاتفها مستعينة بالضوء الصادر من الشمعة السوداء التي حملتها وبعد ما تناولت الهاتف وهمت بالخروج رأت منظراً أثار رعبها. رأت أن لحافها بارز وكأن هناك من ينام في فراشها وأخذت يدها الحاملة للشمعة بالارتجاف لكنها لم تصرخ أو تحدث أي صوت وبدأت بالتراجع للوراء ببطء نحو باب الخروج وعينها منصبة على من ينام على فراشها مغطى بلحافها.

عندما استقرت خارج الغرفة وبدأت معالم سريرها تختفي لابتعاد ضوء الشمعة عنه وقبل أن تستدير نحو السلالم للهرب خارج المنزل رأت بشكل مشوش وغير واضح ما كان مستلقياً على فراشها ينهض وينزل من سريرها ويقف بجانبها. كان ذلك كافياً كي تصرخ وتلقي بالشمعة والهاتف على الأرض وتجري نزولاً للطابق السفلي وهي تصرخ بجنون مما أدى لأن تزل قدمها وتسقط وتتدحرج أسفل الدرج.

لم تفقد (هلا) وعيها لكن رأسها كان يؤلمها بشدة وأحست بغثيان شديد ورغبة في التقيؤ وخلال محاولتها الفاشلة في النهوض من المكان شبه المعتم في قاع السلم سمعت باب غرفتها يغلق بقوة تبعه صوت خطوات تدب وتنزل بسرعة لشخص يقترب منها نزولاً على السلالم. وجدت الفتاة المصابة نفسها في موقف نهايته حتمية وهي أن ذلك الغريب في منزلها سوف يتمكن منها خلال ثوانٍ فبدأت بالزحف رغم الآلام الشديدة في ساقها وظهرها نحو باب المنزل الرئيس وهي تئن وتصرخ ولم تنظر خلفها. قبل أن تصل اشتعلت الأضواء في المكان فالتفتت خلفها بسرعة بوجه

متعرق ومتوتر لترى زوجها الذي كان مسافراً خارج المدينة ويده على مقبس الإنارة الذي أداره للتو وهو ينظر إليها بتعجب قائلاً:

«ما بكِ؟.. لمَ تصرخين هكذا؟»

(هلا) وهي تتنفس بثقل وبحديث متقطع ومشوش:

متى عدت؟!.. أليس من المفترض أنك ستعود غداً؟!

أخذ زوجها بضع خطوات نحوها بوجه باسم قائلاً: هل أخفتك؟

(هلا) بتجهم وسخط: بل أرعبتني!!.. لم تسللت هكذا؟!

الزوج يبتسم ويمد يده ويعاونها على النهوض قائلاً:

أنا لم أتسلل.. ظننت أنكِ نائمة ولم أشأ إيقاظك

(هلا) وهي تدفعه بغضب:

وعندما أويت للفراش ولم تجدني!.. ألم يثر ذلك شكوكك؟!

ضحك الزوج من غضب زوجته وقال:

اعتقدت أنكِ في دورة المياه أو شيء من هذا القبيل.. ما الأمر؟!.. لِم كل هذا الغضب؟

تجاهلت (هلا) زوجها وأخذت تعرج بسبب كاحلها الملتوي من أثر السقوط وبدأت تصعد للطابق العلوي.

راقبها الزوج وهي تصعد وقال: «إلى أين؟»

(هلا) دون أن تلتفت إليه أو تتوقف:

لأنام!.. يكفي ما حدث لي اليوم بسببك!

التقطت (هلا) هاتفها النقال الذي وقع منها ودخلت غرفة النوم وخلدت لفراشها مباشرة وغطت نفسها باللحاف وخلال دقائق أحست بدخول زوجها الغرفة وقيامه بالاستلقاء بجانبها بصمت. بعد هدوء لم يدم طويلاً شعرت (هلا) بأنها بالغت في ردة فعلها وأنها قست على زوجها فقالت:

«أنا آسفة.. لم أقصد ماقلته ..»

لم يرد الزوج عليها لكنها سمعته يزفر بقوة..

(هلا) بنبرة نادمة من تحت الغطاء:

«أعرف بأنك غاضب.. سوف أراضيك في الصباح.. لننمِ الآن.. »

صوت منبه وصول رسالة جديدة على هاتف (هلا) الذي وضعته بجانب مخدتها عندما أوت للفراش..

تفتح الرسالة.. تقرأ مضمونها:

«صباح الخير عزيزتي.. لن أتمكن من الحضور غداً لأن رحلتي قد تم تأجيلها.. لا تقلقي سأكون في المنزل بعد الغد صباحاً... »

مهما كانت إرادتك قوية فلن تستطيع دائماً هزيمة غرائزك البشري...

الرمق الأول

امرأة تعد كوباً من القهوة في مطبخ منزلها..

تضع ثلاثة مكعباتٍ من السكر وهي تتمتم بأغنيتها المفضلة..

تقلب بملعقة صغيرة محتوى الكوب بهدوء..

تحمل الكوب ذا الأبخرة المتصاعدة وتسير نحو غرفة المعيشة..

يسقط كوب القهوة من يدها وهي تشاهد خادمتها المنزلية تقف فوق جثة زوجها وأطفالها الثلاثة المذبوحين والغارقين في دمائهم..

تندفع مسرعة نحوها وتطبق على رقبتها وتطيح بها أرضاً وتبدأ بخنقها..

بعد صراع لم يدم طويلاً فارقت الخادمة الحياة..

ترفع كفيها من على رقبتها وهي تتنفس بثقل..

تنهض وتسير عائدة للمطبخ لتعد لها كوباً آخر من القهوة وهي تقول:

«كيف نسيت وجودها بالمنزل.. كادت تلك الحمقاء تكشف أمري..»

البشر «الطبيعيون»..

تصرفاتهم غريبة..

الروحاني

أول يوم في إجازة نهاية الأسبوع..

هاتف نقال يرن على منضدة..

يستمر بالرنين دون توقف ويهتز على السطح متحركاً نحو حافته..

قبل أن يقع الهاتف على الأرض يلتقطه صاحبه بيد مبللة ويجيب ..

- نعم..

- كيف حالك؟

- أهلاً.. الحمد لله بخير

- أين كنت؟.. لم تأخرت بالرد؟

- كنت أستحم.. لمَ تحققين معي؟

- أنا متحمسة فقط لأعرف ما حدث.. هل نفذت ما قلت إنك عاقد العزم على القيام به؟.. أرجوك.. لا تخبرني أنك تراجعت كعادتك يا (أحمد)

(أحمد): تقصدين التقدم لخطبة (وفاء)؟

- نعم؟.. ما الذي حدث؟ .. هل أقول مبارك؟

(أحمد) بخيبة: لا.. لا تقوليها يا (لجين).. والدها لم يوافق على ارتباطي بها

(لجين): لماذا؟.. ما حجته؟.. أنت شاب مقتدر ولا ينقصك شيء!

(أحمد): لا أشعر بالارتياح في الحديث معك بهذا الموضوع

(لجين): لماذا؟.. لأني زميلتك بالعمل أم لأني أنثى..

(أحمد): لا أعرف.. علاقتنا غريبة..

(لجين): عن أي علاقة تتحدث؟

(أحمد): علاقتي معكِ.. صداقتنا.. في الغالب هذا النوع من الصداقات يحدث مع الاشخاص من الجنس نفسه.. أشعر أن حديثي معك عن خطبتي أمر غير مريح لي!

(لجين): لأني فتاة إذاً؟

(أحمد): نعم .. ألا تشاركينني الرأي؟

(لجين): بالطبع لا.. نحن صديقان منذ زمن بعيد ونتشارك في كثير من الأمور وهذه ليست أول مرة تحكي لي فيها عن همومك مثلما أشتكي لك أنا من وقتٍ لآخر عن ما يضايقني

(أحمد): نحن نعمل معاً في المكان نفسه فقط وأحاديثنا غالباً تتمحور حول العمل لكن الحديث عن أمور زواجي معكِ له طابع مختلف وغير لائق

(لجين): من قال ذلك؟

(أحمد): مجتمعنا يقول ذلك

(لجين): لم أكن أعرف بأنك تفكر بهذه الطريقة بالرغم من معرفتي لك لسنوات طويلة.. لقد فاجأتني!

(أحمد): أنا لا أمانع الحديث معكِ في أي موضوع آخر لكن شعرت بأن هذا الموضوع بالذات قد لا يكون مريحاً لي ولكِ

(لجين): هل واجهت مشكلة في الحديث بهذا الموضوع مع أختك أو أمك؟

(أحمد): لا .

(لجين): لمَ تواجه مشكلة معي إذاً؟

(أحمد): حسناً لنغير الموضوع برمته

(لجين): سنغير موضوع أريحيتك بالحديث , معي، لكننا لن نغير موضوع خطبتك.. أخبرني الآن.. لمَ رفض أبوها طلبك بالزواج منها؟

(أحمد): لم يعطني مبرراً.. هو حتى لم يسألها عن رأيها.. أخبرني فقط أنه لا يوجد نصيب

(لجين): هل تواصلت معها وسألت عن سبب رفض أبيها لك؟

(أحمد): هذا ما يقلقني الآن.. منذ خروجي من منزلهم وهي لا تجيب على اتصالاتي

(لجين): ربما تكون موعودة لشخص آخر من أقاربها

(أحمد): أنتِ تعلمين بأني تحدثت معها قبل التقدم لخطبتها وهي من شجعتني على ذلك

(لجين): نعم صحيح تذكرت.. ما السبب إذاً؟

(أحمد): لا أعرف.. أنا مستاء جداً وأشعر بالإحباط.. ليتني تمهلت قبل أن أتخذ قرار التقدم لخطبتها

(لجين): وما الفرق الذي ستحدثه بالتروي؟

(أحمد): لا أدري لكني فيما يبدو قد استعجلت

(لجين): هل تريد مني التحدث إليها؟

(أحمد) باستغراب: إلى من؟

(لجين): إلى (وفاء)..

(أحمد): ألا تنصتين لحديثي؟.. أخبرتك بأن والدها من يرفض زواجنا وليس هي!

(لجين): أعرف يا أحمق لكن من الواضح أنها اتخذت قرار الابتعاد عنك وهذا سبب عدم إجابتها على اتصالاتك.. زودني برقمها وسوف أستفسر منها لأقطع لك الشك باليقين

(أحمد): لا.. الوقت لا يزال مبكراً على مثل هذه الخطوة.. لعلها لم تجبني لأنها مستاءة مما حدث فقط.. سوف أمهلها بضعة أيام لترد على اتصالاتي

(لجين): كما تشاء..

.. مضت الأيام وانتهت عطلة نهاية الأسبوع..

هاتف (أحمد) النقال يرن على الأرض..

يستمر بالرنين دون أن يجيب عليه أحد حتى ينقطع..

يعاود الهاتف الرنين لفترة طويلة وقبل أن ينقطع مرة أخرى يمد (أحمد) يده من فوق سريره ويلتقطه ليرى اسم (لجين) مضاء على شاشته..

يفتح الخط مقرباً السماعة من أذنه وهو مستلقٍ على بطنه فوق سريره ويقول بصوت متحشرج من النوم: نعم..

(لجين) بخليط من القلق والعصبية: أين كنت؟!.. لمَ لم تأتِ للعمل اليوم؟!

(أحمد) وهو نصف مستيقظ: ما اليوم؟

(لجين) وقد هدأت قليلاً بعد سماع صوته: ما بك؟ .. هل ما زلت مستاء مما حدث؟

(أحمد) معتدلاً في جلسته فوق سريره ومسنداً ظهره للمخدة: لا.. لقد قضي الأمر

(لجين): ماذا تقصد؟.. هل ردت (وفاء) على اتصالاتك؟

(أحمد) وهو يزفر: نعم..

(لجين): لِمَ أشعر بأن حديثك معها لم يخفف عنك بل زاد من همك؟

(أحمد) واضعاً راحة كفه على وجهه داعكاً عينه وجبينه: لا أريد الحديث بالموضوع..

(لجين): أخبرني فقط.. ما الذي حدث؟

(أحمد): أين أنتِ الآن؟

(لجين): أقود سيارتي عائدة للمنزل من العمل.. هل تريد مني أن أعرج بمنزلك للتحدث بالموضوع؟

(أحمد) بصرامة: تأتين إلى أين؟!.. لا!

(لجين): حسناً لا داعي للغضب.. سوف أتحدث معك عندما أصل للمنزل

وجه (أحمد) شاشة هاتفه أمامه وحدق باسم (لجين) على الشاشة المضيئة لثوانٍ ثم قطع الاتصال..

ظل (أحمد) في السرير ولم ينهض ومد ذراعه الممسك بالهاتف وبقي سارحاً في بعض النقوش بلوحة زيتية معلقة على الجدار أمامه. انقطع سرحانه بعد ربع ساعة تقريباً عندما رن الهاتف مجدداً وكانت المتصلة (لجين) ففتح الخط ووضع الساعة عند أذنه ولم يقل شيئاً فبادرت بالحديث: «هيا أخبرني.. ما الذي حدث؟»

(أحمد) بصوت ذابل: اتصلت بي في اليوم التالي من تقدمي لخطبتها ورفض والدها لي..

(لجين): وماذا قالت؟

(أحمد): قالت بأن الأمر قسمة ونصيب ويجب علي نسيانها

(لجين): هذا ما قالته فقط ؟.. ألم تطلب منك المحاولة مرة أخرى أو أخبرتك عن سبب رفض أبيها لك

(أحمد): لا .. ولم أسألها

(لجين): لمَ؟

(أحمد): لأني شعرت من نبرة صوتها أنها تشارك أباها رأيه في رفضه لي.. شعرت بأنها فقدت الاهتمام بي.. حديثها كان بارداً جداً وكأنها تنتظر إنهاء المكالمة بأسرع وقت

(لجين): تصرفها غريب.. ألم تقل لك شيئاً آخر ؟

(أحمد): صدمة برودها في الحديث معي شتتت ذهني.. توقعت أن تكون مستاءة مثلي.. لم أستوعب الكثير من كلامها لكني أذكر عبارة قالتها

(لجين): ما هي؟

(أحمد): قالت: «حبك لن ينفعني عندما يسخط علي أبي وأهلي من بعده.. حاول أن تنساني».. أشعر بالاختناق منذ أن قالت لي ذلك.. شعرت بأنها لو

كانت راغبة حقاً بالزواج مني لتمكنت من إقناع أبيها لكن فيما يبدو أنها ندمت أو تراجعت لسبب ما ..

(لجين): أنا آسفة..

(أحمد): لا ذنب لك في ما حدث

(لجين): هل سأراك غداً في العمل؟

(أحمد): لا أظن.. أحتاج بضعة أيام مع نفسي

(لجين): المدير كان ساخطاً لغيابك اليوم وتوعد أن يعاقبك إذا لم تحضر غداً

(أحمد): فليذهب للجحيم هو وعقابه..

(لجين): لا تدمر مستقبلك بسببها فهي لا تستحق.. حاول أن تنساها كما طلبت منك

(أحمد): لا أستطيع..

صمتت (لجين) ولم تتحدث..

(أحمد): هل ما زلت على الخط؟

(لجين): نعم..

(أحمد): لم سكتِّ؟

(لجين): أنت من صمت وتوقف عن الحديث ولست أنا

(أحمد) وهو يهم بإنهاء المكالمة: حسناً.. أراكِ لاحقاً

(لجين): انتظر..

(أحمد): ماذا؟

(لجين) وهي تزفر: قد يكون لدي حل لمشكلتك مع (وفاء).. قد لا يعجبك لكنه حل..

(أحمد): عن ماذا تتحدثين؟.. أي حل؟

(لجين): هناك شخص.. مختص في حل الأمور التي تتعلق بالعلاقات.. وأشياء أخرى..

(أحمد): تقصدين طبيباً نفسيًا؟

(لجين): لا.. لا.. روحاني..

(أحمد) يتساءل بنبرة تعجب: روحاني؟ .. تقصدين ساحراً.. هل جننت يا (لجين)؟!

(لجين): الروحاني يختلف عن الساحر

(أحمد): لا فرق بينهما!

(لجين): هناك فرق صدقني

(أحمد): هل تعاملتِ معه من قبل؟

صمتت (لجين) لفترة ثم استأنفت قائلة: الموضوع ليس عني الآن.. هل أزودك بعنوانه كي تذهب إليه وتتواصل معه؟

(أحمد) بعصبية وهو يغلق الخط في وجهها: بالطبع لا!

بعد أقل من دقيقة استلم (أحمد) رسالة نصية من (لجين) على هاتفه:

«سوف أرسل لك موقع منزل الروحاني إذا رغبت في الاستعانة به وتذكر أنه لا يستقبل أحداً إلا إذا كان مرسلًا من شخص تعامل معه من قبل لذا إذا سألك «من أرسلك» فأخبره فقط بأن لجين أرسلتك وسوف يساعدك .. أتمنى أن أراك في العمل غداً.. اعتنِ بنفسك..»

بعد انتهاء (أحمد) من قراءة الرسالة وصلته رسالة أخرى بها موقع منزل الروحاني لكنه لم يفكر حتى بفتحها ووضع هاتفه على المنضدة وغطى نفسه بلحافه وعاد للنوم. استيقظ على صوت هاتفه وهو يرن مجدّداً ورفعه بتجهم ظناً منه أنها (لجين) لكن تجهمه تحول لابتسامة عريضة عندما شاهد اسم (وفاء) يضيء على شاشة هاتفه.

أجاب بحماس قائلاً: وفاء؟!.. كيف حالك؟!..

(وفاء) مقاطعة حديثه: لقد وافق أبي على زواجنا أخيراً

(أحمد) مبتهجاً: كيف؟ .. كيف حدث ذلك؟!

(وفاء): لا أعرف ماذا حدث لي لكني وجدت أني كنت مخطئة ، بقرار التراجع عن ارتباطنا وأصررت عليه هو وأمي حتى اقتنعا فهما لا يرفضان لي طلباً كما تعلم

(أحمد) والسعادة تغمره: ومتى يمكنني أن أتقدم لأبيك مرة أخرى؟!

(وفاء) ضاحكة: في أي وقت تشاء

(أحمد) قافزاً من سريره: سوف آتي على الفور!

زلت قدمه خلال قفزته وسقط على الأرض ليفتح عينيه ليلاً ويكتشف أنه كان يحلم فقط. لم ينهض (أحمد) من على الأرض وأسند خده لسطحها محدقاً بأسفل سريره المظلم وهو يشعر بالإحباط والحزن الشديد. أضاء هاتفه على المنضدة متزامناً مع نغمة استلام رسالة نصية جديدة.. نهض (أحمد) بكسل ووقف أمام المنضدة وأخذ هاتفه وفتح الرسالة ليرى أنها (لجين) وقد كتبت له:

«هل ذهبت إليه ..؟ »

جلس (أحمد) على طرف السرير لفترة لم يستطع خلالها بلع ريقه من الحزن وفجأة وبدون مقدمات نهض وارتدى ملابسه وخرج من المنزل وركب سيارته وفتح الرسالة التي بها موقع منزل الروحاني وبدأ بالاتجاه نحوه.

بعد عدة دقائق من المسير أمعن (أحمد) في الوجهة التي كان يتجه إليها ووجد أنها خارج حدود المدينة بمسافة بسيطة وتحديداً خلف قرية صغيرة يعرفها لكن ما أثار انتباهه حقاً هو أن منزل ذلك الروحاني لم يكن محاطاً بمنازل كثيرة وكأن تلك المنطقة جديدة أو مستحدثة للتو. لم يعر (أحمد) انتباهاً لتلك التفاصيل وأكمل رحلته نحو منزل الروحاني وما جعله يكمل المسير هو شعوره بالراحة خلال تقدمه وإحساسه أنه يقوم بالأمر الصحيح.

انقطع الطريق المعبد قبل أن يصل (أحمد) لوجهته ومهما حاول إعادة تحديد المسار المؤدي للموقع على الخريطة الإلكترونية لم يتمكن من إيجاد طريق يمكن لسيارته أن تسلكه فقد وصل لمجموعة من المنازل القديمة في تلك القرية الصغيرة وكانت الخريطة تشير بأن منزل «الروحاني» يقع خلفها بمسافة ليست بالقصيرة لو قرر أن يسلكها مشياً على أقدامه وهذا ما اضطر للقيام به في النهاية. قبل أن يتجاوز (أحمد) المنازل ليسير في المنطقة خلفها وقد كانت صحراء مفتوحة استوقفه رجل ذاهب لصلاة الفجر وقال له: «من أنت؟!»

(أحمد) بتوتر : أنا هنا لزيارة أحدهم؟

(الرجل): زيارة في هذا الوقت؟.. تزور من؟

(أحمد) والتوتر يعلو محياه: صديقاً.. صديقاً قديماً لم أره منذ مدة طويلة

(الرجل): نحن هنا في القرية نعرف بعضنا بعضاً جيداً.. أخبرني باسم صاحبك وسأدلك على منزله إذا كنت لا تعرفه

(أحمد): لا ، شكراً أنا أعرفه جيداً

(الرجل): الاتجاه الذي تسلكه لا يقود لمنازل.. قل الحقيقة .

استسلم (أحمد) لمحاصرة الرجل وأخبره بالحقيقة وقال له إنه يبحث عن منزل رجل قيل إنه معالج شعبي وإنه قد أتى بحثاً عن علاج لعلة يشتكي منها.

(الرجل): لقد عرفت الرجل الذي تقصده.. لكن ألا ترى أن وقت زيارتك له غير مناسب؟

(أحمد): بلى.. للتو أدركت ذلك

(الرجل) وهو يشير لـ(أحمد) باللحاق به: هيا تعال معي..

(أحمد): إلى أين؟

(الرجل): لنصلي.. بعدها يمكنك الذهاب حيثما تشاء

لم يجد (أحمد) خياراً إلا أن يتبع الرجل ويصلي معه الفجر مع مجموعة من أفراد القرية الذين حضروا للصلاة. بعد التسليمة الثانية وبدأ المصلون بالاستغفار وترديد الأذكار نهض (أحمد) وقبل أن يستدير للخروج شده الرجل الذي أحضره للمسجد من لباسه وقال: إلى أين؟

(أحمد): إلى المعالج..

(الرجل) وهو يشده للأسفل لإجلاسه: لا.. انتظر حتى أخرج معك

جلس (أحمد) بجانب الرجل الذي استمر بالتمتمة بالأذكار لمدة طويلة حتى ضاق الأمر به وقال له: متى سنخرج؟

(الرجل): بعد الإشراق بإذن الله .. لم يتبقَّ شيء لا تقلق

بالرغم من أن (أحمد) كان متضجراً مما يحدث إلا أنه لم يقاوم رغبة الرجل خاصة وأنه لم يكن متحمساً كثيراً للسير في تلك المنطقة الرملية في الظلام. أشرقت الشمس ووقف الرجل وبدأ بالسير نحو باب الخروج من المسجد ومن خلفه (أحمد) الذي قال وهو ينتعل حذاءه:

«هل يمكن أن توصلني لبيت المعالج أو تشير لي على الأقل نحو الطريق الذي يجب أن أسلكه كي أصل. لمنزله؟»

(الرجل): كنت أظنك تعرف المكان ..

(أحمد): استعنت بخريطة على هاتفي النقال لكن أظنها لا تشير للمكان الصحيح بدقة لذا طلبت مشورتك

(الرجل): سوف أقوم بما هو أفضل من ذلك

(أحمد): ماذا؟

(الرجل): سوف أدعوك لوجبة إفطار لم تتذوق مثلها من قبل... بعدها محل لبيع الفول في قريتنا وهو مشهور جداً ويأتيه الناس من المدينة خصيصاً لتذوق طبقه المميز

(أحمد): لا، شكراً.. أنا مستعجل

(الرجل) وهو يشد (أحمد) من كمه مبتسماً: تعال فقط تعال..

سار الاثنان حتى وصلا لمحل اصطف الناس عند مدخله بشكل مزدحم ينتظرون الحصول على طلباتهم من الفول. وقف (أحمد) في البداية منتظراً لكن مع مرور الوقت بدأ بالتضجر وأحس أن الرجل يحاول تعطيله عن الذهاب لوجهته فقال:

«يجب أن أذهب الآن... »

(الرجل) مشيراً للطابور الذي تناقص :

«لم يبق شيء ويصل دورنا.. الأمر يستحق الانتظار صدقني »

بعد فترة حصل الاثنان على طبق من الفول مع رغيفين وجلسا إلى إحدى الطاولات بقرب المحل بين جموع الناس. أخذ الرجل رغيفاً واقتطع قطعة منه وأشار للطبق مبتسماً لـ(أحمد):

«هيا كل قبل أن يبرد... »

(أحمد) دون أن يرفع يديه من حجره: أنا أعرف ماذا تحاول أن تفعل.. أنت تحاول منعي من الذهاب لذلك الروحاني لكن لا ترهق نفسك سوف أذهب إليه مهما كلف الأمر

غمس الرجل قطعة الخبز في طبق الفول ووضعها في فمه ولاكها عدة مرات وهو يحدق بالطبق ثم قال: لا أحد يستطيع منعك مما تريد القيام به لكن من واجبي تقديم النصيحة لك

(أحمد): أنا لم أطلب منك نصيحة كي تقدمها

(الرجل): هذا الشخص الذي تسعى خلفه لن ترى منه سوى الشقاء

(أحمد): ولمَ تهتم بما يحدث لي؟

(الرجل): أنا أهتم لنفسي وليس لك.. إبراءً لذمتي أمام الله فقط كي لا أساءَل.

(أحمد) وهو ينهض: شكراً على نصيحتك ووقتك.. أنا ذاهب الآن

(الرجل) مكملاً إفطاره دون أن يلتفت : اللهم إني بلغت اللهم فاشهد..

سار (أحمد) مبتعداً عن المكان وبعد أن تجاوز المنازل التي أوقف سيارته عندها بدأ بالسير في المنطقة الرملية الخاوية خلفها ولم تمضِ عشر دقائق حتى أقبل على منظر غريب. رأى (أحمد) جملاً رابضاً على الرمال ومع اقترابه منه اكتشف أن أقدامه مربوطة ورقبته منحورة ومن أثر الدماء أسفله يتضح أنه ذبُح من عدة أيام. لم يكن هذا فقط ما لفت انتباهه فقد لاحظ أن البعير قد ذبح عكس اتجاه القبلة. تجاهل (أحمد) الأمر وأكمل طريقه حتى شاهد منزلاً صغيراً في الأفق فرفع هاتفه وتحقق من أن هذا المنزل هو منزل الروحاني فعجل بالمسير وسارع الخطوات نحوه.

عند وصوله لباب المنزل هم بقرع الجرس فلم يجد جرساً فقرر طرق الباب بقبضته لكنه تردد عندما رأى بصمات لكفوف مطبوعة باللون الأحمر على الجدران. لم يعجبه المنظر وفكر بالتراجع والعودة أدراجه لكنه في نهاية المطاف قرر الإقدام وطرق الباب. بعد عدة طرقات فتح له شخص نحيل بلحية سوداء وأعين مكتحلة ورأس مكشوف أصلع حدق به لثوانٍ ثم قال: «ماذا تريد؟ »

(أحمد) بالعاً ريقه: لقد أرسلتني (لجين)؟

(الرجل المكتحل): هل أنت (أحمد)؟ (أحمد) بتعجب: نعم..

(الرجل المكتحل) وهو يدير ظهره لـ(أحمد): اتبعني..

دخل (أحمد) خلف الرجل بالرغم من توتره وتردده لكن رغبته الجارفة ليكون مع (وفاء) دفعته للمخاطرة وتجاهل مخاوفه. توقف الرجل المكتحل عند مدخل الغرفة وسط المنزل لكنه لم يدخلها بل أشار لـ(أحمد) بأن يتقدم قبله.

(أحمد): ما هذه الغرفة؟

(الرجل المكتحل): هنا سوف نجمع الحبيب بحبيبه للأبد..

(أحمد): كيف تعرف اسمي والغرض من قدومي إليك؟.. هل أنت ساحر؟

(الرجل المكتحل): وهل كل من يملك بعض العلم يصبح ساحراً؟

(أحمد): لا لكن علمك هذا لم أخبرك عنه

(الرجل المكتحل): أخبرتني به من أرسلتك لي.. لقد شرحت لي كل شيء وقد جهزت اللازم ليتحقق المراد

(أحمد) مطلّاً برأسه داخل الغرفة: كم سيكلفني الأمر؟

(الرجل المكتحل): ادخل واجلس على الأرض متربعاً لنبدأ واترك مسألة الثمن لاحقاً

(أحمد) رافعاً رأسه وموجهاً نظره للرجل المكتحل: لا .. يجب أن أعرف كم ستتقاضى مقابل ما ستقدمه لي

(الرجل المكتحل): أنا لا أتقاضى شيئاً قبل أن يتم الأمر ويحصل الشخص على مبتغاه

(أحمد): وكم ستتقاضى بعد ما تنتهي من عملك ث بنجاح؟

(الرجل المكتحل): لن أتقاضى منك شيئاً

(أحمد) باستنكار: لماذا؟

(الرجل المكتحل): صبري بدأ ينفد.. لن أكرر طلبي مرة أخرى.. ادخل الغرفة أو اخرج من هنا ولا تعد أبداً!

صمت (أحمد) وبعد تردد وتحديق لم يدم طويلاً دخل الغرفة ومن خلفه الرجل المكتحل الذي قال:

«اجلس على الأرض متربعاً..»

نفذ (أحمد) ما أمر به دون جدال وأخذ يراقب الرجل المكتحل وهو يفتح صندوقاً خشبياً كبيراً في إحدى زوايا الغرفة وهو يقول:

«نفذ كل ما أطلبه منك بعد ما نبدأ...»

(أحمد): حاضر. .

(الرجل المكتحل) وهو يبحث في الصندوق: هل لديك أي أسئلة الآن قبل أن نبدأ؟.. لا أريدك أن تقاطعني خلال عملي

(أحمد): نعم.. البصمات الحمراء عند مدخل المنزل.. هل هي شعوذة؟

(الرجل المكتحل) وهو يخرج مجموعة من الخيوط والمشابك من الصندوق: «دم ذبيحة.. عادة كان يمارسها أبي... »

(أحمد): هل أنت من ذبح ذلك البعير في الصحراء ؟

(الرجل المكتحل) وهو يجلس متربعاً أمامه: انتهى وقت الأسئلة وحان وقت العمل.. ابسط كفيك أمامي

نفذ (أحمد) طلب الرجل المكتحل الذي أمسك بها وأمعن النظر في خطوطها لفترة ثم بدأ يربط بعض العقد مستعيناً بالخيوط التي أخرجها من الصندوق وعيناه لا تزالان تحدقان بكفي (أحمد). بعد ما انتهى من عقد العقد بدأ ينفخ عليها ويتمتم. كان (أحمد) يراقب ما يحدث بتوجس ولم يتحدث حتى نزع الرجل المكتحل شعرة من ذقنه فقال متألماً: ماذا تفعل؟!

لم يرد الرجل المكتحل عليه وأكمل تمتماته ونفخاته..

مضت دقائق من هذا الوضع المريب نهض بعدها الرجل الأصلع وقال: لقد شارفنا على الانتهاء..

(أحمد): الانتهاء من ماذا؟

(الرجل المكتحل): من ربط الحبيب بحبيبه...

(أحمد): أنت ساحر إذاً؟

خرج المكتحل من الغرفة وغاب لفترة ثم عاد حاملاً دجاجة صغيرة بين يديه ووضعها أمام (أحمد) وقال: هذه دجاجة بياضة وستضع بيضة بعد قليل.. أمعن النظر إليها وراقب خروج البيضة..

(أحمد): لماذا؟

(الرجل المكتحل) وهو يمسح على رأس الدجاجة: لا أسئلة..

(أحمد): لن أنظر إليها ولن أشارك بهذه الشعوذة!

(الرجل المكتحل) وهو يخرج من الغرفة: سأعود بعد قليل..

بقي (أحمد) متربعاً أمام الدجاجة ولم ينهض وحاد بنظره عنها كي لا يراها وهي تبيض لكن مع مرور الوقت وبقائه وحده مع أفكاره بدأت هواجيس ارتباطه مع (وفاء) تراوده وشيئاً فشيئاً سرح بالدجاجة ولم ينقطع سرحانه إلا عندما شاهد وسمع البيضة تسقط أمامه.

بعد أن وضعت الدجاجة البيضة مد (أحمد) يده والتقطها وأخذ يقلبها بين أصابعه والدجاجة تنقر الأرض وتتجول في الغرفة.

عاد المكتحل ودخل الغرفة والتقط البيضة الساخنة من بين أصابع (أحمد) وقال:

«افتح فمك..»

(أحمد): ماذا؟

(الرجل المكتحل): افتح.. فمك..

بالرغم من أن (أحمد) لم يكن في قرارة نفسه راغباً في ممارسة ومجاراة ما يحدث لكنه أحس بحالة غريبة من الانصياع لذلك المكتحل الأصلع وأنه فقد سيطرته على قراراته وأن قدرته على المجادلة انسلت وسُحبت منه.

باعد (أحمد) بين فكيه فدفس المكتحل الأصلع البيضة في فمه مما تسبب في كسرها وسكب محتواها على لسانه. أغلق الرجل المكتحل فك (أحمد) بدفعه للأعلى وهو يقول: «ابتلعها.. بدفعه للأعلى وهو يقول: «ابتلعها..»

وبكل هدوء بلع أحمد البيضة بقشورها..

ابتسم الرجل المكتحل وهو يراقب (أحمد) غارقاً في حالة أشبه بالسكر بعد ابتلاع البيضة وقال: لقد قضي الأمر.. الأحباء مربوطون بعضهم ببعض الآن..

(أحمد) بلسان ثقيل وخدر وأعين زائغة: حقاً؟.. (وفاء) أصبحت لي؟

(الرجل المكتحل) والابتسامة لم تزل على وجهه: سيأخذ كل ذي حق نصيبه.. ستنام الآن وعندما تفيق يمكنك الخروج والعودة من حيث أتيت

استلقى (أحمد) على الأرض وغط في نوم عميق..

ما حدث بعدها كان غريباً ف(أحمد) لم يستيقظ في منزل المكتحل الأصلع بل في سريره ومنزله مما دفعه للاعتقاد بأنه يحلم مرة أخرى ولم يخرج ولم يقابل أحداً. تجاهل (أحمد) ذلك الشعور وقرر إكمال بقية يومه خاصة وأنه استيقظ متأخراً في المساء وتحديداً الساعة السابعة ولم يذهب لعمله وقد تحقق من ذلك عندما جلس على طرف سريره وفتح صندوق الرسائل بهاتفه وشاهد رسالة من (لجين):

«لقد قدمت لك على إجازة اليوم كي لا يسخط المدير عليك.. أرجو أن تكون بخير.. اتصل بي عندما تستيقظ.. بالمناسبة.. هل ذهبت للروحاني؟»

وضع (أحمد) الهاتف على المنضدة بيد وباليد الأخرى بدأ يمسح على جبينه بسبب صداع قوي أصابه فجأة. أغمض عينيه ليريحها قليلاً لكنه عندما فتحها وجد نفسه أمام باب منزل لا يعرفه ويده مرفوعة لطرق الباب. جزع (أحمد) من الموقف وأخذ يراقب يده التي كانت ستطرق الباب واستدرك بعد أن تفحص المكان حوله أنه في منطقة بعيدة جداً عن منزله يستغرق الوصول إليها السير لساعتين مشياً على الأقل وقد تحقق من ذلك بعد ما أخرج هاتفه وشاهد أن الساعة تشير للتاسعة مساء. عاد لمنزله بعد أن استقل سيارة أجرة وهو مدهوش مما حدث ولم يستطع النوم تلك الليلة من الصداع الذي عاود الفتك برأسه بالرغم من كمية المسكنات التي تناولها. الصداع وصل لمرحلة غير معقولة لدرجة أن (أحمد) بدأ يضرب جبينه بالجدار من شدة الألم وخلالها رن هاتفه فسار نحو المنضدة التي استقر عليها وشاهد اسم (لجين) يضيء على الشاشة فوضع الساعة عند رأسه الذي يكاد ينفجر من ألم كالمطارق يضرب جمجمته وما أن فتح الخط وسمع (لجين) تقول: «مرحباً.. كيف حالك؟» حتى زال الألم فجأة وتمكن من فتح عينيه اللتين ترمشان من الوجع وقال: «أهلاً..»

(لجين): هل أنت بخير؟

(أحمد): كنت أعاني من صداع شديد لكنه زال عندما تحدثت معكِ..

(لجين) ممازحة: ربما يجب أن تتحدث معي أكثر إذاً

(أحمد) وهو مشتت الذهن: نعم ربما.. ماذا تريدين؟

(لجين): هل هذا أسلوب تتحدث به مع من يسأل عنك؟

(أحمد): أعتذر.. كان يوماً غريباً

(لجين): حدثني عنه ..

(أحمد): في الحقيقة لا أعرف إن كان ما حدث حقيقة أم كابوساً

صمتت (لجين) ولم ترد..

(أحمد): هل ما زلتِ على الخط ؟

(لجين): نعم..

(أحمد): شكراً لأنك قدمتِ لي على إجازة اليوم ..

(لجين): أريد أن أقول لك شيئاً بهذا الخصوص..

(أحمد) بتهكم: ماذا؟ .. هل قرر المدير فصلي؟

(لجين): لا ..

(أحمد): ماذا إذاً؟

(لجين): هل يمكن أن نخرج معاً الليلة؟

(أحمد) باستغراب: نخرج؟ .. نخرج إلى أين؟

(لجين): لا أعرف، لأي مكان.. لتناول العشاء.. لاحتساء كوب من القهوة.. أي شيء.. المهم أن نكون معاً.. أريد التحدث معك بأمرٍ ما

(أحمد): نحن لم نفعل شيئاً من هذا القبيل من قبل وهذه أول مرة تطلبين شيئاً كهذا

(لجين): وأنا أطلبه الآن.. ما رأيك؟

(أحمد): لا .. لا أستطيع

(لجين): ألم تقل بأننا صديقان؟.. ما الذي يمنعك؟

(أحمد): لا رغبة لي في ذلك..

(لجين): حسناً كما تشاء لن أضغط عليك أكثر

(أحمد): شكراً.. سأغلق الخط الآن.. أريد أن أنام.. هل تريدين شيئاً آخر؟

(لجين): لا.. ليلة هانئة

أغلق (أحمد) الخط واستلقى على فراشه يحدق بالسقف يفكر..

بقيت (لجين) تراقب شاشة هاتفها بعد ما أغلق (أحمد) الخط وهي تعض على شفتها السفلية بقلق. بعد مضي ما يقارب الساعتين قررت (لجين) فتح هاتفها والاتصال على «الروحاني» فطلبت الرقم واضعة السماعة عند أذنها تنتظر بتوتر وعندما اجابها قالت: «أنا (لجين).. حالته لم تتغير..»

(الروحاني): لا تقلقي.. الأمر يستغرق أكثر من يوم في بعض الأحيان..

(لجين): لكن..

(الروحاني): ثقي بكلامي..

(لجين): هل يستلزم الأمر أن يزورك مرة أخرى؟

(الروحاني): لا.. أنا واثق من أن العملية تمت بنجاح.. تحلي بالصبر

(لجين): أمره يهمني وقد شرحت لك ذلك عندما طلبت العون منك وكذلك..

توقفت (لجين) عن إكمال جملتها عندما سمعت صوت بابها يُطرق فسارت نحو مدخل المنزل لفتح الباب وهي لا تزال على الخط مع الروحاني الذي قال:

«أكملي حديثك ما الذي كنتِ تريدين قوله..؟»

فتحت (لجين) الباب لترى (أحمد) يقف على عتبتها بحالة من التوهان والتشتت وهو يقول بفمٍ نصف مفتوح تدلى منه جزء من لسانه:

«(لجين)؟.. ماذا تفعلين هنا؟.. أريد الدخول.. أريد أن أكون معكِ.. »

(لجين) لـ(الروحاني) وهي ممسكة بالهاتف عند أذنها وتنظر لـ(أحمد) باسمة: لا شيء.. لقد تحقق طلبي.. شكراً لك..

البعض لا يرى الحرام دائماً عيباً لكنه يؤمن

بأن كل ما يراه عيباً حرام . .

تسعة أشهر

الشهر الأول

لم أكن وقتها أعلم أنه بدأ ينمو في بطني..

الشهر الثاني

حجمه أخذ بالازدياد.. وما زلت لا أعلم..

الشهر الثالث

أخبرني الطبيب اليوم أنه ينمو منذ ثلاثة أشهر.. مشاعري متضاربة..

الشهر الرابع

بدأت أشعر بحجمه في أحشائي..

الشهر الخامس

أمسح على بطني من وقت لآخر ودموعي تتساقط..

الشهر السادس

هل سأتمكن من التخلص منه بعد مضي كل هذه المدة؟

الشهر السابع

الطبيب يخبرني بأني لا بد وأن أجري عملية جراحية لإخراجه..

شهر الثامن

لا مفر من الجراحة.. حُدد موعد العملية بعد شهر..

الشهر التاسع

العملية كانت ناجحة.. تم استئصال الورم السرطاني المتضخم في أمعائي بنجاح..

كلما بحثت عن شيء ولم أجده زادت
قناعتي بأنه موجود . .

العين بالعين

صحفي مشهور في جريدة مرموقة بالعاصمة يصل في الرحلة الصباحية بالقطار لمدينة صغيرة ..

ينزل من مقطورته حاملاً معه حقيبته متوجهاً خارج المحطة حيث كانت سيارة الأجرة التي استأجرها سلفاً بانتظاره..

يفتح باب السيارة الخلفي ويركب ويوجه السائق بأخذه لحي شعبي قديم..

(السائق): هذا حي قديم وكبير.. هل هناك منزل محدد تريد الذهاب إليه؟

(الصحفي): خذني لهناك فقط وعندما نصل سنرى..

(السائق) منطلقاً نحو الوجهة المحددة: حاضر سيدي

بعد مسيرة لم تستغرق طويلاً توقف السائق في المنطقة التي حددها الصحفي وهو حي شعبي انتشرت فيه البيوت الطينية فأطل من النافذة قائلاً:

«منطقة تشعرك بأنك ركبت آلة زمنية وسافرت عدة سنين للوراء..»

(السائق): هل يمكن تزويدي بعنوان المنزل الآن؟

(الصحفي) يفتح باب السيارة ويترجل منها قائلاً: لا داعي لذلك.. سأجد طريقي بنفسي

(السائق): هل تحتاج أي خدمة أخرى؟

(الصحفي) يمد قيمة أجرة المشوار ونظره على البيوت الطينية المحيطة به: في الواقع نعم..

(السائق): تفضل.. باذا يمكنني أن أخدمك؟

(الصحفي) مديراً نظره للسائق: عملي هنا لن يطول ولن يستغرق أكثر من ساعة.. هل يمكنك الانتظار حتى أنتهي لتعيدني للمحطة وسوف أضاعف لك الأجرة؟

(السائق): كنت سأوافق دون مضاعفتها لكن حسناً كما تشاء.. سأكون هنا بانتظارك

(الصحفي) وهو يهم بالسير لوسط الحي: شكرا..

بعد الطرق على عدة منازل في ذلك الحي تمكن الصحفي من تحديد العنوان الذي يبحث عنه وسار نحوه وقد كان منزلاً طينياً كسائر منازل ذلك الحي يلعب أمامه مجموعة من الصبية فوقف أمام بابه وطرقه عدة طرقات. فُتح الباب بعد انتظار لم يدم طويلاً قضاه الصحفي في مراقبة الصبية الصغار وهم يلعبون الكرة ملتقطاً لهم بعض الصور. خرج من المنزل رجل ضخم الجثة بوجه عابس وشعر أشعث وحواجب كثيفة وملابس رثة فلما رآه الصحفي بادره بالحديث : السيد (نضال)؟

(الرجل): نعم.. من يسأل؟

(الصحفي) وهو يمد يده باسماً لمصافحته: أنا صحفي من جريدة «الخبر» وأرغب في إجراء لقاء معك

(نضال): يبدو أنك مخطئ بالعنوان..

(الصحفي): لماذا؟

(نضال): أنا لست شخصية فنية أو رياضية لست حتى بشخصية اجتماعية فلماذا تريد عمل لقاء معي؟

(الصحفي) مبتسماً: اسمح لي بالدخول وسوف أشرح لك

(نضال) على مضض وهو يراقب الصحفي المتحمس بضجر: تفضل..

دخل الصحفي المنزل وهو يضم حقيبته لصدره وابتسامته لم تفارقه وما أن توسط باحة المنزل الصغيرة المكشوفة السقف حتى بدأ يتفحص المكان بنظره وشاهد بعض الثقوب في الجدران الطينية وعلى الأرض قطع من الزجاج بدت أنها تعود لكؤوس وأطباق محطمة فقال: «منزل جميل..»

(نضال) وهو يغلق الباب ويسير لوسط المنزل بخطوات ثقيلة: ادخل في الموضوع مباشرة ودع عنك التملق..

(الصحفي) ممازحاً: يبدو أن معركة قد دارت هنا.. هل أنت متزوج؟

(نضال) يسير متجاوزاً الصحفي لجرة ماء فخارية قابعة في زاوية المنزل: لا ..

(الصحفي) وهو مستمر بتفحص المكان بأعينه: هل يوجد مكان يمكننا الجلوس فيه؟

(نضال) وهو يشرب بكوب معدني: إذا كنت تقصد مكاناً نظيفاً فلا .. ماذا تريد الآن؟

(الصحفي) وهو يجلس على الأرض الجرداء ويقول بنبرة متوددة:

أريد أن تضيفني بعض الشاي أو القهوة..

(نضال) وهو يرمي بالكأس المعدني نصف المملوء بالماء تجاه الجدار فوق رأس الصحفي ويقول بغضب:

اسمع!.. أنا لست شخصاً فظاً بطبعي لكني لا أحب أن يفرض علي أحد وجوده خاصة إذا كنت لا أعرف السبب!

(الصحفي) بهدوء: لقد أخبرتك.. أريد أن أعمل معك لقاء صحفيًا

(نضال) بعصبية: لقاء ماذا؟!. وعن ماذا؟! (الصحفي) مخرجاً ورقة وقلماً من حقيبته:

عنك وعن من هم على شاكلتك ممن يملكون تلك القدرة العجيبة المسماة بـ «العين»..

(نضال) وقد تغيرت معالم وجهه: عن ماذا تتحدث؟

(الصحفي): سيد (نضال) رجاءً لا تضيع وقتي ووقتك بالتظاهر بالغباء.. الجميع في حيك يؤمنون بتلك القدرات العجيبة التي يعتقدون أنك تملكها

في إطلاق رصاصات الحسد.. ويقولون إنك دمرت حياة أناس كثر وأنا هنا لأكتب عن هذا الوهم الذي يؤمن به الناس

(نضال) وهو يجلس أمامه باسماً: إذاً أنت لا تؤمن بالعين؟

(الصحفي): بالطبع لا.. لقد أنعم الله علي بالعقل.. ولا تقل بأنها مذكورة في الإسلام.. أنا مؤمن بوجودها لكني لست مؤمناً بقدرة أحد على التحكم بها واستخدامها وقتما يشاء كسلاح محشو بالرصاص

(نضال): بما أنك لست مؤمناً بحدوث ذلك لمَ أنت هنا؟.. لا يوجد قصة لتكتبها إذا كانت المسألة مجرد أوهام في عقول الناس.. لم لا تجري مقابلتك معهم هم؟

(الصحفي): أريد أن أرى الشخص الذي تمكن من إيهامهم وكيف تمكن من ذلك (نضال): أنا لم أوهم أحداً بشيء.. أنا من الأساس لا أتحدث معهم ولا أختلط بهم

(الصحفي): ما سر خوفهم منك إذاً؟.. حتى وأنا أسأل عن موقع منزلك رأيت الرعب في أعينهم من مجرد ذكر اسمك أمامهم

(نضال): مجدداً.. اسألهم هم وليس أنا

(الصحفي): حسناً.. أرجو أن تجاريني في الحديث

(نضال): أجاريك كيف؟

(الصحفي): من الواضح أنك مؤمن بالعين والحسد.. حدثني عنه وعن ما تعرفه من أمور تحيط به

(نضال) مبتسماً: سأقدم لك ما هو أفضل..

(الصحفي): ما هو؟

(نضال): شيء يستحق أن تكتب عنه.

(الصحفي): كلي آذان صاغية

التقط (نضال) الكأس المعدني الذي وقع بجانب الصحفي ورمى به للأعلى وحدق به وفجأة تغير مسار الكأس بعد ما أصدر صوتاً وكأن رصاصة قد أصابته واصطدم بالجدار وانفلق لنصفين.

(الصحفي) وهو يراقب الكأس المقسوم على الأرض: ماذا حدث؟

(نضال) مبتسماً وبنبرة متهكمة: أخبرني أنت يا متعلم..

(الصحفي) بتوتر: الكأس كان مهيأ لذلك ورميك له في المرة الأولى جعله هشّاً

(نضال): الكأس مصنوع من المعدن.. أي نوع من المعادن ينكسر مثل الزجاج

(الصحفي) وقد بدأ بتصديق ما رآه: ألا يجب أن تنطق عبارة ما لتحدث مثل هذه الإصابة؟

(نضال): العين الحاسدة تنطلق من القلب ولا تستلزم لفظاً

(الصحفي) وقد بدأ يدون بقلمه في مدونته: هل تتعمدها؟.. أقصد هل تستطيع إيذاء شخص عمداً؟ .. وكيف تحسد كأساً؟.. ما الذي جال في قلبك وقتها تجاهه؟

(نضال): هي مثل أي سلاح بيدك يمكنك إطلاقه وقتما تشاء..

(الصحفي) وهو يكتب بحماس وعينه على مدونته: ما مدى تأثيرك؟.. أقصد هل تستطيع إصابة شخص غير موجود معنا الآن؟

(نضال): هل تريد الحقيقة؟

(الصحفي): وهو يتوقف عن الكتابة رافعاً رأسه وموجهاً نظره نحو (نضال) المتربع أمامه: نعم لمَ أنا هنا إذاً؟

(نضال): بصراحة أنا لا أعرف غالباً متى سأصيب من أعينه عمداً أم لا.. أحياناً كثيرة أحاول إصابة هدف معين أو شخص ما ولا أجده يتأثر مهما حاولت

(الصحفي) وهو يعاود الكتابة: هل ينطبق ذلك على كل شيء؟.. أقصد الجمادات كذلك؟

(نضال): نعم.. ألم ترَ الكأس ينفلق أمامك للتو؟.. كان من الممكن ألا ينفلق لكن بالعادة الجمادات مقاومتها أقل

(الصحفي): أقل ممن؟

(نضال): من الكائنات الحية.. خصوصاً الناس

(الصحفي): معنى كلامك أنه لا يوجد ضابط لمن سيصاب بعينك

(نضال): ماذا تقصد بـ [اضابط]؟

(الصحفي) مشوحاً بيده وهو يحاول التوضيح: أقصد أسباباً وعوامل يمكن قياسها لمدى قابلية إصابة من تريد أن تعين

(نضال): أعتقد يوجد لكن لم أفكر بالموضوع من قبل

(الصحفي): هل تعتقد أن التحصين بالأذكار له علاقة؟

(نضال): ربا لكن حدث من قبل وأن نجا من عيني أشخاص غير مسلمين

(الصحفي): وهل أثرك تدميري دائماً؟

(نضال): ماذا تقصد؟

(الصحفي): أعني هل يمكن أن يكون للفعل الذي تحدثه عينك أثر إيجابي؟

(نضال): إيجابي لي نعم.. لغيري لم أجرب.. غالباً لا أستخدم قدرتي هذه إلا للتسلية أو لأقتص لنفسي من شخص ظلمني

(الصحفي) خلال تدوينه وبنبرة متهكمة: حكومتنا يجدر بها أن تستعين بك في الحروب

(نضال): هل تسخر مني؟

هل (الصحفي) وهو مستمر بالكتابة: بالطبع أسخر منك.. هل تريد أن أخبرك بما أظنه بصراحة؟

(نضال) مبتسماً ببرود: تفضل..

(الصحفي) وهو يتوقف عن الكتابة ويرفع رأسه وينظر في عيني (نضال) بصرامة: أعتقد أنك دجال كاذب وكل ما يروج حولك هو من وهم الناس واعتقادهم فيك لأسباب وظروف كانت ملائمة وبتوقيت مناسب وأنت جاريتهم في معتقدهم لأنك مستفيد

(نضال): مستفيد من ماذا؟

(الصحفي): الشهرة السمعة خوفهم منك.. أشياء كثيرة

(نضال): هل هذا ما تظنه؟

(الصحفي): بل ما أنا متيقن منه

(نضال): حسناً.. لا داعي لإكمال الحديث إذاً

(الصحفي) وهو يعاود الكتابة في مدونته على عجالة: سأعد تقريري وسأنشره ليعلم الجميع أنك جزء من ظاهرة اجتماعية سيئة لوثت العقول لسنوات طويلة ويجب أن يتم فضحكم جميعاً

(نضال) وهو يراقبه مبتسماً خلال كتابته بسرعة وحماس: بالتوفيق..

بقي (نضال) يراقب الصحفي وهو يكتب ويدون ملاحظاته بسرعة لما يقارب الدقيقتين ثم قال: أنت تكتب بسرعة باهرة..

(الصحفي) وهو مستمر بالكتابة دون أن يتوقف أو يرفع رأسه ونظره عن مدونته: يجدر بك رؤيتي وأنا أكتب على لوحة مفاتيح الحاسوب..

(نضال): ألهذا الحد أنت سريع؟

(الصحفي) وهو يضع اللمسات الأخيرة على مدونته: نعم هذا ما يقوله زملائي..

(نضال) مبتسماً: جميل..

(الصحفي) يهم بالنهوض قائلاً: حسناً أنا ذاهب ..

(نضال) دون أن ينهض مكتفياً برفع رأسه لمراقبة الصحفي يتوجه لباب الخروج: هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟

(الصحفي) يتوقف ويدخل أوراقه وقلمه في حقيبته قائلاً: أتيت بحثاً عن الحقيقة وقد وجدتها..

(نضال): أي حقيقة.. الحقيقة التي تريد؟

(الصحفي) موجهاً نظره لـ (نضال) قبل خروجه: حقيقة أنك جزء من مشكلة كبيرة تعاني منها طبقات المجتمع الجاهلة.. وأنا أشكرك للمساهمة في كشفها ولعل ذلك يكفر ولو عن جزء بسيط مما أحدثته من ضرر

(نضال) مبتسماً: المشكلة الحقيقية هي وجود أشخاص مثلك لا يرون إلا بأعينهم ولا يسمعون إلا بآذانهم..

(الصحفي) وهو يهم بالخروج : وقريباً سيكتبون بأيديهم..

(نضال): نعم.. أبديهم التي لا تكل أو تمل من صياغة الأكاذيب ولا تتعب من تحريف الحقائق..

خرج الصحفي من المنزل الطيني متوجهاً لسيارة الأجرة التي كانت بانتظاره وفجأة ركل أحد الصبية الكرة باتجاهه لتضربه في يده الحاملة لحقيبته التي سقطت أرضاً وتناثرت منها بعض الأوراق. جمع الصحفي شتات نفسه وأوراقه واستأنف المشي وخلال سيره أحس بتشنج وألم بسيط في يده اليمنى التي ضربتها الكرة فأخذ يقبضها ويبسطها عدة مرات حتى زال الألم. وصل للسيارة وفتح بابها وركب وقال للسائق: خذني للمحطة على الفور كي ألحق على رحلة الظهيرة للعاصمة.

(السائق) وهو يدير المحرك: هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟

(الصحفي) وهو يقبض ويبسط يده اليمني: لم يكن هناك شيء لأجده.. أتيت فقط لأتثبت بنفسي..

توقف السائق عند المحطة بعد مسيرة قضاها في صمت ولم يتحدث خلالها مع الصحفي الجالس في المقعد الخلفي..

(السائق): لقد وصلنا..

لم يرد الصحفي عليه..

التفت السائق نحوه ليجده نائماً..

حاول إيقاظه بهز جسده لكنه لم يفق..

لم يُكتب التقرير ولم ينشر لكن تقرير وفاة الصحفي كُتب ونُشر ..

خبر وفاته تصدر الصفحة الأولى في جريدة «الخبر» وذُكر أن سبب الوفاة كان شللاً مفاجئاً لجميع أعضاء الجسم نجم عنه تعطل وظائف القلب والرئة ليموت مختنقاً على الفور.

الحياة لا تتعارض مع السعادة بل نحن من يفعل ذلك ..

المملكة

كنت أميرة أبي الصغيرة..

عشت معه في مملكته مدللة معززة..

حتى دخل غرفتي يوماً وأخبرني أني سأصبح ملكة..

ملكة على مملكتي الخاصة..

استبدلت بعقدي الفضي تاجاً ذهبياً..

ودعت مملكة أبي بخليط من دموع الحزن والفرح..

أصبحت ملكة.. لملك ظالم..

مجنون.. أهوج..

عشت معه لشهور طويلة في عذاب نفسي..

وجسدي أحياناً..

فقدت فيها كرامتي واقتربت من فقدان عقلي..

اليوم قررت أن أستبدل بتاجي الذهبي أساور من حديد..

دفعت ثمنها عمره واستعدت بها ما تبقى من عمري..

مملكتي الجديدة صغيرة.. خانقة..

لكنها أجمل بكثير من مملكتي معه..

اعمل في صمت كي يكون

إنجازك مدويًا . .

صخب الخسيف

طفل صغير في التاسعة من عمره يلعب الكرة عصراً وحده في حديقة مجاورة لغابة اصطناعية استحدثت لوقف زحف رمال الصحراء القابعة خلفها. تراقبه أمه مبتسمة وهي جالسة على سجادة كبيرة من الكتان بينما يقوم والده بتفريغ محتوى سيارته من مستلزمات رحلتهم الخلوية الصغيرة.

يجلس الأب بجانب زوجته التي مدت له كوباً من الشاي الساخن وهي تقول:

«لقد تحدث معي مدير المدرسة اليوم مرة أخرى..»

(الأب) وهو يأخذ كوب الشاي: الموضوع نفسه؟

(الأم) وهي تراقب ابنها يلاحق الكرة التي ركلها بقوة: نعم.. الموضوع نفسه

(الأب) مرتشفاً بعض الشاي ومشاركاً زوجته النظر لابنه: أنا لا أفهم لم يريد مني نقله لمدرسة أخرى

(الأم): يقول بأن تفكيره مختلف عن بقية الصبية وهذا سبب له ولزملائه بعض المشكلات.. تفكيره مختلف على حد قوله ولا يمكنهم التعامل معه

(الأب): المشكلة الحقيقية أنه لم يتسبب لهم بأي مشكلات ولم يتعرض لأحد بسوء..

(الأم): ابنك كثير التساؤل ويجادل الأساتذة كثيراً.. أنا أمه وأشعر بالضجر أحياناً منه عندما يغمرني بتلك الأسئلة الغريبة

(الأب): وهل من الذنب أن تكون بعقلٍ نشط ؟ .. هذه المدرسة سيئة على أي حال ولم أخترها إلا لقربها من المنزل..

(الأم): هو يستقل الحافلة ذهاباً وإياباً إليها فلا فرق لو نقلته لمدرسة أفضل وكانت بعيدة

(الأب): ماذا لو تكررت المشكلة في المدرسة الأخرى؟

(الأم) وهي تلتفت على زوجها المحدق بابنه في الأفق: لقد اقترح علي أخي معهداً خاصاً.. ما رأيك؟

(الأب): هل تظنين أنه حالة خاصة بالفعل؟

(الأم): أحياناً أشعر بذلك.. لكنه في النهاية ابني الصغير وسأحبه كيفما كان

(الأب): الطبيب الذي كشف عليه قبل أسابيع قال لي بعد أن أجرى له بعض الأشعة إنه يعاني من تضخم في الدماغ

(الأم) بقلق: لم تخبرني بهذا من قبل؟.. هل هو مرض؟

(الأب): لا.. قال بأنه أمر لا يستدعي القلق لأنه لم يؤثر على أي من وظائفه العقلية لكنها حالة لم يشاهدها من قبل

يركل الفتى الصغير الكرة تجاه أبويه ويطيح بعض الحاجيات المصفوفة أمامهما فيجري مسرعاً نحوهما ضاحكاً وهو يقول:

الكرة مستديرة يا أمي!

(الأم) وهي تمسح على رأسه باسمة: نعم يا حبيبي..

يرفع الفتى الكرة بكلتا يديه ويمدها في وجه أبيه ويقول بصوت مرتفع:

إنها مستديرة لذا تهرب مني دوماً!

(الأب) مبتسماً: ربما تهرب منك لأنك تركلها..

احتضن الفتى الكرة وبوجه حزين قال: هل تظن أنها تكره ركلي لها؟

(الأب): لا يا بني فهي تستمتع بذلك وكلما ركلتها بقوة أكبر كانت سعادتها أكبر وأكبر

(الفتى) مبتهجاً: حقاً؟

نهض الأب من مكانه وأخذ الكرة من يد ابنه ووضعها على الأرض وهو يقول: نعم بالطبع.. سأريك الآن!

ركل الأب الكرة بقوة شديدة انطلقت على أثرها مندفعة للأمام ودخلت بين الأشجار الطويلة في الغابة القريبة منهم فقال الفتى وهو يراقب ما حدث:

ياه!.. ستكون سعيدة جداً بهذه الركلة!

همّ الفتى بالجري نحو الغابة الكثيفة ذات الأشجار الطويلة ليستعيد كرته لكن أمه أمسكته من ذراعه واستوقفته قائلة: إلى أين؟!

(الفتى) وهو يحاول التملص من قبضة أمه: لأحضر كرتي!.. إنها وحيدة!

(الأب): اتركيه يذهب..

(الأم) وهي لا تزال ممسكة بذراع ابنها وهو يشد بجسده للتفلت من قبضتها:

كيف أتركه يذهب؟!.. تلك الغابة لا بد وأنها مليئة بالثعابين والعقارب!.. سوف يتعرض للأذى!

(الأب): سأرافقه لا تقلقي.. دعيه الآن

حررت الأم ابنها من قبضتها فجرى مسرعاً ودخل بين الأشجار الكثيفة لاستعادة الكرة فجلس الأب بجانبها وهو يمد كوب الشاي الفارغ قائلاً:

«اسكبي لي بعض الشاي..»

(الأم) بتجهم وعصبية: ألن تذهب خلفه كما قلت؟!

(الأب): إذا تأخر بالعودة فسأفعل.. يجب أن تخففي من قلقك الزائد عليه

(الأم): إنه لا يزال في التاسعة!.. كيف لا أقلق عليه؟!

(الأب) يمد يده ويأخذ إبريق الشاي ويسكب لنفسه بعضاً منه:

«اقلقي عندما يحدث شيء.... »

دخل الفتى جرياً غابة الأشجار الكثيفة وبدأ يبحث بحماس وعجالة عن كرته المفقودة ظناً منه أنه سيجدها بالجوار لكن تلك الغابة كانت كالمتاهة وأشعة الشمس بالكاد تصل لعمقها مما خلق جوّاً من الضبابية والعتمة الجزئية. لم يهدأ الفتى الصغير ولم تخفت عزيمته في إيجاد كرته واستمر بالتقدم والتعمق بين جذوع الأشجار المنتصبة حتى خرج لمساحة دائرية

خلت من الأشجار وتوسطها بئر حجري وقفت على طرفه الكرة وكانت تتدحرج للأمام والخلف. استغرب الفتى من المنظر وكيف قطعت الكرة كل تلك المسافة واستقرت بهذا الشكل على طرف البئرة. لم يتقدم الفتى نحوها خطوة، ليس خوفاً أو خشية بل رغبة منه في التمعن بذلك المشهد المميز والعجيب. وبعد دقائق من التأمل قرر أخذ كرته والعودة لأهله لكن ما أن تقدم نحوها حتى بدأت الكرة بالتقافز مكانها على طرف البئر مما دفعه للجري لالتقاطها قبل أن تقع وسط البئر لكن ما أن وصل للحافة حتى قفزت الكرة لقاع البئر. أطل الفتى برأسه في الظلمة وهو يقول بصوت مرتفع:

«إلى أين تذهبين؟!»

لم يسمع الفتى الصغير صوت ارتطام للكرة أو أي مؤشر على أن هناك ماء أو قاعاً لتلك البئرة وأمضى وقته سارحاً في تلك العتمة السوداء حتى صدر صوت من البئر قائلاً:

«هل تريد كرتك؟»

(الفتى) دون أن يجزع: من أنت؟

(الصوت القادم من البئر): هل تريد كرتك؟

(الفتى) مبتسماً: هل تريدها أنت؟.. يمكنك أخذها واللعب بها إذا أردت ذلك؟

(الصوت القادم من البئر): لا أريدها..

(الفتى) بتعجب: لمَ أخذتها إذا إن كنت لا تريدها؟

صوت زمجرة يصدر من البئر..

(الفتى) بنبرة متسائلة: هل أنت جائع؟

(الصوت القادم من البئر): سأعيد لك الكرة إذا تمكنت من حل أحجية..

(الفتى): أحجية؟.. أنا أحب الأحاجي.. قلها لي ويمكنك الاحتفاظ بالكرة لا أريدها

(الصوت القادم من البئر): يجب أن تحل الأحجية بمقابل..

(الفتى): لا أريد منك شيئاً

(الصوت القادم من البئر): بل تريد..

(الفتى): أريد ماذا؟

(الصوت القادم من البئر): أمك وأبوك يغطان في نوم عميق الآن وسيستيقظان إذا حللت الأحجية..

(الفتى) دون أن يبدي أي تأثر لما سمع: هل هما متعبان لهذه الدرجة؟.. لقد وصلنا للتو..

(الصوت القادم من البئر): سيستيقظان إذا حللت الأحجية..

(الفتى): وإذا لم أحل الأحجية؟

(الصوت القادم من البئر): لن يستيقظا أبداً..

(الفتى): هل هذه طريقتك للفت الانتباه والحصول على الاهتمام؟

(الصوت القادم من البئر): قتلت في الماضي وسأقتل في المستقبل ولن أحاسب اليوم أو غداً مهما حدث.. من أنا؟

(الفتى) وهو يضع كوعه على طرف البئر ويسند ذقنه لكفه وبكل برود: السلاح.. اسمع.. لمَ لا نلعب لعبة أخرى غير لعبة الأحاجي هذه؟

(الصوت القادم من البئر) وهو يزمجر: سيفيق والداك بعد عودتك لهما..

(الفتى) بلا اكتراث: دعك منهما الآن.. أخبرني عنك.. أشعر بأنك شيء مميز

صمت الصوت ولم يجب..

(الفتى): لا تتوقف عن الحديث الآن.. أكمل.. أخبرني من أنت؟

(الصوت القادم من البئر): خلق من خلق الله..

(الفتى): جميعنا من خلق الله.. من أنت حقاً؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الفتى) وهو يزفر ضجراً: ما حكايتك مع الأحاجي؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى؟

(الفتى): أليس من المفترض أن يكون هذا دوري لقول الأحجية أم أنك تحب اللعب وحدك؟

(الصوت القادم من البئر): هات ما عندك وإذا أجبتك وسأجيبك فستعاقب.

(الفتى) ضاحكاً: أنت مثل أمي تماماً!.. تعاقبني على كل شيء.. حسناً لكن إذا لم تجب أريدك أن تنفذ طلبي

(الصوت القادم من البئر): هات ما عندك ..

(الفتى): مممم.. لو صفعتني أمي وصفعني أبي.. فمن سيتألم أكثر؟

(الصوت القادم من البئر): أمك..

(الفتى) ضاحكاً: بل أنا يا أحمق!

صوت زمجرة قوية قادم من البئر..

(الفتى): هل أنت غاضب؟

(الصوت القادم من البئر): ما هو طلبك..؟

(الفتى): لا أعرف.. ماذا يمكن أن تقدم لي؟

(الصوت القادم من البئر): أي شيء تشتهيه نفسك

(الفتى): أريد كرتي..

قفزت الكرة على الفور خارج البئر وتدحرجت لمسافة قريبة. جرى الفتي خلفها بسعادة وبدأ يركلها ويلعب بها بجانب البئر . بعد دقائق من الصمت خرج صوت من البئر قائلاً: هل ترغب في أحجية أخرى..؟

(الفتى) دون أن يلتفت تجاه البئر راكلاً الكرة نحو شجرة: لا.. لقد سئمت من أحاجيك!

(الصوت القادم من البئر): سوف أقتص لك من (شادي) إذا حللت الأحجية التالية..

توقف الفتى عن اللعب وأدار نظره نحو البئر وقال بهدوء صاحبه بعض القلق: (شادي)؟

(الصوت القادم من البئر) : نعم.. الذي يضربك كل يوم ويوقعك في المشكلات دوماً

(الفتى): وماذا ستفعل به؟

(الصوت القادم من البئر): أي شيء تريد.. فقط حل الأحجية..

سار الفتى نحو البئر وعندما أصبح عند حافته قال: ما هي الأحجية..؟

(الصوت القادم من البئر): تذكر أنك ستعاقب إذا لم تحلها.. أخف من الريشة وأرق من الزجاج لكن لا أحد يستطيع حملي مدة طويلة.. من أنا؟

(الفتى) دون أن يتردد للحظة: فقاعة الصابون..

(الصوت القادم من البئر): بشر ذكي.. ما المصير الذي تريد أن يواجهه شادي؟

(الفتى): أن يصبح إنساناً أفضل.. فقط هذا ما أريد

(الصوت القادم من البئر): لك ذلك..

حمل الفتى كرته وهم بالرحيل لكن الأشجار من حوله تلاصقت وأغلقت جميع المنافذ للخروج من المكان فقال وهو يراقب ذلك السور الخشبي العالي الذي تكون أمامه: حيلة جميلة يا سيد بئر ..

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى..؟

عاد الفتى لحافة البئر حاملاً كرته وقال باسماً: أنت محتال يا سيد بئر ولا تنوي تركي حتى تنتصر أليس كذلك؟

(الصوت القادم من البئر): هل ترغب في أحجية أخرى..؟

(الفتى): لكنه دوري الآن..

(الصوت القادم من البئر): هات ما عندك ..

(الفتى) واضعاً الكرة تحت إبطه: بهذه الطريقة سأبقى هنا للأبد.. أنت مغرور ولا ترضى بالهزيمة

(الصوت القادم من البئر): هات ما عندك..

(الفتى) مبتسماً: لا تنسَ طلبي عندما تفشل بحلها..

صوت زمجرة قادم من البئر تبعه نبرة غاضبة تقول: هات ما عندك!!

(الفتى) ضاحكاً: هدئ من روعك سيد بئر.. حسناً.. ما الذي أستطيع مسكه بيدي اليسرى لكن من المستحيل أن أمسكه بيدي اليمنى؟

صمت البئر ولم يحدث صوتاً..

(الفتى) بتهكم: ما بك؟ .. أجب ..

(الصوت القادم من البئر):.. لا أعرف ..

(الفتى) ضاحكاً: كوعي الأيمن!

صوت زمجرة قوية جداً قادم من البئر ..

(الفتى) بتهكم: على قدر حبك للأحاجي أنت فاشل فيها يا سيد بئر..

استمرت زمجرة البئر وصاحبها اهتزاز للأرض من حوله تساقطت على أثره بعض أوراق الشجر ....

(الفتى): أعتقد أننا اكتفينا أحاجي لليوم.. أفسح لي الطريق كي أعود..

(الصوت القادم من البئر) بغضب شديد: لا!

(الفتى): لقد خسرت.. تقبل هذا وأفسح لي الطريق لأعود لأهلي.. وتوقف عن ألاعيبك

تباعدت جذوع الأشجار بعضها عن بعض وعادت كما كانت..

(الفتى) وهو يهم بالرحيل: شكراً سيد بئر..

(الصوت القادم من البئر) بهدوء: هل يمكن أن تمنحني فرصة أخيرة؟

(الفتى): فرصة ماذا؟

(الصوت القادم من البئر): فرصة.. أخيرة..

(الفتى): حسناً سيد بئر.. أشعر بمعاناتك.. أنت لا تستطيع التوقف عن سرد الأحاجي وفي الوقت نفسه لا تستطيع قبول الخسارة.. سوف أريحك.. لكن بشرط.. أن تحل أنت الأحجية وليس أنا..

(الصوت القادم من البئر): أقبل بشرطك.. وستعاقب إذا حللتها..

(الفتى): نعم.. ستعاقبني.. هذا كل ما يدور في خلدك.. هل أنت مستعد لأحجيتك الأخيرة؟

(الصوت القادم من البئر): نعم..

(الفتى): تخيل الآن أنك محاط بعشرة أسود جائعة وأنك مشلول ومصاب بالعمى والصمم أيضاً.. ما هي فرصة نجاتك حياً من هذا الموقف؟

(الصوت القادم من البئر): معدومة..

(الفتى) بتهكم: أنت لا تؤمن بالمعجزات إذاً؟

(الصوت القادم من البئر) بانتشاء: لقد حللت الأحجية وستعاقب!

(الفتى) باسماً: عفواً سيد بئر.. فرصة النجاة حتمية ومؤكدة لأني قلت لك: «تخيل» فالموقف في رأسك ولا يحدث على أرض الواقع ومهما كان خيالك جامحاً فهو لن يصيبك بمكروه.. أليس كذلك؟

اهتز البئر بقوة وزمجر بقوة أكبر وتساقطت بعض الأشجار جراء ذلك..

(الفتى) مبتسماً: هل أطلب طلبي الآن؟

(الصوت القادم من البئر) بنبرة مشبعة بالانكسار والانهزام: اطلب..

(الفتى) والابتسامة تزول من على وجهه: أن تخرس.. تخرس للأبد ولا تصدر صوتاً آخر.. لا زمجرة ولا غيرها.. تكون بئراً كسائر الأبار الأخرى..

لم يصدر البئر صوتاً آخر وبدأت الحجارة المحيطة به بالتضعضع والتساقط داخله واحدة تلو الأخرى حتى أصبح مجرد حفرة في الأرض..

سار الفتى عائداً من حيث أتى يركل كرته مبتسماً وهو يقول:

«الكرة مستديرة .. الكرة تحب أن تُركل بقوة .. »

القلوب الخائفة لا تهدأ والأعين المراقبة
لا تنام..

منار

أمطار غزيرة مثل كل يوم في هذه الغابة البائسة..

برق ورعد بعد المطر الغزير كالمعتاد وليس قبله...

ملابسي تحللت من البلل المستمر لسنوات..

جلدي تقشر ولم أعد أشعر بشيء من الألم..

الغفوات الصغيرة التي أسميها نوماً لا تدوم طويلاً..

لا يتركونني أغفو.. ما أن يروا عينيّ مغمضتين حتى يفزعوني بصرخاتهم القبيحة وضحكاتهم الأقبح..

لن أنهي حياتي كما يريدون.. أنا لم أختر الدخول لعالمهم..

هل صديقي ارتاح بعد موته؟

أشد على نصلٍ حادٍّ صنعته من الأغصان لحمايتي..

أرى وميضاً في الأفق..

نوراً لأول مرة أشاهده بعد كل هذه السنوات الطويلة..

هل يعقل أن موعد رحيلي قد حان؟

لدي رغبة جامحة بالعدو تجاه ذلك الوميض لكن سنوات الجنون التي عشتها هنا تشلني.. تجمدني مكاني..

يجب أن أحاول على الأقل..

الوميض بدأ يخفت..

لا أريد أن أندم..

سأجري نحوه حتى وإن كان في ذلك هلاكي..

ماذا حدث؟ ..

لم أشعر بشيء بعد أن رميت بنفسي في ذلك الوهج الأبيض..

لمَ أنا في مكان مظلم؟..

ملقاة على الأرض..

المكان جاف.. دافئ.. شعور لم أشعر به منذ زمن طويل..

أسمع صوت خطوات تقترب مني في الظلمة..

يجب أن أدافع عن نفسي..

ممسكة بالنصل الخشبي المدبب..

من سيقترب مني سيجده في قلبه..

صرير باب يشق أذني.. شخص ما يدخل

من خلفه ضوء خافت ..

ظل وظلال يغطيني بعد النور..

الظل يقترب..

أقفز صارخة غارسة للنصل في صدره..

نسقط معاً على الأرض وأسمع غرغرته في دمائه..

تستحق ما حدث لك..

أرفع عينيّ وأضعها بعينيه لأجد متعة أكبر في مراقبته وهو ينازع الموت..

سنوات الجنون ستنتهي اليوم..

..إنه.. إنه أبي..

إنها غرفتي..

لقد عدت...

يمكنك تكذيب ما تراه عيناك وما يُلقى

على مسامعك..

لكن ليس ما يشعر به قلبك..

كوخ العسل

طائرة تهبط في مطار إحدى الدول الأوربية الباردة..

يبدأ الركاب بالنزول تباعاً..

من ضمنهم عروسان حديثا الزواج أتيا لهذه الدولة لقضاء أسبوعهما الأول من شهر العسل بناءً على رغبة الزوجة..

كانت رغبتها أو حلمها كما أسمته هو أن تقيم في كوخ وسط الطبيعة العذراء بعيد كل البعد عن المدنية وضوضائها وهو حلمها منذ الطفولة..

بذل الزوج الجديد كل جهده للبحث عن ذلك الكوخ وبالمواصفات التي وصفتها له خلال فترة الخطبة وقد وجد غايتها على سفح جبل ثلجي في هذه الدولة الأوربية..

كان الكوخ يقع على مسافة سير ثلاث ساعات بالسيارة جزء منها عبر طريق جبلية وعرة..

استأجر الزوج سيارة مخصصة لمثل هذه الرحلة واستقلها مع زوجته باتجاه الكوخ الذي استأجره ودفع تكاليف الإقامة فيه سلفاً عبر الإنترنت ولا يعرف عنه شيئاً سوى الصور التي شاهدها في الموقع الإلكتروني الذي أنهى فيه جميع إجراءات الحجز وحتى صاحب الكوخ كان التواصل معه عبر الرسائل الإلكترونية فقط وقد أخبرهما بأنه سيترك مفاتيح الكوخ تحت سجادة الترحيب عند عتبة الباب.

وصل العروسان بعد قطعهما مسافة ساعة على الطريق الوعرة صعوداً نحو سفح الجبل الثلجي الضخم. لم يصلا للقمة لكنهما توقفا عند بحيرة كبيرة متجمدة أحاطت بها غابة كثيفة من الأشجار الطويلة تغطت أوراقها بالثلوج البيضاء وكان الكوخ الذي استأجراه يُطل على تلك البحيرة المتجمدة ومن خلفه تقبع غابة كبيرة ممتدة. نزلت الزوجة من السيارة ومن ورائها زوجها وأعينهما مندهشة من المنظر الخلاب أمامها.

(الزوج) مقترباً من زوجته: ما رأيك بالمكان؟

(الزوجة) وهي سارحة في البحيرة المتجمدة: رائع.. رائع جداً.. هذا بالضبط ما كنت أحلم به

قبل أن يعانق الزوج زوجته عانقتها ريح باردة دفعتها لاحتضان نفسها بالرغم من ارتدائها معطف فروٍ سميكاً. عندما شاهد الرجل زوجته ترتجف برداً ضمها مبتسمًا ثم أشار لها مبتسماً باللحاق به لمدخل الكوخ كي يحتميا من الريح الباردة التي عصفت بهدوء في المكان عصر ذلك اليوم. سارت الزوجة بخطوات سريعة متقاربة وهي لا تزال محتضنة نفسها ووصلت لزوجها الذي مد يده تحت سجادة الترحيب عند عتبة الباب وأخرج سلسلة ضمت ثلاثة مفاتيح وعلى الفور جرب المفتاح الأول فلم يفتح فقالت زوجته الواقفة خلفه وهي ترتجف: «ما الأمر؟»

(الزوج) مجرباً المفتاح الآخر: لا تستعجلي..

فُتح الباب ودخل الاثنان على عجالة ضاحكين هرباً من البرد..

منظر الكوخ من الخارج وبالرغم من جماله إلا أنه لم يعكس جماله الباهر من الداخل فقد صُنع كل شيء من الخشب وتوسط المكان مدفأة كبيرة من

الطوب الأحمر صُف على جوانبها قطع من الحطب متنوعة الأحجام وأمام تلك المدفأة أريكة كبيرة صنعت من قماش أسود مخملي فاخر وتحتها فُرش فروٌ أبيض ناعم لحيوانٍ ما. ضج المكان بالدفء والحميمية في جميع أركانه. الكوخ لم يكن كبيراً فقد تكون من غرفة واحدة كبيرة بالأسفل بمطبخ صغير وسلم خشبي يقود لغرفة نوم أصغر بالأعلى مفتوحة على الطابق السفلي.

(الزوج) مبتسماً: كيف وجدتِ المكان؟

(الزوجة) وهي تتقدم أكثر لوسط الكوخ بانبهار وابتسامة عريضة: «لا توجد كلمات يمكن أن تصف شعوري الآن..»

بات الاثنان تلك الليلة أمام نار كبيرة أشعلاها في المدفأة..

استيقظ الزوج صباحاً على الأريكة وحده فنهض ببطء ونادى على زوجته بهدوء لكنها لم تجب عليه ولم يرها في الكوخ حوله فلبس معطفاً وخرج للخارج ورآها من بعيد تقف على ضفاف البحيرة المتجمدة تتأمل المنظر بهدوء. ابتسم ولم يقاطع خلوتها بنفسها في ذلك المكان الذي حلمت به لسنوات عديدة وعاد للداخل ليعد لنفسه ولها مشروباً ساخناً. بعد دقائق دخلت الزوجة بهدوء وأغلقت الباب خلفها وعلى وجهها ابتسامة صغيرة ونظرت لزوجها بصمت فبادلها الابتسام وهو يسير نحوها وفي يده كوبان من القهوة السوداء تصاعدت أبخرتها الساخنة ومد أحدهما لها وهو يقول: صباح الخير..

أخذت الزوجة الكوب بكلتا يديها واحتضنت دفأه بكفوفها وقربته من خدها بأعين مغمضة وهي تقول: صباح الأحلام المحققة..

ابتسم الزوج وتوجه للمدفأة التي كان لا يزال بها بعض الجمر المشتعل المتبقي من النار التي أوقداها الليلة السابقة وأخذ يُطعمها بعض الحطب ليعيد لها الحياة وزوجته تراقبه وتحتسي قهوتها الساخنة. بدأت أصوات صرقعة النار تتصاعد خلال التهام النار للحطب الجديد فأشار الزوج لها بالاقتراب منه والجلوس على الأريكة المخملية السوداء والاستمتاع بالأجواء الحميمية ففعلت. خلال جلوسها واحتضانهما بعضهما لبعض أمام المدفأة واحتساء مشروبهما الساخن قالت الزوجة ورأسها على صدر زوجها:

«هذه الأماكن تعطي شعوراً مغايراً في الصور.. »

(الزوج): ماذا تقصدين؟

(الزوجة) وهي تزفر: لا أعرف.. توقعت أن أشعر بشعور مختلف.. شعور براحة وطمأنينة أكثر في مكان جميل كهذا لكني عندما استيقظت اليوم وخرجت للخارج أحسست بوحشة وقليل من الخوف ولا أدري لماذا ..

(الزوج) مبتسماً: أنتِ لست معتادة على المكان فقط..

(الزوجة) وهي تحدق بألسنة النار المتراقصة في قلب المدفأة:

«قضاء أول أيام زواجي في مكان كهذا كان حلمي منذ الطفولة وقد حققته لي وأشكرك على ذلك.. أشكرك حقاً.. لكن.. مراقبة شروق الشمس هذا الصباح صاحبها إحساس مختلف عما حلمت به.. شعرت بالرعب.. الرعب من الأصوات الصادرة من الغابة خلفي.. الريح الباردة التي عصفت في أذني.. الموت البارد المحيط بي ويريد معانقتي.. أدركت وقتها أن للطبيعة وجهين

وأنا كنت أحدق بالوجه الآخر هذا الصباح.. لم أعتقد أن للجمال وجهاً قبيحاً...

(الزوج) ممازحاً: أرجو أن لا أقول ذلك عنك بعد فترة من زواجنا

(الزوجة) ترفع رأسها من على صدره وتنظر له بخليط من التعجب والازدراء..

(الزوج) مبتسماً: ما بكِ؟ .. أنا أمازحك فقط

نهضت الزوجة بوجه متجهم ولم تجب عليه وفتحت الباب وخرجت للخارج..

(الزوج) وهو يزفر: بدأنا..

بعد أقل من دقيقة نهض الزوج وخرج خلفها ووجدها تقف عند شرفة المنزل تعانق نفسها من البرد تراقب البحيرة المتجمدة من بعيد فدنا منها وقال: أعتذر عما قلت ..

(الزوجة) دون أن تلتفت إليه: أريد العودة..

(الزوج) باستغراب: تعودين إلى أين؟

(الزوجة) وهي تدير وجهها نحوه وتقول بصرامة: نعود للديار!.. المكان موحش ولا أستطيع البقاء هنا أكثر !

(الزوج) بتجهم: لقد دفعت تكاليف باهظة لإقامة أسبوع كامل!

(الزوجة): لا يهمني!.. أريد العودة!

(الزوج) بغضب مشوحاً بيده وعائداً للكوخ: عودي وحدك! .. أنا لن أرحل من هنا قبل انقضاء المدة التي دفعت قيمتها!

دخل الزوج وجلس على الأريكة أمام النار المشتعلة تاركاً باب الكوخ مفتوحاً على مصراعيه وبعد دقائق قال بصوت مرتفع: «ادخلي يا حمقاء وإلا أصبتِ بالبرد واتركي عنك هذا العناد!»

لم تجب عليه زوجته فنهض بعبوس وخرج ليجدها على الأرض مغشيّاً عليها..

فتحت الزوجة عينيها ليلاً أمام النار على الأريكة المخملية السوداء وهي مغطاة بلحاف صوفي وزوجها يقرب من فمها ملعقة وهو يقول: «تناولي بعض الحساء الساخن..»

(الزوجة): جسدي يرتجف..

(الزوج) وهو لا يزال يمد الملعقة عند فمها: لقد أصبتِ بنزلة برد..

(الزوجة) لمَ جسدي يؤلمني..؟

(الزوج): هل تريدين أن أزيد حطب النار بالمدفأة؟

(الزوجة) وهي ترتجف: أريد الرحيل من هنا فقط..

(الزوج) يضع الحساء جانباً ويلمس جبين زوجته بكفه قائلاً:

لمَ ترجفين هكذا؟.. هل تشكين من الحمى؟

(الزوجة): رجفة البدن لها أسباب كثيرة.. البرد.. الخوف..

(الزوج) رافعاً كفه من على جبينها قائلاً: الخوف من ماذا؟

(الزوجة) ولهب النار المشتعلة يلمع في عينيها: من أن واقعي لن يرقى لأحلامي..

(الزوج): كل هذا بسبب الكوخ.. كنت أظنك ستسعدين بالقدوم إلى هنا

(الزوجة): أنا سعيدة.. سعيدة أن هناك شخصاً يهتم بي ويخاف علي ويسعى لتحقيق ما أصبو إليه وهذا بحد ذاته حلم جميل وتحقق.. لكن أرجوك لنرحل من هنا.. لا أشعر بالطمأنينة في هذا المكان

(الزوج) مبتسماً: حسناً.. سنرحل أول الصباح..

اتسعت عينا الزوجة وتغيرت ملامحها للجزع وقالت: ما هذا الصوت؟!

(الزوج) باستنكار: أي صوت؟

(الزوجة) بتوتر وقلق شديد: ألم تسمع ما سمعته للتو؟!

(الزوج): لقد أخبرتك بأننا راحلان في الغد.. اهدئي

(الزوجة) بعصبية: هل تتهمني باختلاق المشكلات؟!.. أنا متيقنة بأني سمعت صوتاً آتياً من الخارج!

(الزوج) رافعاً نظره نحو باب الكوخ: لعله حيوان ما عبر فوق مجموعة من الأغصان..

(الزوجة) محتضنة نفسها: هذا المكان يزداد وحشة كل دقيقة..

(الزوج) بنبرة مطمئنة: اقتربي مني ولنجلس أمام النار.. لنستمتع بوقتنا فهذه آخر ليلة لنا هنا ويجب أن لا تحمل ذكريات سيئة..

صوت سقوط شيء ثقيل على الشرفة الخارجية..

(الزوجة): هل سمعت؟!

(الزوج) بتوتر : نعم.. سأخرج لأرى..

(الزوجة) وهي تشده من ملابسه: تخرج إلى أين؟!.. لا تتركني وحدي!!

نهض الزوج وأشار لزوجته بالهدوء ريثما يعود وخرج من الكوخ تاركاً الباب مفتوحاً خلفه وهي تطل بنصف رأسها وتراقبه من خلف الأريكة وبعد ثوانٍ قليلة من خروجه وخلال مراقبتها للظلام القادم من الخارج تحركت درفة الباب قليلاً فاختبأت وغطت نفسها باللحاف الصوفي وبدأت ترتجف من الرعب وبعد قليل سمعت الباب يُغلق وخطوات تقترب منها ثم أحست بشيء يلمس ظهرها فصرخت مفزوعة لترى زوجها وعلى وجهه علامات التعجب وهو يقول: ما بكِ؟

(الزوجة) وهي تبكي وتصرخ فيه: لمَ تحاول إخافتي هكذا؟!.. هل أنت مريض؟!

(الزوج) بتعجب وبنبرة هادئة: أنا لم أحاول شيئاً.. أنتِ من تخيفين نفسك بنفسك.. لا يوجد شيء بالخارج

نهضت الزوجة بوجهٍ متجهم وصعدت للغرفة العلوية وهي تقول: سأنام بالأعلى ولا تفكر باللحاق بي!!

(الزوج) وهو يجلس على الأريكة بعبوس: لا تقلقي هذا آخر شيء سيخطر على بالي.. تصبحين على خير..

لم ترد عليه وصعدت السلالم الخشبية محدثة صريراً خلال صعودها والزوج يراقب النار بملامح غاضبة.. لم تمضِ ثوانٍ معدودة حتى صرخت الزوجة مستنجدة.

(الزوج) واضعاً كفه على وجهه: ماذا الآن؟

صعد الزوج السلالم الخشبية وهو يتذمر قائلاً: متى ستتوقفين عن..

(لم يكمل جملته عندما وصل للأعلى وشاهد زوجته متسمرة بوجه مرعوب تحدق بأعين متسعة وفم مفتوح بما كان يقف فوق سريرهما. دنا منها واقترب حتى لامس معصمه ظهر يدها وهمس إليها وهو يشاركها النظر بنفس الرعب والريبة: ما هذا؟

(الزوجة) بصوتٍ خفيض وخوفٍ شديد ونظرها لا يزال مرتكزاً على ما كان أمامها وفوق سريرها: هل ترى ما أراه؟

(الزوج) بنبرة متوترة وهامسة: نعم.. ما هذا؟

(الزوجة): لا أعرف.. هل هذا ظهره أم قفاه؟

(الزوج) ممسكاً يد زوجته ببطء وحذر وهامساً لها: هيا لننزل قبل أن يلحظ وجودنا..

كانت ردة فعلها المباشرة أنها تشبثت بزوجها وصرخت بشكل هستيري: «لنخرج من هنا!!»

انتبه الشيء لصراخها والتفت بسرعة نحوهما أتبعه بقفزة سريعة باتجاههما مما أرعب الزوجة أكثر لتدفع بشكل لا إرادي زوجها ليتدحرج من على السلالم ويرتطم رأسه بالقاع. نزلت الزوجة بسرعة للاطمئنان على زوجها فوجدته في حالة دوخان وعدم قدرة على الوقوف أو الكلام. لم تلحق أن تعاونه على النهوض لأن ذلك الشيء بدأ بنزول السلالم ببطء. حاولت شد زوجها بكل قوتها لإبعاده عن قاع السلالم وهي تراقب ذلك الشيء المخيف يقترب منها نزولاً. عندما انتصف الطريق بذلك الشيء وقبل أن يصل إليهما جرت الزوجة نحو المدفأة وسحبت أحد الأسياخ التي تستعمل لتقليب الجمر وأخذت تصرخ في ذلك المخلوق لتشتت انتباهه عن زوجها الملقى على الأرض ونجحت في ذلك حيث إنه رفع رأسه بعد توقف مؤقت استأنف السير بعدها نحوها متجاوزاً زوجها ومقترباً منها.

عندما أصبحت المسافة بينهما لا تتجاوز المتر بدأت الزوجة تشوح بالسيخ بلا شعور بأعين مغمضة يميناً وشمالاً بنية ضرب ذلك الشيء. فتحت عينيها بعد أن توقفت عما كانت تقوم به ولم تشاهد المخلوق وعم الهدوء المكان فوجهت نظرها نحو زوجها الذي أشار بسبابته خلفها وهو عاجز عن الكلام.

أدارت نظرها وراءها لترى الشيء يقف أمام المدفأة ينظر إليها وبلا شعور وفي لحظة جزع ركلته وسط النار وسحبت الشبك الحديدي الخاص

بتغطية المدفأة ومنعته من الخروج فبدأ الكائن بالصراخ بطريقة مخيفة وشبه بشرية محاولاً دفع الشبك والهرب من تلك المحرقة لكن الزوجة دفعت بكل قوتها لتمنعه من ذلك بالرغم من حرارة المعدن التي تصاعدت. بعد وقت لم يدم طويلاً توقف الكائن عن الصراخ والحركة وسقط على الحطب المشتعل وأنهت النار التهامه. رفعت الزوجة كفوفها المحترقة من على الشبك الساخن وهي تبكي وأسندت ظهرها للجدار بجانب المدفأة تراقب زوجها المصاب والذي استعاد بعض عافيته وقال لها بثقل:

«يمكننا العودة للديار الآن.. يبدو فعلاً أن واقعنا لم يرقى الحياة لأحلامنا..»

متى سيدرك البعض أن الحياة

ستمضي بهم أو بدونهم؟

أحلام سعيدة

عزيزي القارئ..

هذه الرسالة موجهة لأي شخص يرغب في مساعدتي للتخلص من المعاناة التي أعيشها كل يوم فإذا كنت تود مد يد العون لي فأكمل القراءة..

وإلا فتوقف الآن ولا تكمل الرسالة..

«... أقبل ما يُنص وأتحمل ما يُرسل سأحمل الثقل وأسمع ما يُنقل...»

شكراً لأنك اتخذت قرار مساعدتي وقرأت العبارة السابقة..

هناك شيء يلاحقني في يقظتي ومنامي..

ينتهك خصوصيتي في كل فرصة تواتيه..

يظهر لي في الزوايا والمرايا..

حرمني لذة نومي ومتعة حياتي..

شيء من عالم آخر ..

عالم مظلم ظالم..

رائحته عفنة..

لا يحمل عطفاً أو شفقة.. فقط الألم.. والكثير منه..

أُعاني من كوابيس مخيفة توقظني بجزع وتصيبني بالرعب من العودة للنوم..

أقاوم غفواتي قدر استطاعتي.. .

لكن مقاومتي لا تدوم للأبد قبل أن أغفو منهكة من التعب..

أحياناً قبل أن أغمض عينيّ لأعود لعالمه أسمع صوتاً أو أرى ظلّاً خاطفاً..

أشعر بحماسه للاعتداء علي مجدداً خلال نومي..

أنا مرهقة.. أنام دقائق معدودة في اليوم فقط..

لم أكن أريد نقل ذلك الشيء لك لكني بلغت مرحلة اليأس..

أنقله ولعنته لتبقى معك..

ممتنة لأنك ستحمل عني هذا الحمل الثقيل الذي كان مطبقاً على صدري..

حالي سيتغير الآن لأنك ساعدتني وقرأت رسالتي والفضل يعود لتضحيتك

الليلة ستكون زيارته الأولى لفراشك..

لا تقاوم كثيراً فهو يحب ذلك ويدفعه للقيام بأمور مقيتة ..

فقط استسلم لما سيحدث وتقبله.. حتى ينتهي..

أحلام سعيدة الآن..

سعيدة جداً..

لا تجادل مجنوناً في جنونه وإلا وجدت نفسك
تشاركه ذات الجنون ..

سن الغزال

صالح.. فتى يتيم في الثامنة من العمر ..

يعيش مع جدته وخاله بعد وفاة أمه وأبيه في حادث سير..

خاله كان تاجر عقار فاشلاً وذا حظ سيئ..

بدد معظم أموال راتبه في استثمارات خاسرة ومع ذلك لم يستطع ترك تلك الهواية التي أصبحت كالقمار الذي يحرق كل دخله..

(صالح) وهو يدخل على خاله في غرفة المعيشة جرياً ويقول بحماس وصوت مرتفع: خالي!.. خالي!.. انظر !

(الخال) يغلق الجريدة التي كان يتصفحها ويوجه نظره لشيء مده (صالح) بأصابعه الصغيرة: ما هذا؟

(صالح) مبتسمًا وكاشفاً عن فقدانه لأحد أسنانه الأمامية الكبيرة: سني!.. لقد سقط! انظر يا خالي لقد سقط سني الأمامي!

(الخال) ضاحكاً: نعم! نعم! .. أستطيع رؤية ذلك.. مبارك

(صالح) بحماس: سوف أرميه وأطلب سن غزال!.. سأقول: اخذ سن الحمار واستبدل به لي سن غزال!»

(الخال): ماهذه الهرطقات؟.. عن ماذا تتحدث؟

(صالح): جدتي تقول إني لو رميت سني في السماء وطلبت سن غزال بدل من حمار فستكون أسناني جميلة

(الخال): تطلب مِن مَن بالضبط؟

(صالح): لا أعرف لكن هذا ما تقوله ..

(الخال) وهو يفتح الجريدة مرة أخرى: اسمع يا عزيزي.. أبوك رحمه الله كانت أسنانه أسنان حمار وأمك التي هي أختي الحبيبة رحمها الله أسنانها أيضاً ليست كالغزال لا من قريب أو بعيد وأجدادك كذلك كانوا يستطيعون بأسنانهم قضم الحبال وكسر الحجارة فبالله عليك من أين ستحصل على أسنان غزلان؟

(صالح): لكن جدتي تقول..

(الخال) مقاطعاً خلال قلب صفحات الجريدة ونظره في مقالاتها: جدتك تحاول رفع معنوياتك.. استعد للصدمة الوراثية التي تخبئها لك جيناتك

(صالح) قبل أن يخرج غاضباً: سترى!.. ستكون أسناني كأسنان الغزلان!

(الخال) وهو يهز الجريدة ويكمل القراءة:

«ومن قال إن أسنان الغزلان جميلة من الأساس..؟ »

بعد أقل من . ساعة عاد (صالح) لخاله مطأطئ الرأس وجلس بجانبه وهو يتابع التلفاز..

(الخال) وهو يقلب محطات التلفاز بجهاز التحكم دون أن يلتفت إلى ابن أخته: ما بك؟

(صالح) بحزن: لقد رميت السن في الهواء وطلبت سن غزال..

(الخال) ببرود: وماذا حدث؟

(صالح): سقط في فمي مرة أخرى وأنا أراقبه خلال ارتفاعه ولم أحصل على شيء

ضحك خال صالح بقوة..

(صالح) بحزن: جدتي خدعتني..

حمل الخال ابن أخته الصغير ووضعه في حجره وقال له: لا يا صالح.. جدتك لم تكذب عليك لكن كما أخبرتك هناك عوامل كثيرة تمنع تحقيق ذلك.. الأمر ببساطة وراثة.. آباؤك وأعمامك أسنانهم هكذا وأنت ستسير على الطريق نفسه مجبراً

(صالح) والابتسامة تعود لمحياه: حسناً.. سأجرب طريقتك!

(الخال): أي طريقة؟

(صالح): طريقة الجنيات!

(الخال) بتعجب: الجنيات؟ .. وما دخل الجن بأسنانك؟.. ومتى قلت لك إن الجن لهم علاقة بالموضوع؟

(صالح): الجنيات التي قلت إنها السبب الحقيقي لحصولي على أسنان الحمار

(الخال) بعد تفكر سريع: آه.. تقصد الجينات

(صالح) وهو يهز رأسه مؤيداً: نعم.. الجنيات!

(الخال) ضاحكاً: المشكلة يا صالح إذا كانت الجينات عادلة فسوف تمنحك أسناناً تناسب تفكيرك وأنت لا تفكر كالغزلان

(صالح): ما الطريقة؟

(الخال): أي طريقة؟

(صالح): الطريقة التي أتبعها كي تمنحني الجنيات سنّاً جميلاً كالغزلان!

توقف الخال عن محاولة شرح الأمر بمنطقية لذلك الطفل الصغير المتحمس للحصول على أسنان الغزلان وقرر مجاراته في خيالاته الطفولية مثلما فعلت جدته بل وقرر كذلك أن يزيد عليها ويخلق قصة أكثر تشويقاً للفتى الصغير.

(الخال) وهو يرفع صالح من حجره ويجلسه بجانبه: اسمع يا صالح.. الجنيات تختلف طريقة عملهم عن تلك التي تعمل بها تعويذة جدتك فهم لن يمنحوك سن الغزال هكذا مباشرة لأنك رددت طلباً في الهواء فهم أشبه بالقطاع الخاص الذي لا يعمل بدون مقابل وجدتك كالقطاع العام تمنح

دون أن تطلب شيئاً منك سوى الانتظار وبالطبع سيطول انتظارك حتى ترى نتيجة وقد لا تراها

(صالح) بفم مفتوح: لم أفهم..

(الخال) مبتسماً: فقط ضع سنك الليلة تحت وسادتك قبل النوم وفي الصباح سأخبرك بما يجب أن تفعله

(صالح) بحماس: حاضر!!

عند حلول الليل نفذ (صالح) ما أخبره به خاله ووضع سنه تحت المخدة وأسند رأسه عليها وغط في النوم. بعد ساعة تقريباً خرج خاله من غرفته مرتدياً ملاءة بيضاء فوق رأسه وسار متوجهاً لغرفة (صالح) وخلال سيره رأته أمه وقالت بنبرة حسرة:

«هل فقدت عقلك يا بني بسبب تلك المشاريع الخاسرة...»

(الخال) وهو متحجب باللحاف الأبيض: يبدو كذلك يا أمي.. تصبحين على خير

دخل الخال الغرفة واقترب من رأس (صالح) ومد يده تحت الوسادة وأخذ السن ثم مد يده في جيبه وأخرج عملة ورقية بقيمة مائة ريال ووضعها مكان السن وقبل أن يسحب يده فتح (صالح) عينيه الناعستين وقال وهو نصف مستيقظ :

«هل أنتِ الجنية التي قال لي عنها خالي؟»

ارتبك الخال وسحب الغطاء وغطى ملامح وجهه بالكامل وقال بعد تغيير نبرة صوته: «نعم يا صغيري.. عُد للنوم الآن..»

(صالح) والنوم يغالبه: صوتكِ ليس صوت جنية..

(الخال) وهو يعيد رأس (صالح) إلى الوسادة برفق: «أنا زوج الجنية.. زوجتي مشغولة اليوم.. عد للنوم»

(صالح) مغمضاً عينيه ومستسلماً للنعاس: صوتك يشبه صوت خالي..

(الخال) رافعاً الغطاء الأبيض من على رأسه مبتسماً بعد ما تيقن من نوم (صالح):

«تجارة العقارات أفقدت خالك عقله وجعلته يمتهن ترويع الصغار ليلاً.. أحلاماً سعيدة أيها الجحش الصغير..»

في اليوم التالي دخل (صالح) على خاله وكما جرت العادة وجده يقرأ الجريدة ويحتسي الشاي فقال له بحماس وهو يمد له العملة ذات المئة ريال:

لقد جاءت الجنية لي البارحة ووضعت هذه تحت وسادتي!!

(الخال): وهو يأخذ المبلغ ضاحكاً:

لقد اشترت منك سنك الساقط ومنحتك مقابله بعض المال..

(صالح): وماذا أفعل بالمال؟ .. أشتري سن الغزال؟

(الخال): ستشتري شيئاً به لكن ليس سن غزال..

(صالح): أنا لا أفهم شيئاً مما تقول يا خالي

(الخال) يهز الجريدة ويعاود القراءة: ستفهم لاحقاً.. اذهب الآن والعب بعيداً عني واتركني أكمل هذا الخبر عن مزاد المخطط الجديد في المدينة

أكمل (صالح) الصغير اللعب وأكمل خاله القراءة عن المزاد الذي كان فاتحة خير عليه وعلى العائلة بأكملها فقد استثمر خال صالح فيه مبلغاً من المال وحقق أرباحاً كبيرة نقلتهم من حالة معيشية إلى حالة مختلفة وتحولت حياتهم بين ليلة وضحاها من الفقر إلى الثراء. مضت السنون وورث صالح أسنان أبيه ولم تكن أسنان غزلان بل كانت كما هو متوقع وتنبأ به خاله بل أسوأ.. كبيرة وبارزة شوهت ضحكته وسببت له إحراجاً مع كل من يقابل لكن ذلك لم يكن عائقاً أمامه كي يكمل دراسته ويتخرج من الجامعة.

بعد وفاة جدته تزوج الخال وأخذ ابن اخته ليعيش معه ومع أسرته ورباه كأحد أبنائه لذا عند وفاة خاله بعد بلوغ (صالح) العشرين من العمر وتحديداً قبل تخرجه بأيام كانت الصدمة قوية وحزنه عليه أكبر بكثير من أبنائه وزوجته فخاله كان له بمثابة الأخ الأكبر الذي تحول لأب مع تقدمه في العمر .

قرر (صالح) ترك منزل خاله بعد وفاته والعيش وحده خاصة بعد انقلاب زوجة خاله عليه وحرمانه من كل شيء نعم به في السابق. لم يكن الاستقلال بحياته سهلاً فهو لم يكن يملك دخلاً وخاله هو من كان يصرف عليه فاكتفى بالعودة لبيت جدته القديم والإقامة فيه والعمل بشكل متقطع في بعض الأعمال البسيطة ليعيل نفسه. شيئاً فشيئاً ومع مرور أشهر بدأت حالته المادية تتحسن لدخوله في التجارة بشكل بسيط جداً ووفر له هذا دخلاً متواضعاً دفعه للتفكير بالزواج لكن هاجس أسنانه الكبيرة طارده وجعله

منطوياً ومتردداً فعزف عن الفكرة في نهاية المطاف وآثر علاج نفسه قبلها مما اقتنع أنه علة جسدية ستعكر صفو حياته مهما أقنع نفسه بعكس ذلك.

توجه بعد عدة أسابيع لعيادة خاصة بطب الأسنان ليرى ما إذا كان هناك شيء يمكنهم القيام به لعلاج أسنانه فاقترح عليه الطبيب عملية لخلع تلك الأسنان وزراعة أسنان جديدة أقل حجماً لكن تكاليف تلك العملية الباهظة بددت حلمه في الحصول على أسنان طبيعية. قرر (صالح) بعد تفكير الاقتراض من البنك كحلٍّ أخير فجلس مع أحد موظفي البنك وبالطبع شرح له الموظف أنه لا يمكن منحه المال دون أن يكون لديه حساب بالبنك.

(صالح): كيف أفتح حساباً لديكم؟

(موظف البنك) وهو يدخل بعض البيانات على الحاسوب: فتح الحساب لا يستلزم شيئاً سوى بطاقة التعريف الخاصة بك.. هل تملك واحدة؟

(صالح) يخرج هويته الوطنية ويمدها للموظف: نعم..

(موظف البنك): حسناً.. خلال دقائق سوف أفتح لك حساباً وتكون عميلاً عندنا

(صالح): وهل هذا سيعطيني حق الاقتراض؟

(موظف البنك): نعم إن كنت موظفاً

(صالح): لا لست موظفاً

(موظف البنك) مبتسماً وهو ينهي إجراءات فتح الحساب: إذاً نتشرف بك كعميل لدينا فقط.

(صالح) بخيبة: حسناً

(موظف البنك) وهو يمعن النظر في الشاشة بتعجب: هل أنت متيقن من أنك لم تفتح حساباً لدينا من قبل؟

(صالح): أنا لم أدخل بنكاً في حياتي..

(موظف البنك): غريب.. يوجد لك حساب لدينا وباسمك

(صالح): ربما يكون تشابهاً في الأسماء

(موظف البنك): نحن نعتمد على رقم السجل المدني وليس الحساب.. هناك حساب باسمك أنشئ قبل ١٢ عاماً وكان أول مبلغ وضع فيه هو ١٠٠ ريال

(صالح): غريب..

(موظف البنك): نعم.. هل تريد السحب من المبلغ؟

(صالح): وماذا سأفعل ب ١٠٠ ريال؟.. اتركها في الحساب..

(موظف البنك): لا يا عزيزي.. حسابك كان يتلقى حوالة ثابتة شهرياً بقيمة عشرة آلاف ريال طيلة تلك الفترة ولم تتوقف الحوالات إلا قبل عدة أشهر فقط.. حسابك الآن يتجاوز المليون ريال

(صالح) بتعجب شديد: ماذا؟.. كيف؟ .. لا بد وأن هناك خطأ ما؟

(موظف البنك): لا يوجد خطأ.. جميع الحوالات موضحة هنا بالرقم والتاريخ

(صالح): حوالات ممن؟

(موظف البنك) مدققاً في الشاشة: من حساب شخص يدعى (ظافر).. هل تعرفه؟

ابتسم (صالح) ودمعت عينه عندما سمع اسم خاله وتذكر ما قاله له عندما كان صغيراً يوم سقوط سنه وتذكر المئة ريال تحت وسادته ويبدو أن خاله قد استخدمها في ذلك الاستثمار المربح الذي دخل فيه وهذا كان فيها يبدو نوعاً من الأمانة التي أحب أن يردها له أو المساعدة غير المباشرة لابن أخته اليتيم.

(موظف البنك): سيد (صالح).. هل تعرف هذا الشخص؟

(صالح) وهو يمسح دمعته: نعم .. شخص كان يدعي أنه جنية تشتري الأسنان.. لكنه كان ملاكاً يُهدي الحب..

مدعي المثالية ناقص في كل النواحي. .

ذاكرة النسيان

أفتح عينيّ من نوم عميق..

يباغتني شعور بأني نسيت شيئاً ولا أستطيع تذكره..

أمر حدث بالأمس قبل استسلامي للنعاس..

قلق ينمو وتوتر يتصاعد من هذا الضياع الذهني..

وجدت أول خيط يدلني..

ورقة صغيرة كتب عليها خربشات لا تقرأ..

كم أنا أحمق.. لمَ لم أكتبها بشكل أوضح..

هل كتبتها وأنا أنعس قبل النوم؟

أم أني خشيت أن يقرأها أحد..

ينتابني شعور أن ما أرغب في تذكره أمر معيب أو مشين؟

أجلس على طرف سريري أفرك عينيّ وأعتصر أفكاري..

تذكرت..

ليتني لم أتذكر..

أريد نسيان الأمر الآن..

كان يجب أن أعرف..

أن النسيان نعمة لا ننعم بها إلا من بعد نقمة..

هناك ألف سبب وسبب لتبكي..
ومثلها أضعافاً لتصرخ..

الحيوان

تخرجت من الجامعة بدرجة مقبول في تخصص البيطرة..

«طبيب بهائم» كما كان يعيّرني أصحابي..

أعتقد أنني أنا من كان البهيمة لإهمال دراستي وحصولي على معدلٍ متدنٍّ..

في كل مرة أتقدم فيها لوظيفة تلائم تخصصي يضحك من يقرأ ملفي بصوت مسموع لي دون مراعاة لمشاعري بسبب نسبتي المنخفضة..

أرى في أعين الناس الشماتة.. أسوأ شيء من عدم إيجاد عمل هو اقتراحات الناس عليك بالعمل في وظائف أقل من مستواك العلمي..

لا يهمني المنصب أو الراتب لكني لن أعمل في مجال غير تخصصي مهما كان ذلك العمل..

قدمت ملفي الهزيل وسيرتي الذاتية المتواضعة في كل مكان يمكنه أن يُرضي طموحي الوظيفي لكنهم جميعاً وبلا استثناء لم يقبلوا بي ضمن طاقم عملهم لذا تدريجياً ومع تراكم الردود الرافضة والمحبطة أو التجاهل المتعمد قررت تخفيض سقف طموحاتي وبدأت بالبحث عن عمل في أماكن أقل شأناً لكن لا تزال ضمن نطاق تخصصي مثل محلات بيع الحيوانات الأليفة أو حتى الصيدليات البيطرية كبائع بالطبع وليس صيدلانياً لأن تلك الوظيفة

تطلبت مؤهلات لم أكن أملكها على الورق. أقول هذا لأني لم أكن جاهلاً بتخصصي فشغفي بالحيوانات يعود للصغر وكنت ملمًّا بالكثير من شؤونها وعاداتها وأنواعها ولكن عندما تحول الأمر للدراسة لا أعرف ماذا حدث لي. أصبحت أحصل على درجات متدنية في التخصص الذي أعشقه. لن ألقي باللوم على أساتذة الجامعة أو أي شيء آخر سوى إهمالي.

على أي حال.. بعد مرور أشهر من البحث وتوزيع عدد لا حصر له من ملفات طلب التوظيف تلقيت اتصالاً صباح أحد الأيام من رجل عرف نفسه بـ (أبي عبدو) وأخبرني أنه يريدني في عمل ما فسألته إن كان إحدى الجهات التي قدمت عليها في الماضي فأجابني بالنفي فتساءلت عن كيفية حصوله على رقم هاتفي فقال:

«هل تريد الوظيفة أم لا؟»

أجبته بالقبول المبدئي شريطة أن أعرف طبيعة عملي وهل هي في مجال تخصصي فأكد لي أنها في مجال تخصصي وأنه لن يلزمني بشيء قبل أن أطلع على طبيعة العمل المطلوب مني بكل وضوح فأنهيت المكالمة معه على وعد لقاء عصر ذلك اليوم ولا أنكر أني في البداية شعرت ببهجة وسعادة كبيرة لكن تدريجاً تسللني القلق وساورني الشك.

لمَ يريدني أنا بالذات؟

لمَ اتصل بي وهناك الكثير غيري مؤهلون أكثر مني؟

لعل الراتب منخفض..

أو ربما العمل ليس بتلك الأهمية ولا يحمل مسؤوليات كثيرة أو مهمة..

في كل الأحوال لا يهم..

المهم أن يكون ضمن تخصصي وليس عملاً لا علاقة له بشغفي..

عصر ذلك اليوم استقللت سيارة أجرة لأني لا أملك سيارة خاصة بي وتوجهت للعنوان الذي زودني به (أبو عبدو) وعندما وصلت تفاجأت ببوابة ضخمة وسور أضخم وقد بدا من تصميم ونقوش تلك البوابة أنها غالية الثمن وأن من يسكن هنا ميسور الحال. ظننت أن العنوان سيكون لمزرعة ما للمواشي أو مستشفى بيطري أو أي شيء له علاقة بالحيوانات لكن ما رأيته أمامي بعد ترجلي من سيارة الأجرة ومحاسبة السائق هو عقار خاص كبير وفخم. بحثت عن وسيلة للإعلام بحضوري على الباب فلم أجد جرساً أو أي شيء من هذا القبيل وخلال بحثي فُتحت البوابة وخرج منها رجل في الستين من عمره تقريباً وكانت خلفه سيارة صغيرة لا يزال محركها يعمل فرحب بي وعرف بنفسه. كان الرجل هو (أبا عبدو) الذي تواصل معي بالهاتف وطلب مني الركوب معه فركبت دون سؤال وبدأنا نسير على طريق معبد وفي الأفق كنت أستطيع مشاهدة فيلا كبيرة جداً بدا أنها مقر سكن من كنت سأعمل عنده .

لم أتحدث خلال الطريق ولم أسأل عن أي شيء يتعلق بطبيعة العمل الذي يريد مني القيام به بالرغم من رغبتي بذلك لكني كنت مبهوراً بما رأيت لأنه خالف توقعاتي. قبل أن ينتصف الطريق بيننا وبين تلك الفيلا الكبيرة خرج (أبو عبدو) عن مساره وسار في الطريق الترابي المحاذي للطريق المعبد وهنا سألته:

«إلى أين نحن ذاهبون؟»

(أبو عبدو): إلى مقر عملك الجديد بالطبع؟

- هل يمكن أن تشرح لي طبيعة عملي هذا؟

(أبو عبدو): لقد اطلعت على ملفك وسيرتك الذاتية ولدي فكرة كاملة عن مؤهلاتك

- هل هذه محاولة منك لتقليب مواجعي كي أخضع للراتب المتدني الذي ستعرضه علي؟

(أبو عبدو) ضاحكاً: لم هذا التشاؤم؟.. راتبك سيكون أعلى من أي طبيب بيطري أو حتى بشري متخصص في هذه المدينة.. ومن المؤكد أنه سيتجاوز راتب عميد الكلية التي تخرجت منها

- ولمَ أنا بالذات؟.. كان يمكنك الحصول على شخص أكثر تأهيلاً مني

(أبو عبدو): صحيح لكنه لن يملك قدرتك ومهارتك في استخدام السلاح

- السلاح؟

(أبو عبدو): نعم.. ألم تذكر في سيرتك الذاتية أنك تجيد استخدام البندقيات والأسلحة الخفيفة؟

- بلى صحيح.. لكن هذه هواية أمارسها من باب الترفيه فقط ولا علاقة لها بتخصصي

(أبو عبدو): هل استخدمت بندقية تخدير من قبل؟

- لا

(أبو عبدو): هي لا تختلف عن البنادق العادية في التعشيق والإطلاق.. الفرق الوحيد هو نوع الذخيرة

- كلامك هذا مقلق ولا يطمئن.. ما نوع العمل الذي تريد مني مزاولته؟ .. ولمَ راتبها مرتفع هكذا؟

(أبو عبدو): الراتب الذي ستتقاضاه لن يكون مقابل عملك فقط..

- مقابل ماذا إذاً؟

- (أبو عبدو): السرية والكتان.. هذا هو أهم شيء مطلوب منك ولو أثبت جدارتك فسوف تحصل على زيادة دورية في راتبك أيضاً

بالرغم من أن (أبا عبدو) رجل بشوش الوجه إلا أن كلامه كان مقلقاً جداً ولم أستطع أن أجادل كثيراً معه وقررت الانتظار ورؤية طبيعة هذا العمل الذي تحدث عنه. ظهر في الأفق بعد دقائق من صمتنا مبنى كبير مكون من دور واحد فقط. سور ذلك المبنى منخفض لكن الأشجار الكثيفة خلفه كانت كالغابة الاستوائية ولاحظت أن السور الحجري ثبت فوقه مجموعة من الأسلاك الشائكة علقت عليه بعض اللوحات التحذيرية تحذر من الاقتراب أو دخول المبنى وأحدها حذر من أن السور مكهرب.

- ما هذا المكان؟

(أبو عبدو) وهو يوقف السيارة بجانب السور: مكان عملنا

- عملنا؟

(أبو عبدو) وهو يترجل من السيارة: نعم.. هيا اتبعني

نزلنا من السيارة وسرنا بمحاذاة السور حتى وصلنا لبوابة وقف عندها حارسان مسلحان ببندقيتين فزاد توتري. أخرج (أبو عبدو) بطاقة من جيبه وأبرزها للحارسين وقال وهو يشير إلي: «إنه معي..»

أشار أحد الحارسين برأس بندقيته بصمت لنا بالدخول فدخلنا متجاوزين البوابة التي فتحت لنا كهربائياً وما أن تجاوزناها أغلقت مرة أخرى. سرت في تلك الغابة الكثيفة خلف (أبي عبدو) على طريق ضيق لا يمكن لسيارة أن تسير فيه وأنا حتى أقول:

«أرجوك اشرح لي ماذا يحدث... »

(أبو عبدو) وهو مستمر بالسير: لم يحدث شيء بعد.. نحن في طريقنا لمقر عملنا فقط

- متى سيحين وقت شرحك لطبيعة هذا العمل؟

(أبو عبدو) وهو يشير أمامه: عملك سيكون هناك ..

وجهت نظري حيث أشار فشاهدت مبنى صغيراً دخلناه ورأيت أنه مكون من ثلاث غرف. هنا بدأ (أبو عبدو) بالشرح وقال مشيراً للغرفة الأولى:

هذه غرفة المراقبة وستجد فيها كل ما تحتاجه من طعام وشراب فهي مزودة بثلاجة وفرن صغير وركن لإعداد القهوة والشاي وعلى الجانب توجد دورة مياه صغيرة يمكنك إحضار ما تشاء معك والاحتفاظ به هنا والغرفة الأخرى هي غرفة المولدات وبها مولد أساسي ومولد احتياطي

صغير سيعمل تلقائياً لمدة ساعتين فقط في حالة تعطل المولد الأصلي وهذا يحدث من وقت لآخر لأن المولد الأساسي ترتفع حرارته أحياناً

- ولمَ لا تستبدلون به مولداً جديداً؟

(أبو عبدو) مبتسماً: معك حق وأتفق معك تماماً ونحن بصدد استبداله -

ومن هو المالك لهذا المكان؟

تجاهل (أبو عبدو) سؤالي وأشار للغرفة الثالثة قائلاً: هذه غرفة الأسلحة..

- الأسلحة؟

(أبو عبدو): نعم.. لم يستخدمها أحد قط وأتمنى أن لا نضطر لذلك.. الأسلحة الموجودة بها ليست قاتلة فكلها بندقيات تخدير وحبال تقييد وفخاخ تقويض حركة..

- فهمت الآن.. هذه محمية للحيوانات النادرة يملكها رجل ثري وهذه هوايته

(أبو عبدو) وهو يسير نحو غرفة المراقبة: هو حيوان واحد فقط وهذه ليست محمية..

دخلنا غرفة المراقبة والتي تكونت مما ذكره (أبو عبدو) سابقاً لكن ذلك لم يكن سوى جزء يسير منها فبقية الغرفة خصصت لشاشات عرض كبيرة اصطفت على الجدار. عددها ست شاشات مراقبة تحديداً وأسفل منها جهاز للتحكم بها. جهاز التحكم يشبه في شكله لوحة المفاتيح التي

نراها بأجهزة الحاسوب لكنه أكبر قليلاً وبتنسيق مختلف عما اعتدنا عليه.

(أبو عبدو): هنا ستقضي معظم وقتك..

- أقضيه في ماذا تحديداً؟

أشار (أبو عبدو) لي بالجلوس على كرسي خلفي وجلس هو أمامي وشرح لي مهام عملي: هذا المكان يضم حيواناً نادراً ومهمتنا جميعاً هي ببساطة إطعامه ومراقبته الأربع والعشرين ساعة لأنه يستلزم عناية خاصة.
الحيوان لا يخرج إلا ليلاً لأن الشمس تؤذيه وتلك الفترة هي التي ستكون أنت موجوداً فيها. سوف تطلق له طعامه الذي ستستلمه من الحراس بالخارج عند وصولك عصر كل يوم وهو سيخرج لتناوله بعد المغرب.

- أطلقه؟

(أبو عبدو): نعم.. سيكون كائناً حياً حسب الجدول الغذائي وتتركه يتجول في المكان لأن هذا الكائن لا يحب أكل اللحم الميت. قبل الغروب لا تتجول في المكان وعد للمبنى فوراً وأقفل على نفسك ولن تحتاج للقيام بشيء آخر حتى الصباح.

- ما الحاجة لهذه الكاميرات إذاً؟

(أبو عبدو): هي للمراقبة كما قلت لك وهي كذلك تقوم بتسجيل كل ما يجري في المكان على مدار ٢٤ ساعة

- أشعر أنك تخفي علي شيئاً.. حديثك به الكثير من الثقوب وكأنك تتحاشي إخباري أمر ما

(أبو عبدو): اسألني ما تشاء وسأجيبك..

- هل هذا الحيوان متوحش؟.. هل يمكن أن يلحق الضرر بي؟

(أبو عبدو): مهام وظيفتك واضحة ولن تتعدى هذا المبنى وستكون بمأمن إذا لم تخرق قاعدة واحدة فقط..

- ما هي؟

(أبو عبدو): لا تفتح الباب أبداً لأي سبب حتى تشرق الشمس.. هل تفهم؟

- ماذا لو كان هناك حالة طارئة؟.. هل يمكنني استخدام هاتفى؟

(أبو عبدو): هاتفك لن يعمل في هذا المكان.. فجدران المبنى العازلة تحجب الإرسال

وجهت نظري لشاشة هاتفي ورأيت أنه بالفعل لا يوجد أي إرسال فقلت بنبرة شبه معترضة: هذا وضع غير طبيعي.. ماذا لو نشب حريق؟ .. ماذا لو تعرضت لأزمة قلبية؟

(أبو عبدو) مبتسماً: هناك طفاية حريق خلفك وتعرضك لأزمة قلبية مستبعد جداً.. إلا إذا فتحت الباب ..

قلت والتوتر يزداد في قلبي: ماذا تقصد..؟

(أبو عبدو) ينهض قائلاً: المهم.. مهما حدث ومهما سمعت لا تخرج من هذا المبنى بعد الغروب وسوف آتي مع الشروق لاستلام المناوبة النهارية.. هناك طعام وشراب ودورة مياه وكل ما تحتاجه كما أخبرتك سلفاً.. فقط أطلق البهيمة قبل غروب الشمس في المكان وأقفل على نفسك حتى الصباح

- أعتقد أني لن أقبل بهذه الوظيفة..

لم يحاول (أبو عبدو) إقناعي بل اكتفى بذكر المبلغ الشهري الذي سأتقاضاه مقابل العمل وكان ذلك كفيلاً بتبديد كل مخاوفي فقد كان المبلغ فلكيّاً ويمكنني من خلاله تأمين مستقبلي في وقت كان قصير جداً فقلت: «متى تريد مني أن أبدأ؟»

مال و شمال بوع

(أبو عبدو): هل تملك سيارة؟

- لا..

(أبو عبدو): هل تملك رخصة قيادة؟

- نعم بالطبع

(أبو عبدو): حسناً.. في الخارج ثلاث سيارات.. اختر واحدة منها وستكون معك للاستخدام الشخصي والوظيفي فترة

عملك.. عد للمنزل اليوم ونل قسطاً من الراحة وكن هنا غداً تمام الرابعة عصراً

- هل ستكون موجوداً؟

(أبو عبدو): نعم.. كي أشرح لك مهامك بشكل عملي بشكل سريـع

- حسناً..

هممنا بالخروج وخلال سيرنا وسط الأشجار الطويلة والكثيفة نحو السور مد لي (أبو عبدو) مبلغاً وهو يقول:

«هذه الوظيفة فرصة لتغيير حياتك فلا تضيعها...»

أخذت المبلغ الذي كان رزمة من فئات عملة كبيرة وقلت:

سأبذل قصارى جهدي..

ركبت السيارة التي اخترتها وقبل أن أرحل بها أنزلت زجاجة النافذة وقلت لـ (أبي عبدو) الواقف عند البوابة: «هل تريد مني شيئا آخر؟»

(أبو عبدو) وهو يشرف على استلام بقرة ضخمة وصلت للتو في سيارة نقل:

«لا.. فقط كن هنا في الوقت نفسه غداً ولا تتأخر»

سرحت في تلك البقرة الضخمة والرجال الذين أوصلوها وبدؤوا بإنزالها لأن الحراس منعوا دخول السيارة من البوابة الرئيسية وقلت في نفسي:

«أي نوع من الحيوانات يتناول وجبة كهذه كل يوم؟»

في اليوم التالي حضرت على الموعد وركنت السيارة وسرت للمدخل الرئيسي حيث أوقفني الحراس ومنعوني من الدخول ومهما حاولت أن أشرح لهم

بأني موظف جديد هنا لم يقتنعوا وهددوني بإطلاق النار علي إذا لم أرحل في الحال. بدأت بالابتعاد عن فوهات بندقياتهم المشهرة نحوي سيراً نحو السيارة للاتصال بـ (أبي عبدو) والاستفسار منه عن ما يحدث. بعد ركوبي اتصلت به فوراً والحراس يراقبونني بوجوه متجهمة. استمر الهاتف بالرنين لفترة حتى فُتح الخط فقلت على الفور: ما الذي يحدث؟!.. لمَ مُنعت من الدخول؟!

(أبو عبدو) بهدوء: أين أنت الآن؟

- في السيارة عند البوابة!.. والحراس فيما يبدو لن يصبروا كثيراً لبقائي!

(أبو عبدو): حسناً ابقَ مكانك ..

أغلقت الخط وبقيت أتصبب عرقاً من الحراس المستائين من وجودي وعدم تحركي بالسيارة حتى خرج لهم (أبو عبدو) وبدأ يتحدث معهم قليلاً وبالرغم من أن الحديث معهم انتهى بالإشارة لي بالخروج من السيارة والاقتراب من البوابة إلا أن تجهمهم لم يزل. عند وصولي للبوابة حيث كان الحراس و(أبو عبدو) قال لي أحد الحراس:

«أبرز بطاقتك في المرة القادمة..»

- أي بطاقة؟

(أبو عبدو) وهو يخرج بطاقة بلاستيكية من جيبه ويمدها لي: بطاقة عملك

أخذت البطاقة منه ووضعتها في جيبي قائلاً: كيف أمدها وأنا لم أستلمها من الأساس؟!

(الحارس) بعبوس: لا تناقشنا في عملنا!

(أبو عبدو) وهو يسحبني مخاطباً الحارس: لن يكررها مرة أخرى..

سرت معه للداخل وأنا أقول بعصبية: لن أكرر ماذا؟!.. أنا لم أقترف خطأ!

(أبو عبدو) يسير مبتسماً: أعترف أن الخطأ خطئي لأني لم أخبرك بضرورة أخذ بطاقة عملك مني بالأمس لكن محاولة إفهام رجال الأمن ستكون وقتاً مهدوراً

- هؤلاء الحمقى غير جديرين بحراسة أي شيء!

(أبو عبدو): على العكس تماماً.. أهم خصلة يجب أن تتوفر في رجل الأمن هي تنفيذ الأوامر بدون تفكير أو عاطفة

- وما هي تلك الأوامر التي جعلتهم يمنعون موظفاً يعمل في المكان من الدخول؟

(أبو عبدو): أن لا أحد يدخل أو يخرج من المكان إذا لم يكن هنا بصورة رسمية وأنت لم تكن تحمل ما يثبت علاقتك بهذا المكان

- لقد رأوني بالأمس!

(أبو عبدو): لمَ نحن نناقش هذا الموضوع؟.. الأمر لا يستحق كل هذا.. هيا لتبدأ عملك

وصلنا بعد أن تجاوزنا نصف الطريق للمبنى الذي من المفترض أن أبقى فيه للصباح ورأيت بجانبه حصاناً بني اللون يأكل بعض الأعشاب التي نمت بجانب الباب فقلت:

«كنت أظن أن المكان ليس بها حيوانات أخرى عدا ذلك الحيوان النادر..

(أبو عبدو) ماسحاً على رأس الحصان: هذا وجبة الحيوان لهذا اليوم.. لقد وصل قبلك وأطلقته عوضاً عنك

- ما نوع الحيوان الذي يعيش هنا؟

(أبو عبدو) متجاهلاً الرد على السؤال ومشيراً للباب قبل أن يهم بالرحيل:

«تثبت من إغلاق الباب قبل المغرب.. »

- كف عن تجاهلي وأخبرني.. ما هذا الحيوان الذي يتناول بقرة بالأمس وحصاناً اليوم؟

(أبو عبدو) وهو يصفع مؤخرة الحصان ليدفعه للجري وسط الغابة: «قد يحالفك الحظ وتراه عبر كاميرات المراقبة الليلة.. »

- أليس له اسم؟

ابتسم (أبو عبدو) لي قبل أن يرحل سائراً عبر الطريق المؤدي للبوابة الرئيسة ..

وقفت عند باب البناية صامتاً أراقبه وهو يختفي بين الأشجار الكثيفة. ذلك المكان بالرغم من وحشته إلا أنه كان جميلاً تتوسطه بحيرة اصطناعية

متوسطة الحجم اكتشفتها خلال جولة قصيرة أخذتها على أقدامي قبل موعد غروب الشمس. تأملت تلك البحيرة المحاطة بالأشجار الطويلة والكثيفة ولم يُسمع في الم المكان سوى زقزقة بعض العصافير التي توقفت فجأة عن التغريد تبعها صوت من الطرف المقابل للبحيرة. الصوت كان أشبه بشيء يمشي على الحشائش اليابسة. تجمد الدم في عروقي وأصابني الرعب الشديد وأنا أسمع ما كان يقترب أكثر وأكثر من طرف البحيرة. تنفست الصعداء عندما ظهر رأس الحصان من بين الأشجار ونزل به للماء وبدأ يشرب.

اقترب المغرب.. عدت أدراجي للمبنى وقبل أن أدخله سمعت صوتاً آتياً من وسط الغابة أشبه بشخص يكح بقوة تبعه عواء كعواء الذئب فقلت في نفسي:

«الحيوان النادر نوع من الذئاب إذاً.. »

دخلت المبنى وأحكمت إغلاق القفل وتوجهت لغرفة المراقبة وبدأت أعد لنفسي كوباً من القهوة وعيناي تتنقلان بين شاشات العرض الست والتي عرضت إحداها الحصان وهو يسير وسط الغابة وأخرى تراقب فوهة ما في جبل صخري صغير لم أمر به خلال جولتي. الكاميرات الثلاث الأخرى صورت مناطق متفرقة من المكان والكاميرا الأخيرة كانت تصور البوابة الرئيسة للمحمية من الداخل.

حملت كوب القهوة واحتسيت رشفة منه وأنا أراقب الشاشات وتدريجياً غابت الشمس وحل الليل وبدأت أشعر بالضجر خاصة وأني لم أستطع تصفح الإنترنت من هاتفي المتنقل واكتفيت بلعب بعض الألعاب المخزنة فيه. وأنا في عمق اندماجي باللعب على هاتفي شعرت أن هناك حركة تحدث

في إحدى الشاشات فرفعت رأسي ولم أرَ شيئاً. الشاشات لم تعرض الكثير ليلاً فأغلب ما صورته هو ظلام دامس مع شيء من التفاصيل غير الواضحة للأشجار وخلال تمعني بها تحرك ظل كبير جرى بسرعة خاطفة من أمام إحدى الكاميرات. ظننت في بادئ الأمر أنه الحصان يجري في الغابة لكن شكي لم يكن في مكانه فقد ظهر الحصان في الشاشة التي عرضت البحيرة ورأيته يقفز فيها وكأن شيئاً ما قد أخافه ودفعه للهرب. راقبت ما يحدث وأنا أحتسي القهوة بهدوء وشاهدته وهو يغرق في البحيرة وقلت وأنا أكمل شرب القهوة:

«يبدو أن وجبة العشاء قد ضاعت منك اليوم أيها الحيوان..»

طفت جثة الحصان فوق سطح البحيرة لدقائق قبل أن تغرق للقاع..

كان ما حدث غريباً فالأحصنة غالباً تجيد السباحة والبحيرة لم تبدُ عميقة. لم يكن ليحدث ذلك إلا إذا كان الحصان مصاباً إصابة بليغة. وضعت كوب القهوة على سطح جهاز التحكم وتوجهت لدورة المياه وقبل أن أفتح بابها سمعت طرقاً..

طرقاً على باب المبنى..

هنا توقف كل شيء..

نفسي.. دقات قلبي.. رمش عيني.. كل شيء..

- من هنا؟!.. من الطارق؟!

هذا ما تمكنت من قوله بالرغم من الرعب الذي شعرت به ولم تأتني الإجابة لكن الطرق عاود مرة أخرى وبصورة أقوى وأكثر إصراراً. سرت بحذر حتى أصبحت قريباً من الباب المقفل وأنا أراقبه يهتز بقوة من الطرق الذي توقف فجأة تبعه

ما يشبه صوت استنشاق قوي وأنفاس ثقيلة. كنت في وضع لا أحسد عليه ويداي ترتجفان من التوتر والفزع.

(أبو عبدو) من وراء الباب: افتح..

تعجبت من سماع صوته..

ما الذي أتى به في هذا الوقت؟.. وأين ذهب تحذيره السابق لي بعدم فتح الباب؟

(أبو عبدو): افتح..

اقتربت من الباب وقلت متسائلاً بخليط من التوتر والريبة: ما الذي تفعله هنا؟.. هل حدث شيء؟

(أبو عبدو) بنبرة غريبة: هناك أسباب.. افتح..

- أسباب؟ .. أسباب ماذا؟

(أبو عبدو): حاجات.. رغبات..

- لمَ تتكلم بهذه الطريقة؟.. ما الأمر؟

(أبو عبدو): الآن.. افتح..

وضعت يدي على القفل لأفتحه لكن ذلك الصمت المريب الذي حل بالمكان جعلني أتردد..

أحسست بترقب من كان يطلب مني فتح الباب ..

صمته كان انتظاراً لسماع القفل وهو يدور..

لم يستطع إخفاء أنفاسه المتلهفة..

أنفاس ثقيلة وساخنة كلهاث الكلب..

- لا لن أفتح..

قلتها وأنا لم أتحقق بعد مما يجري لكن الصرخة التي تبعت رفضي لفتح الباب أكدت لي أن من كان وراء الباب لم يكن (أبا عبدو) بل شيئاً يريد الدخول وإلحاق الأذى بي.. تراجعت للخلف وتوجهت لغرفة الأسلحة وحملت بندقية لم أعلم وقتها إذا كانت محشوة بالذخيرة أم لا لكنها منحتني شيئاً من الطمأنينة التي انتزعت مني. سرت متوجهاً لغرفة المراقبة وبدأت أمعن النظر في شاشات المراقبة لعلي ألمح شكل ذلك الدخيل المنتحل لشخصية (أبي عبدو) فمن الواضح أنه شخص قد أتى لسرقة الحيوان النادر أو شيء من هذا القبيل. الشاشة التي سلطت على المدخل الرئيس للمحمية لم تظهر اختراقاً من أي نوع وبقية الشاشات كذلك لم أرَ بها شيئاً خارج المألوف. عاد الطرق مرة أخرى فاقتربت من المدخل لكنه هذه المرة كان طرقات هادئة تبعها صوت امرأة تقول:

«هل تريد تزاوج؟ »

استغربت بشدة من كلامها ومن الصيغة والعبارة التي استخدمتها وقلت في نفسي: «من الواضح أنهم عصابة كاملة..»

شددت على بندقيتي ولم أجب عليها. استمرت المرأة بمحاولة استدراجي لفتح الباب وتلك المحاولات لم تكن لتنجح لأن طريقتها بالكلام كانت غريبة ومريبة وكأنها مصابة بخلل ما في عقلها فجملها امتزجت بمفردات غير منسجمة لكن المعنى خلفها واضح وهو أن أفتح الباب لها. توقفت المرأة عن المحاولة بعد فترة قصيرة.

رفعت شاشة هاتفي وأنا عائد لغرفة المراقبة لأرى أن الليل ما زال في أوله وأن الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد وعند دخولي للغرفة صدمت بوجه يحدق بي من إحدى الشاشات. وجه لكائن يقف على قوائمه الخلفية كالإنسان وينظر مباشرة في كاميرا التصوير وكأنه يعرف بأني بالداخل. ظننت في البداية أنه نوع من الغوريلات لكن رأسه كان كبيراً وعيناه صفراوان وسوادة عينيه لم تكن مستديرة بل خطين طويلين. أنيابه لم تكن كأي أنياب رأيتها من قبل على كائن أعرفه. بقي ذلك الحيوان الغريب والذي كان واضحاً أنه الحيوان النادر يحدق بي من خلال الشاشة وأكتافه تتحرك صعوداً ونزولاً وهو يتنفس بثقل. الشاشة لم تنقل الصوت، فقط الصورة لكني كنت أستطيع تخيل صوت أنفاسه الثقيلة والساخنة المتلهفة. بالرغم من خوفي مما كان يحدث أمامي إلا أني كنت مطمئناً إلى أنه لن يتمكن من الدخول علي في ذلك المبنى المحصن.

في لحظة خاطفة ابتعد الحيوان عن الشاشة فاقتربت من شاشات المراقبة أبحث عنه ورأيت بعد دقائق أنه وصل جرياً على قوائمه الأربع للبوابة

الرئيسة ووقف كالإنسان وفيما يبدو أنه بدأ يتحدث مع الحراس بالخارج. عندها اكتشفت أن من تحدثا معي وطلبا مني فتح الباب لم يكونا شخصين بل كان هذا الكائن. قلت محدثاً نفسي بعجب شديد: «أي نوع من الحيوانات هذا؟»

أخذ الحيوان يضرب البوابة الرئيسة بغضب شديد لأن الحراس فيما يبدو لم يستجيبوا له وكانوا على علم بحيله. بدأت أفهم ما يحدث.. غرق الحصان في البحيرة حرم ذلك الحيوان من وجبته اليومية وهو الآن في حالة سعار بسبب الجوع وسيبذل المستحيل لتناول الطعام ولا خيار أمامه غيري وقياساً على بنيته الجسدية الضخمة وذكائه الواضح فسوف يتمكن عاجلاً أم آجلاً من اختراق هذا المبنى وافتراسي لذا توجب علي إطعامه بأي شكل. فتحت الثلاجة الموجودة بغرفة المراقبة بحثاً عن أي شيء يمكنه أن يسد رمقه لكن كل ما وجدته كان أشياء بسيطة

ولا يوجد بينها أي نوع من اللحوم. سقطت البندقية من يدي عندما عاد الطرق على باب المبنى بقوة مخيفة صاحبه صراخ وعويل متوحش. الحيوان جائع وأنا وجبته المعلبة وسوف يفتح العلبة قريباً. المبنى لم يكن به نوافذ من أي نوع والمدخل والمخرج الوحيد هو ذلك الباب لذا ومن باب التأمين قمت بدفع بعض قطع الأثاث القليلة وإسنادها للباب خلال طرق الحيوان الثائر.

(الحيوان) من خلف الباب بنبرة هادئة بعد ما توقف عن الطرق:

«أفسح الطريق..»

- أعرف بأنك جائع.. أعدك بأني سأحضر لك الطعام أول الصباح لفوهة كهفك لكن اتركني وشأني الآن

(الحيوان) بعد أن وجه ضربة قوية للباب: الألم!.. لا احتمال..!

- هذا الباب لن يفتح فلا تحاول..

بدأ الحيوان يضحك بطريقة مخيفة جداً وكانت ضحكاته متحشرجة وكأنه يغرغر بماء تبعها صمت وهدوء. ظننت أنه فقد الأمل في الدخول ورحل لكن ما حدث هو أنه بدأ بتحطيم كاميرات المراقبة المنتشرة في المكان فقد أخذت شاشات المراقبة تشوش واحدة تلو الأخرى حتى انقطع جميعها عن الإرسال. تمالكت نفسي ولم أسمح له بالتأثير علي وهز ثقتي بنفسي وحافظت على رباطة جأشي.

تبددت كل الشجاعة التي تحليت بها وحل مكانها جزع لم أشعر به من قبل في حياتي عندما بدأت الأنوار في المكان ترمش لثوانٍ قبل أن يتوقف المولد عن العمل ويهبط ظلام دامس خيم على المبنى بالكامل. استعنت بكشاف النور بهاتفي النقال وذهبت لغرفة المولد لأرى سبب الخلل خاصة وأن المولد الاحتياطي لم يعمل كما هو مفترض. لم أستطع إعادة تشغيل المولد وخلال عبثي به عاد الحيوان وأخذ يضرب باب المبنى بقوة وأنا مطمئن إلى عدم قدرته على تحطيمه.

جلست في غرفة المولد وبندقية المخدر بين يدي وشاشة هاتفي تشير للعاشرة والطرق مستمر على الباب بطريقة وحشية.

الساعة الحادية عشرة ليلاً :

الطرق مستمر دون توقف..

منتصف الليل:

لم يتوقف الطرق .. أشعر بالصداع من الطرق المستمر..

الساعة الواحدة صباحاً:

اعتدت على الطرق وبدأت أتثاءب..

الساعة الثانية صباحاً:

النعاس بدأ يداعب عينيّ وأنا محتضن لبندقية المخدر.. الطرق مستمر ويزداد قوة..

الساعة الثالثة صباحاً:

تنخفض وتيرة الطرق على الباب.. أغفو غفوات قصيرة ومتقطعة..

الساعة الرابعة صباحاً:

الطرق توقف تماماً.. أغرق في نوم عميق..

الساعة الخامسة صباحاً :

أستيقظ مفزوعاً من طرقة قوية على الباب .. الظلام دامس.. أنظر لشاشة هاتفي وأبتسم.. الشمس ستشرق خلال دقائق معدودة وسينتهي هذا اليوم.. أسمع زمجرة قريبة.. الطرقة الأخيرة كسرت الباب.. لقد تمكن من دخول المبنى.. أستطيع سماع محاولاته تحديد مكاني بأخذ أنفاس عميقة ومطولة..

درفة باب غرفة المولد تحدث صريراً.. لقد وجدني..

أحتضن نفسي وبندقيتي.. لا جدوى من استخدامها في هذا الظلام..

رائحة تشبه روث المواشيء تغزو المكان.. زمجرة خفيفة تقترب..

أشعر به يراقبني.. سينقض علي الآن..

جسده يسقط بمقربة مني.. ما الذي حدث له؟.. الظلام حالك السواد ولا يمكنني معرفة ما يجري..

المولد يعمل ويدور مجدداً.. الأنوار ترمش وتشرق في المكان..

الحيوان ملقى أمامي على بطنه بأعين وفم مفتوح.. لكنه لم يكن حيواناً..
كان إنساناً.. إنساناً عارياً..

إبرة بريشة حمراء مغروسة في ظهره..

أرفع رأسي لأرى (أبا عبدو) ممسكاً ببندقية تخدير وينظر لي مبتسماً وهو يقول:

«أرى أنك قابلت المالك..؟»

عندما يتسع القلب ينكمش العقل. .

كنت أعلم

كنت الأقرب إليه وكنت قرة عينه..

أمضى آخر سنوات عمره على فراش المرض..

لم يزره أحد من إخوتي ولم يرَ من ذريته خلالها غيري..

كنت خادمته بكل امتنان..

كان كالطفل الذي لم أحظ به بسبب تكريس حياتي له..

الجميع أثنوا علي وعلى تضحيتي..

كان يصرخ ليلاً ويبكي نهاراً.. كنت أقوم بالعكس..

اجتمع إخوتي أخيراً حوله..

احتاجوا كلمة يسمعونها من الطبيب كي يتيقنوا..

أنه رحل.. أخيراً رحل..

ليعجلوا بدفنه.. ليرثوا أمواله..

لكني كنت أعلم.. أعلم قبلهم جميعاً..

وأنا أراقبه يصارع الموت بحثاً عن نفسه الأخير..

بعد أن لمست يده الباردة وهو يحدق بالسقف بفم مفتوح..

عندما رفعت الوسادة من على وجهه وأعدتها تحت رأسه..

كنت أعلم..

الجهلة يثقون بعضهم ببعض لكنهم لا يثق

البناية

ليلة ماطرة في عاصمة كبيرة مكتظة بالناس والأنوار..

صوت الرعد يهز أركانها بين الفينة والأخرى..

مطرٌ غزير لا يهدأ ولا يهمد

وكأن السماء عازمة على غسل ذنوب سكان تلك المدينة..

سيارة شرطة تقف عند مدخل زقاق وإنارة الإنذار الزرقاء والحمراء تلف وتدور بصمت تحت هديل المطر ..

شرطي يحاول كتابة إفادة الشاهد الوحيد بقلمه على دفتره المبتل..

(الشرطي) ماسحاً بكمه بعض قطرات الماء التي اجتمعت على جبينه وعينيه: «تقول بأنك وجدت الجثة بهذه الحالة..»

(الشاهد): نعم .. مررت بالزقاق ورأيتها مستلقية بهذه الطريقة..

(الشرطي): وما الذي كنت تفعله هنا في هذه الساعة المتأخرة وفي هذه الأجواء الماطرة؟

(الشاهد): كنت ذاهباً للمتجر نهاية الشارع وقد استخدمت الزقاق لاختصار الطريق

(الشرطي): وهل أبلغت عن الحادث من هاتفك المحمول؟

(الشاهد): نعم .. لمَ كل هذه الأسئلة؟ .. هل أنا متهم بشيء؟

(الشرطي) مغلقاً دفتره المبتل: لا.. لا أظنك قادراً على فعل شيء فظيع كهذا خاصة وأنك أنت من أبلغنا عن الجريمة

(الشاهد): هل يمكنني الرحيل الآن؟

(الشرطي): هذا قرار المحقق الجنائي وليس قراري

(الشاهد): أي محقق؟

تتوقف سيارة سوداء بالقرب من سيارة الشرطي..

يترجل منها رجل يلبس لبساً مدنياً..

يبدأ بالسير نحو الشرطي والشاهد الواقفين عند مدخل الزقاق وعندما استقر أمام الشرطي قال: ما الأمر؟

(الشرطي): جريمة قتل.. وهذا الرجل هو من أبلغ عن الحادث..

(المحقق): أين الجثة؟

يشير الشرطي لوسط الزقاق بصمت..

يبدأ المحقق بالسير نحو المكان الذي أشار إليه الشرطي وخلال سيره قال دون أن يلتفت خلفه: ألن تلحق بي؟

(الشرطي): نظرة واحدة تكفيني.. لا أريد مشاهدة تلك الجثة مرة أخرى..

يصل المحقق لوسط الزقاق شبه المظلم ويرى الجثة التي أتى للتحقيق في أمرها لكنه يقف محدقاً بها لثوانٍ ثم يقول بصوت مسموع للشرطي وعيناه لا تزالان على الجثة: «ما هذا؟!»

(الشرطي): جثة امرأة فيما يبدو.. هذا تخميني الأول

تقرفص المحقق عند ما تبقى من أشلاء ما بدا أنها امرأة في أواخر العشرين من عمرها.. كان جسدها مهشماً مفروماً لكن رأسها احتفظ ببعض الملامح.. ملابسها الممزقة عُجنت مع لحمها وبعض أطرافها وضعت بجانبها بطريقة بدت أنها متعمدة وليست عشوائية..

(المحقق) محدثاً نفسه: «أي نوع من البشر يفعل هذا؟»

مد المحقق يده نحو سائل أصفر اللون اجتمع بجانب رأس الضحية ملتقطاً بإبهامه وسبابته بعضه ويفركه على أطرافهما ثم يقربه من أنفه ويشتمه قائلاً: «يوريا..»

(الشرطي) من مدخل الزقاق: ماذا؟!

نهض المحقق من قرفصته أمام الجثة وبدأ بالسير عائداً نحو مدخل الزقاق ماسحاً أصابعه بمنديل قماشي أخرجه من جيبه وهو يقول:

بول بشري طبيعي.. يبدو أنها تبولت خلال قتلها بتلك البشاعة وهذا دليل أن الجريمة حدثت هنا وليس بمكانٍ آخر.. سلاح الجريمة فأس أو ساطور كبير.. هل وجدت شيئاً من هذا القبيل في الجوار؟

(الشرطي): لا.. لقد فتشت المكان

(المحقق): على أي حال هذا متروك لفريق الطب الشرعي كي بحسم الأمر فيه.. هل استدعيتهم؟

(الشرطي): نعم.. إنهم في الطريق

(المحقق): جيد..

(الشرطي): أكره جرائم منتصف الليل..

(المحقق) وأعينه على الشاهد الواقف بينهما: لمَ هي بالتحديد؟

(الشرطي): غالباً ما تكون غريبة وذات نهاية مأسوية

(المحقق) للشاهد: متى اكتشفت الجثة؟

(الشاهد): لقد أجبت على هذا السؤال من قبل.. أرجوكما أريد العودة للمنزل فزوجتي بانتظاري

(المحقق) مخرجاً سيجارة من جيبه: هل كنت تحبها؟

(الشاهد): نعم بالطبع ما هذا السؤال؟

(المحقق) محاولاً إشعال السيجارة تحت المطر الكثيف دون جدوى: تباً لهذه الأجواء!

(الشاهد) وقد بدأ يتوتر: هل يمكنني الرحيل الآن؟

(الشرطي): سترحل عندما نعطيك الإذن بذلك لذا لا تكرر السؤال كثيراً كي لا تضيع وقتنا ووقتك

(المحقق) معيداً ولاعته لجيبه: لمَ قتلتها؟

(الشاهد): قتلت من؟!.. أنا لم أقتل أحدا!.. أنا من أبلغ عن الجريمة فكيف أكون القاتل؟!

(الشرطي): ربما لأنك أحمق..

(المحقق) وأعينه الثاقبة مرتكزة على الشاهد: أو لأنك تريد أن تبعد الشبهات عنك بالإبلاغ عن الجريمة لأنك أدركت أنك أرتكبت خطأ ما سيدينك لاحقاً

(الشاهد) والتوتر يزداد على محياه: أنت تحاول البحث عن كبش فداء فقط !

(المحقق) مبتسماً وواضعاً كفيه في جيوبه: حسناً أيها الكبش.. أنت رهن الاعتقال بتهمة القتل

(الشاهد) صارخاً: لا لن تقبض علي بدون دليل!

المحقق يشير بحاجبيه للشرطي بتقييد الشاهد ففعل بسرعة وألصقه بأقرب جدار وسحب سواعده وراء ظهره وقيده بالأصفاد الحديدية. دنا المحقق من الشاهد ووجهه ملتصق بالجدار المبتل البارد وقال له بهدوء:

«لقد اعترفت بجريمتك منذ أن أجبت على ثاني سؤال طرحته عليك.. لم تستغرق وقتاً طويلاً كي تدين نفسك»

(الشاهد) بتجهم: لن تستطيع أن تثبت شيئا!

(المحقق) وهو يسير عائداً نحو سيارته: هذا متروك للطب الشرعي الذي سيثبت كلامي وحتى ذلك الوقت ستكون في

ضيافتنا..

(الشرطي) وهو يسحب الشاهد ويقوده لسيارته: شكراً يا سيدي على سرعة إنهاء ليلتنا

(المحقق) وهو يفتح باب سيارته السوداء: تثبت فقط أن لا ترحل قبل أن يقوم فريق الطب الشرعي بأخذ الجثة.. المطر أزال معظم الأدلة الحيوية لكنهم سيجدون آثاره عليها بلا شك

(الشرطي) للمحقق وهو يدخل الشاهد في المقعد الخلفي من سيارته ويغلق الباب: هل لي بسؤال قبل أن ترحل؟

(المحقق) مغلقاً باب سيارته منزلاً النافذة ومشعلاً سيجارة على عجالة: ستسألني كيف تيقنت من أنه الفاعل..

(الشرطي) مقترباً من نافذة المحقق المفتوحة واضعاً كفيه على طرفها والمطر ينهمر على رأسه وبصوت مرتفع قليلاً لأن صوت الرعد بدأ يشتد:

«نعم.. كيف عرفت أنه القاتل!»

(المحقق) يأخذ نفساً من سيجارته وينفخه على الزجاجة الأمامية المغطاة بقطرات المطر وهو سارح في أضواء المدينة قائلاً:

«عندما نمسك جوارحنا عن الحديث يقفز عقلنا الباطن لاشعورياً ويتحدث عنا..»

(الشرطي) مبتسماً: لا تريد القول إذاً.. حسناً رافقتك السلامة

أدار المحقق سيارته وقادها مبتعداً عن المكان..

بعد فترة من السير في شوارع المدينة الماطرة تلقى المحقق بلاغاً عبر الجهاز اللاسلكي الذي كان بحوزته عن جريمة أخرى وقعت في الطرف الآخر من المدينة وأنه مطلوب للحضور للتحقيق في ملابساتها. هذا المحقق لا يتم استدعاؤه إلا في الجرائم التي لا يستطيع الشرطة تحديد أسبابها فوراً من التحقيقات الأولية وبسبب سمعة وشهرة هذا المحقق في كشف أي جريمة يحقق فيها أصبح الملجأ الأول لدائرة الشرطة التي يعمل بها فسجله لا يحمل جريمة واحدة قُيدت ضد مجهول وبالرغم من أنه حصل على ترقيات كثيرة بسبب مساهماته إلا أنه رفضها جميعاً لأنها ستخرجه من العمل الميداني للعمل المكتبي وهذا ما أطلق حوله شائعات كثيرة أبرزها أنه يستمتع بمشاهدة منظر الجثث والدماء حتى إن البعض اتهمه بالتعامل بالسحر والجن في حل قضاياه لأنه استطاع حل قضايا مركونة في الأرشيف في أوقات فراغه لزملائه الآخرين والتي قيدوها ضد مجهول مما أوقعهم في حرج مع رؤسائهم الذين اتهموهم بالتقاعس لذلك فهو ليس محبوباً كثيراً عند بقية المحققين لكن الشرطة يحبونه لأنه يختصر الكثير عليهم.

وصل المحقق للعنوان الذي زوده به مركز القيادة ليجد أنها بناية سكنية قديمة شاهقة الارتفاع. أوقف سيارته وترجل منها والمطر لا يزال يهطل بغزارة. توجه سيراً نحو سيارات الشرطة المتوقفة عند المدخل واستغرب عددها فقد كانت ثلاث سيارات يقف بجانبها شرطي واحد فقط تعرف عليه المحقق وقال له:

«كيف حالك يا (حامد)؟»

(حامد): بخير.. توقعت أن مركز القيادة سيستدعيك أنت من بين المحققين

(المحقق): هل الأمر بهذا السوء؟

(حامد): لا نعرف حتى الآن لكن بالتأكيد هذه الجريمة ليست طبيعية

(المحقق): وهل يوجد شيء اسمه جريمة طبيعية؟.. أين البقية؟

(حامد): جميعهم في موقع الجريمة.. شقة بالدور السابع

(المحقق): من أبلغ عن الحادث؟

(حامد): وصلنا أكثر من بلاغ من جيران الشقة.. قالوا إنهم سمعوا أصواتاً وصراخاً صادرة من الشقة

(المحقق) ملتفتاً على سيارات الشرطة: ولم ثلاث دوريات؟

(حامد): الدورية التي وصلت طلبت الدعم..

(المحقق) معيداً نظره نحو الشرطي: هل كان القاتل لا يزال موجوداً بالشقة؟

(حامد): لمَ فرضت أنها جريمة قتل؟

(المحقق): ثلاث دوريات واستدعائي ماذا عساه يكون غير جريمة قتل؟

(حامد) ومعالمه تتغير: لا أعرف ماذا أقول لك لكن..

(المحقق): ما الأمر؟ .. لا تبدو على طبيعتك

صمت الشرطي محدقاً بالعمارة والمطر مستمر بالهطول بقوة..

(المحقق): هل استدعيتم فريق الطب الشرعي؟

(حامد): نعم لكنهم مشغولون في موقع آخر وسيتأخرون قليلاً...

(المحقق): نعم لقد كنت هناك للتو وقد انتهيت من كشف الملابسات بسرعة

(حامد) مبتسماً ونظره للطوابق العليا للمبنى: أعتقد أن هذه القضية ستكون أول قضية تعجز عن فك خيوطها

(المحقق): لم تقول ذلك؟

(حامد) موجهاً نظره للمحقق: اصعد للأعلى وتحقق بنفسك..

(المحقق) وهو يسير نحو مدخل العمارة: الدور السابع أليس كذلك؟

(حامد): بلى.. الشقة رقم (٦)..

دخل المحقق لبهو العمارة الصغير فتوقف لثوانٍ ليخرج سيجارة أشعلها في الحال ثم ضغط على زر استدعاء المصعد. بدأ المصعد بالنزول من الدور الرابع لكنه توقف عند الدور الثاني. حاول المحقق الضغط أكثر من مرة على الزر لكن المصعد لم يتحرك من مكانه فقرر الصعود بالسلالم للدور الثاني وأخذ المصعد من هناك. وصل للدور الثاني وضغط الزر كي يفتح

المصعد لكن ما حدث كان شيئاً غريباً وهو أن المصعد تحرك للدور الثالث وتوقف فقال المحقق محدثاً نفسه في حيرة:

«ما الذي يحدث؟.. هل هذا خلل بسبب الأمطار؟»

قرر المحقق تجاهل المصعد وصعود السلالم للوصول للدور السابع وما أن وصل حتى وجد رواق الدور مكتظاً بالناس وبعض الشرطة الذين يحاولون إبعادهم عن مدخل الشقة (٦).

لمح أحد الشرطة المحقق وتعرف عليه في الحال وقال منادياً عليه:

«تفضل يا سيدي!.. من هنا!»

سار المحقق وشق طريقه بين الناس المتجمهرين والذين بدت على وجوههم الحيرة والتوتر وشيء من السخط وقال عند وصوله للشرطي الواقف أمام مدخل الشقة:

«لمَ الناس مجتمعون هكذا؟.. اطلب منهم العودة لشققهم»

(الشرطي ١): لقد حاولت لكن فضولهم أكبر من قدرتي على ذلك

(المحقق) ناهراً الناس المتجمهرين:

من سيبقى في الرواق سوف آمر بالقبض عليه!.. عودو فوراً لمساكنكم!

ردت سيدة من المتجمهرين بغضب: «نريد معرفة ما حدث!!»

شاركها رجل آخر كان يقف خلفها وبتجهم:

«سوف تغلقون القضية كالعادة ويموت شخص آخر !»

(المحقق): ماذا تقصد كالعادة؟

(الشرطي ١): هذه ليست أول جريمة تحدث في هذه العمارة وبالطريقة نفسها تقريباً

(السيدة) بغضب: نعم ولن تكون الأخيرة وأنتم تكتفون بالتحقيق ولا تلقون القبض على أحد!

(المحقق) متجاهلاً الناس الغاضبين ويشد الشرطي من ذراعه لداخل الشقة ليحل شرطي آخر مكانه في منع الناس من الدخول:

«عن ماذا تتحدث تلك السيدة؟»

(الشرطي ١): لقد وقعت جريمة بالدور الثالث قبل أسبوع تقريباً وبعدها حدثت جريمة أخرى بالدور الخامس بعدها بأيام..

(المحقق): من حقق بتينك الجريمتين؟

(الشرطي ١): المحقق (شاكر)..

(المحقق): وماذا كانت نتيجة التحقيقات التي قام بها؟

(الشرطي ١): قيدهما ضد مجهول..

(المحقق) باستنكار: بهذه السرعة؟

(الشرطي ١): في الحقيقة لا ألومه.. الأمر غريب ولا يوجد أي خيوط يمكن الاستدلال بها على أي شيء

(المحقق): هراء.. جرائم القتل لا ينتهي التحقيق منها بهذه السرعة

(الشرطي ١): تعال معي وانظر بنفسك..

سار الشرطي ومن خلفه المحقق ودخلا غرفة النوم في الشقة حيث كان يقف شرطيان آخران على جانبي السرير وصدم المحقق عندما رأى أن السرير قد تشرب بالكامل بالدماء وكذلك الجدار من خلفه في مشهد مفزع.

(المحقق) مراقباً ذلك المشهد المخيف وبنبرة متوترة: أين الجثة؟

(الشرطي ١): لا يوجد جثة، فقط بقعة الدم هذه

(المحقق): هل هي للضحية؟

(الشرطي ١): الجريمتان السابقتان حدثتا بالطريقة نفسها وتحليل الطب الشرعي أشار أن الدماء تعود للشخص نفسه وأتوقع أن هذه الدماء أيضاً ستشير لذلك أيضاً

(المحقق): الشخص نفسه؟

(الشرطي ١): نعم.. ولا يوجد أثر للساكن الأصلي

(المحقق): لقد أخبرني زميلكم أن الجيران هم من أبلغوا عن الحادث

(الشرطي ١): نعم.. سمعوا صراخ امرأة يأتي من الشقة

(المحقق): هل كانت تقيم وحدها؟

(الشرطي ١): الشقة لم تقم فيها امرأة بل شاب..

صمت المحقق ثم أخذ بضع خطوات نحو السرير الأحمر ووقف بجانبه..

(الشرطي ١): ماذا الآن؟

(المحقق) وعيناه على الجدار الملطخ بالدماء: كم طابقاً في هذه العمارة؟

(الشرطي ١): ثلاثة عشر طابقاً على ما أظن.. لماذا؟

(المحقق) ملتفتاً إليه: الجريمتان السابقتان حدثتا في أي شقة؟

(المحقق) مشعلاً سيجارة: هذا يعني أن الجريمة القادمة ستكون في الدور التاسع الشقة (٤)..

دخل الشرطي الذي خرج سابقاً وقال: لقد تحققت من العدد.. الدور الواحد فيه إحدى عشرة شقة كما أخبرتك

(المحقق) وهو ينفخ سحابة من الدخان: لكن متى..؟

(الشرطي ١): متى ماذا؟

(المحقق): أريد التواريخ التي حدثت بها الجرائم السابقة فوراً

(الشرطي ١): ستكون المعلومات عندك خلال ساعة لكن أخبرني عن ماذا نبحث؟

(المحقق): اترك مسألة التحقيق لي.. نفذ ما أمرتك به فقط

(الشرطي ١) وهو يهم بالخروج مرة أخرى: حاضر.. سأعود للقسم لأحضر المعلومات

(المحقق): ألا يمكنك الحصول عليها بالتواصل معهم هاتفياً؟

(الشرطي ١): هذه المعلومات لا يتم الإفصاح عنها إلا بشكل

(المحقق): تعقيدات غريبة..

(الشرطي ١): لن يطول الأمر يا سيدي لا تقلق

(المحقق) للشرطيين بعد ما خرج زميلهما: أريدكما أن ترافقاني..

(الشرطي ٢): إلى أين؟

(المحقق) رامياً سيجارته تحت قدمه: للشقتين اللتين حدثت بهما الجريمتان الأوليان ومن ثم للشقة (٤) في الدور التاسع..

خرج المحقق بصحبة الشرطيين تاركاً شرطياً آخر لحراسة الشقة وكان في استقباله خارجها السكان الغاضبون مما أسموه تقاعس الشرطة عن الإيقاع بالقاتل فتوقف وسطهم وقال بصوت مسموع للجميع :

«أنا مقدر لحالة الاستياء التي تعبرون عنها ومعكم كل الحق في ذلك وأعدكم أن هذا القاتل سيقع في قبضتنا قريباً لكن هذا لن يحدث بسرعة إذا لم تتعاونوا معنا»

(أحد المتجمهرين) بغضب: لقد تعاونا معكم وأجبنا على جميع التحقيقات والمساءلات التي وجهت لنا دون فائدة!.. الجرائم مستمرة ولم يحدث شيء!

(المحقق): نشكر لكم تعاونكم في الماضي لكن ما أريده الآن منكم هو فقط العودة لشققكم والبقاء بها حتى ننتهي من التحقيق.. رجاءً!

(سيدة من المتجمرين) بتأفف وغضب:

وهذا ما تقولونه دائماً ولا يحدث شيء سوى نسيان الموضوع بعد رحيلكم!»

(المحقق): تجمهركم بهذا الشكل لن يزيد الأمر إلا سوءاً وسيعطلنا عن القيام بعملنا على أكمل وجه لذا كرماً لا أمراً عودوا لشققكم!

بدأت جماهير السكان من الطوابق المختلفة بالتفرق وعلى وجوههم الاستياء والتجهم حتى خلا الرواق من الجميع عدا شاباً وقف دون أن يتحرك محدقاً بالمحقق بوجه بدت عليه معالم الخوف.

(المحقق) للشاب: لمَ لم ترحل؟.. هل تريد شيئاً؟

(الشاب) ويداه مخبأتان تحت إبطيه ونظره للأرض أمامه:

«أنا.. أنا.. أريد أن أقدم إفادة..»

(المحقق) وهو يسير نحو المصعد في نهاية الرواق: سآخذها منك عندما أعود.. انتظرني هنا

عندما مر المحقق بجانب الشاب وقبل أن يتجاوزه أمسك الشاب بذراعه وقال بنبرة مرتعدة: الماء ملوث..

توقف المحقق عن السير والتفت إليه قائلاً باهتمام: أي ماء؟

(الشاب) وقد بدأ يرتعد: ماء الصنبور.. طعمه ورائحته مقيتان كالبيض الفاسد.. الماء يصيب بالمرض!.. الماء يصيب بالمرض!

(المحقق) باستغراب: عن ماذا تتحدث؟

(الشاب): لقد أصبت بالمرض أكثر من مرة بسببه.. .. لا أعرف كيف يتحمل السكان هذا الوضع!

(المحقق): قدم شكواك لمدير البناية هذا ليس من اختصاصنا

(الشاب) يشد على لباس المحقق وبنبرة جنونية: لقد فعلت وهو لا يهتم!.. يجب أن تتدخل الشرطة!

(المحقق) واضعاً كفه على ظهر الشاب وبنبرة مطمئنة: حسناً.. سوف آخذ إفادتك بالكامل وبالتفصيل لكن بعد ما أنتهي من فحص الشقق الأخرى.. أين تقيم؟

(الشاب) رافعاً ذراعه ومشيراً بسبابته للشقة الأولى في الطابق:

هنا..

(المحقق) مطبطباً عليه: اذهب لشقتك وسوف أعود إليك بعد قليل.. اتفقنا؟

هز الشاب رأسه وبدأ بالسير نحو شقته محتضناً نفسه بعدها أشار المحقق برأسه للشرطيين للحاق به نحو المصعد..

(الشرطي ٢) وهو يسير خلف المحقق: ما هذا المعتوه؟

(المحقق): لا تنتقص أحداً في حضوري..

(الشرطي ٢): أعتذر يا سيدي

عند وصولهم للمصعد بدأ المحقق بالضغط على زر الاستدعاء بشكل متكرر لاستدعائه فقال أحد الشرطيين الواقفين خلفه:

«الأمر لا يستدعي تكرار كبس الزر يا سيدي.. مرة واحدة تكفي..»

(المحقق) وعيناه على المؤشر الرقمي لأرقام الطوابق فوق باب المصعد:

هل استخدمتما المصعد عندما وصلتما إلى هنا؟

(الشرطي ٣): نعم لمَ تسأل؟

رن الجرس المعلن عن وصول المصعد..

(المحقق) وهو يدخل: لا شيء.. هيا بنا

توقف المصعد عند الدور الثالث وفُتح بابه ليخرج المحقق ويبدأ بالسير نحو الشقة (١٠) حيث وقعت الجريمة الأولى ومن خلفه الشرطيان وعند وصوله لباب الشقة وجد أنه مفتوح جزئياً فقال: «ألم تغلقوا باب الشقة وتؤمنوه؟»

(الشرطي ٣): لا نعرف فلم نكن نحن من وُجد وقتها.. كان فريقاً آخر

(المحقق) بعبوس: هذا إهمال يُفسد أي دليل يمكن أن نجده!

(الشرطي ٢): لقد انتهى التحقيق في هذه الشقة ولم يعد هناك شيء مهم للحفاظ عليه

(المحقق) وهو يدفع الباب بطرف قدمه محدثاً صريراً حادّاً:

«التحقيق ينتهي عندما توقع بالفاعل فقط.. »

بعد ما أخذ المحقق عدة خطوات داخل الشقة المظلمة أشعل أحد الشرطيين الأنوار لكن المحقق رفع يده قائلاً: أطفئ الأنوار..

نظر الشرطي لظهر المحقق باستغراب وقال: لماذا؟

(المحقق) وهو ينظر لقلب الشقة: نفذ ولا تسأل..

أطفأ الشرطي الأنوار وبقي مع زميله عند مدخل الشقة يراقبان المحقق وهو يحدق بالظلمة. بعد مضي ما يقارب الخمس الدقائق من الصمت والتحديق في العتمة تحدث أحد الشرطيين قائلاً: هل سنبقى هكذا طويلاً يا سيدي؟

(المحقق): هل تسمعان شيئاً؟

(الشرطي ٣): لا أسمع سوى صوت المطر بالخارج.

(الشرطي ٢): أنا أسمع صوتاً كالهواء أو الريح

(المحقق) وهو لا يزال يحدق بوسط الشقة المظلم: نعم بالضبط .. فحيح..

(الشرطي ٣): فحيح؟

(المحقق): أشعل الأنوار..

كبس الشرطي على القابس مضيئاً أنوار الشقة..

سار المحقق لإحدى الغرف وفتح بابها وأطل برأسه فيها وأشعل أنوارها ثم قال: أين حدثت الجريمة؟

(الشرطي ٢): أعتقد أنها وقعت في دورة المياه

(المحقق) مغلقاً الباب: تعتقد؟

(الشرطي ٣): كما أخبرناك يا سيدي نحن لم نكن جزءاً من الفرقة التي حققت في هذه الجريمة

(المحقق) وهو يسير نحو باب آخر ويفتحه: هذا التشتت هو سبب قصور التحقيقات وعدم الوصول لنتيجة..

(الشرطي ٣): نحن نقوم بعملنا فقط والتحقيق ليس من مسؤولياتنا مع فائق احترامي

(المحقق) وقد أشعل الإنارة في الغرفة الثانية والتي كانت دورة المياه :

بقعة كبيرة من الدم.. كما هو الحال في الشقة السابقة..

(الشرطي ٢): جميع الجرائم حدثت بالطريقة نفسها هذا شيء نحن واثقون منه

(المحقق) وهو لا يزال يتفحص دورة المياه بنظره: ولا يوجد جثث أليس كذلك؟

(الشرطي ٣): بلى.. فقط دماء

(المحقق) مغلقاً باب دورة المياه: البداية حدثت هنا ولا بد أن هناك خيطاً نستدل به على سبب هذه السلسلة من الجرائم

(الشرطي ٢): هل تريد أن نذهب للشقة الأخرى الآن؟

(المحقق): لا ليس بعد.. ابحثا معي

(الشرطي ٣): نبحث عن ماذا بالضبط؟

(المحقق) وهو يقلب الوسادات على الأريكة في غرفة المعيشة :

«أي شيء خارج عن المألوف..»

نظر الشرطيان بعضهما لبعض في حيرة..

(المحقق) وهو مستمر بالبحث: هيا لا تضيعا الوقت..

بقى الثلاثة يبحثون ويقلبون في أركان الشقة بحثاً عن أي شيء «غير مألوف» حسب تعبير المحقق ولم يسفر ذلك البحث عن نتيجة فقال أحد الشرطيين للمحقق:

«أعتقد يا سيدي أننا لن نجد شيئاً لم يرَه فريق التحقيق السابق..»

(المحقق) واضعاً كفه على فمه وممعناً النظر بغرفة المعيشة: «لا بد أن هناك شيئاً.. أنا متيقن..»

سار المحقق مرة أخرى نحو دورة المياه وفتح بابها ثم توجه لغرفة النوم وفعل الشيء نفسه ووقف في منتصف غرفة المعيشة وأشعل سيجارة وأخذ يفكر بعمق خلال تدخينها..

(الشرطي ٣) محدثاً زميله: يبدو أنها ستكون ليلة طويلة..

(الشرطي ٢): عندما يحضر فريق الطب الشرعي سينتهي دورنا وسنتمكن من الرحيل

(المحقق): أغلقا الأنوار مرة أخرى وأغلقا باب الشقة..

نفذ الشرطيان طلب المحقق دون جدال..

بقي المحقق وسط الشقة يدخن ويفكر في هدوء لم يعكره سوى صوت الأمطار القوية التي هطلت بالخارج ونقرت بنقاطها سطح النافذة الزجاجي..

(المحقق) محدثاً نفسه: ما الذي لم أنتبه له؟ .. هناك شيء ناقص..

تثاءب أحد الشرطيين من الملل وخلال تثاؤبه قال بصوت مرتفع ومتوتر للمحقق وهو يشير للسقف من فوقه: سيدي انظر!

رفع الجميع أنظارهم لسقف غرفة المعيشة ورأوا مجموعة من الرسومات والرموز الغريبة نقشت بلون أسود..

(المحقق) وعيناه للسقف وبحماس: هذا هو الخيط الذي كنت أبحث عنه!

(الشرطي ٢): ما هذه الرسومات؟

(المحقق): تبدو كشعوذة من نوع ما..

(الشرطي ٣): وهل لهذا علاقة بالجرائم؟

(المحقق) وهو يهم بالخروج من الشقة: هذا ما سنحاول معرفته

(الشرطي ٢): إلى أين يا سيدي؟

(المحقق) يسير نحو المصعد: للشقة (٨) في الدور الخامس..

بعد وصولهم للشقة وجدوا أن بابها مغلق فطلب المحقق من الشرطي الثالث النزول لبهو البناية وإحضار مفتاح الشقة من الاستقبال فرحل على الفور تاركاً زميله مع المحقق في انتظاره.

(الشرطي ٢) وهو يقف بجانب المحقق أمام باب الشقة بعد رحيل زميله: هل تعتقد أن القاتل يتعامل بالسحر يا سيدي؟

(المحقق) وهو يشعل سيجارة: هل تؤمن بالسحر؟

(الشرطي ٢): نعم بلا شك؟.. ألا تؤمن أنت به؟

(المحقق) نافخاً سحابة من الدخان على باب الشقة: إيماني لا علاقة له بحقيقة شيء من عدمه.. أنا مؤمن أن هناك جريمة وهناك مجرماً وسوف أجده قبل أن تشرق الشمس

(الشرطي ٢) وهو يشارك المحقق النظر لباب الشقة: هذه ثقة كبيرة يا سيدي..

(المحقق) يأخذ نفسًا آخر من سيجارته: كل شيء له تفسير منطقي والسحر ليس بالتفسير الذي أقبله.. سوف أجد الحقيقة غير الملوثة بالشكوك عما قريب

(الشرطي ٢): لا أعرف.. السحر والشياطين حقيقة.. أمي كانت تؤمن بذلك

(المحقق): حقيقة لمن لا يريد سماع الحقيقة.. سترى أن المسألة لا تتعدى مجرماً مختلًّا يسير بمنهج يراه سراطه المستقيم.. وشهادة أمك مع احترامي الشديد ليست دليلاً

فُتح المصعد في وسط الرواق وخرج منه الشرطي الثالث وبيده مفتاح الشقة فأشار له المحقق بصمت بيده الحاملة للسيجارة بأن يفتح الباب على الفور ففعل ودخل الجميع بعد ما أشعلوا أنوار الشقة..

(الشرطي ٢): ذوق صاحب هذه الشقة في الأثاث أجمل من الشقة السابقة

(المحقق): لنجد بقعة الدم ومن بعدها سنرى ماذا يمكن أن نستنتج..

بحث الثلاثة عن موقع الجريمة الذي من المفترض أن يكون بقعة دم كبيرة كما هو الحال مع الشقق الأخرى لكنهم لم يجدوا شيئا وما أثار استغرابهم

أكثر هو الحالة التي كانت عليها الشقة فقد كانت نظيفة ومرتبة جداً وخالية من أي معالم لحدوث جريمة من أي نوع.

(المحقق): ما الأمر؟ .. هل أخطأنا بالشقة؟

(الشرطي ٣): لا يا سيدي.. هذه هي الشقة التي حدثت بها الجريمة الثانية

(المحقق): وأين هي الجريمة؟.. الشقة نظيفة ومرتبة.. هل قام أحد بتنظيفها؟

(الشرطي ٣): لا أظن فبالتأكيد تم توجيه إدارة العمارة بعدم المساس بها حتى تنتهي التحقيقات بالكامل

(المحقق): ألم تقل بأن المحقق السابق قيدها ضد مجهول؟

(الشرطي ٣): بلى.. ما علاقة ذلك بما نتحدث عنه؟

(المحقق) بغضب: هذا يعني أن القضية أغلقت ويحق لمالك الشقة تنظيفها!

(الشرطي ٢): ولمَ لم ينظف الشقة بالدور الثالث؟ .. لم بدأ بهذه؟

(المحقق) بحنق: عد للمسؤول الذي أعطاك المفتاح وأحضره لي هنا فوراً!

(الشرطي ٣) وهو يهم بالخروج مسرعاً: أمرك!

(المحقق) بغضب : غباء!.. غباء!

(الشرطي ٢): أعتقد أننا وصلنا لطريق مسدود يا سيدي

(المحقق) صارخاً بالشرطي: لا يوجد شيء اسمه طريق مسدود!

عاد الشرطي مع مسؤول البناية بعد فترة من الزمن وما أن دخلا على المحقق حتى صرخ بوجه المسؤول قائلاً: من أمرك بتنظيف الشقة!

(المسؤول) وهو يرتعد: أي شقة؟!

(المحقق) وهو يشير بسبابته للأرض: هذه الشقة!.. لم نظفتها والتحقيق لا يزال جارياً!

(المسؤول): لقد أبلغوني أن التحقيق أغلق ويمكنني تنظيف الشقق

(المحقق): ولمَ بدأت بهذه؟!.. لمَ لم تبدأ بالشقة في الطابق الثالث؟!

(المسؤول): لأن هذه كانت أسوأ.. أسوأ بكثير

(المحقق) وسخطه ينخفض: ماذا تعني؟

(المسؤول): ألا تعرف ماذا حدث؟

(المحقق): جريمة خلفت وراءها بقعة دم كبيرة.. ما غير ذلك؟

(المسؤول): لا.. لم يكن هذا فقط.. المكان عج بالفضلات البشرية ورائحة المكان انتشرت بالطابق كله والسكان كانوا يتذمرون وكان لا بد من تنظيفها على الفور لذلك كنت أتصل بمركز الشرطة يومياً ليسمحوا لي بتنظيفها حتى وافقوا

(المحقق) بهدوء: اجلس..

(المسؤول) بتوتر : هل أنا متهم بشيء؟.. أنا لم أخالف القانون

(المحقق): لا تقلق اجلس فقط

جلس المسؤول على الأريكة في غرفة المعيشة وجلس أمامه المحقق وقال: أريدك أن تجيبني على بعض الأسئلة ولتكن إجابتك مفصلة.. لا تترك شيئاً

(المسؤول): حسناً.. تفضل

(المحقق): هل وجدت رسومات على الجدران أو السقف في أي غرفة من الغرف هنا؟

(المسؤول): رسومات؟.. لا.. لا أذكر أنه كان هناك شيء من هذا القبيل

(المحقق): حسناً.. هل لاحظت شيئاً غريباً أو خارجاً عن المألوف؟

(المسؤول): كل شيء في هذه الشقة كان غريباً وخارجاً عن المألوف عندما هممنا بتنظيفها.. كانت بحالة يرثى لها

قوطع حديثهما بدخول الشرطي الذي أرسله المحقق لجلب التواريخ التي حدثت بها الجريمتان وقال: لقد أحضرت المعلومات التي طلبتها يا سيدي!

رفع المحقق كفه في إشارة للشرطي بالانتظار وعدم مقاطعته فصمت وبقي عند الباب مع الشرطيين الآخرين..

(المحقق) لمسؤول البناية: أكمل..

(المسؤول): أكمل ماذا؟ .. هذا كل ما أعرفه

(المحقق): من أقام هنا؟

(المسؤول): سيدة عجوز..

(المحقق): والشقة (١٠) بالدور الثالث.. من كان يقيم فيها؟

(المسؤول): رجل غريب الأطوار

(المحقق): غريب الأطوار كيف؟.. تحدث بالتفصيل

(المسؤول): لا أعرف لكنه كان يتصرف بغرابة دائماً.. يتحدث مع نفسه كثيراً وعلاقته مع جيرانه سيئة ولا يخرج من شقته كثيراً.. أعتقد أنه لا يمارس أي عمل لأنه يقضي معظم وقته بالشقة.. آه نعم وهو لا ي يسدد قيمة إيجاره بسهولة ويستدعي الأمر مني تكرار الطلب عليه أكثر من مرة وكان يغضب بشدة عندما أفعل ذلك

(المحقق): منذ متى وهو يقيم بالشقة؟

(المسؤول): لقد انتقل قبل ثلاثة أشهر فقط..

(المحقق): ومن كان يسكنها قبله؟

(المسؤول): بصراحة لا أذكر.. أعتقد أنها كانت أسرة مكونة من أربعة أشخاص.. يمكنني مراجعة السجلات لو رغبت

(المحقق): افعل ذلك

(المسؤول): هل من سؤال آخر؟

(المحقق): لا.. يمكنك الرحيل الآن

(المسؤول) وهو ينهض ويهم بالخروج من الشقة بتوتر: حسناً..

سرح المحقق لثوانٍ في النافذة التي اجتمعت عليها قطرات المطر ثم التفت على الشرطي الذي دخل وقال له: هات ما عندك ..

أخرج الشرطي ورقة من جيبه وبدأ بقراءة التواريخ التي حدثت فيها الجرائم الثلاث وعندما انتهى قال المحقق: إذاً ففارق الأيام بين كل جريمتين هو ثلاثة أيام..

(الشرطي): نعم هذا ما يبدو..

(المحقق): الجريمة الرابعة ستقع بعد ثلاثة أيام من اليوم إذاً.. وإن صدقت استنتاجاتي فستكون في الشقة (٤) بالدور التاسع ..

(الشرطي ٢): لأن مجموع الأرقام هو ١٣..

(المحقق) يهز رأسه موافقاً: نعم

(الشرطي ٣): ولِمَ لا تكون الشقة (٥) بالدور الثامن؟.. فهما تعطيان النتيجة نفسها.. أو الشقة (٩) بالدور الرابع؟.. الخيارات لا تنتهي.. لِمَ هذه الشقة بالذات؟

(المحقق) وهو ينهض: لأن المسألة ليست حسابية فقط.. هناك نسق يسير عليه قاتلنا

(الشرطي ٣): نسق ماذا؟

(المحقق) يبدأ بالسير خروجاً من الشقة: لا وقت لدي لأشرح لك.. فكر بها وحدك وستعرف

(الشرطي ٢): إلى أين يا سيدي؟

(المحقق) متوجها للمصعد: حان وقت زيارة الضحية القادمة.. الساكن في الشقة (٤) بالدور التاسع..

ركب الأربعة المصعد وكبس أحد أفراد الشرطة الزر الخاص بالدور التاسع لكنه لم يضئ فكرر المحاولة عدة مرات ولم يستجب المصعد فقال بتعجب: غريبة..

(المحقق): جرب الدور الثامن..

نفذ الشرطي توجيه المحقق فاستجاب المصعد وبدأ بالصعود..

(الشرطي ٢): لعله خلل ما

(المحقق) ونظره لأرقام الطوابق المتصاعدة: ربما.

عندما بلغوا الدور الثامن فُتح باب المصعد وهم الجميع بالخروج لكن المحقق استوقفهم قائلاً: انتظروا.. لا يخرج أحد..

(الشرطي١): ما الأمر يا سيدي؟

(المحقق) يومئ برأسه قائلاً: جرب الدور التاسع مرة أخرى..

كبس الشرطي على زر الدور التاسع ولم تحدث أي استجابة فقال المحقق: جرب الدور العاشر..

كبس الشرطي على زر الدور العاشر فتحرك المصعد للأعلى..

(الشرطي٣): إنها مجرد مصادفة يا سيدي

(المحقق) وعيناه على باب المصعد: لا يوجد مصادفات.. هناك شيء يحاول منعنا من الوصول للشقة (٤) في الدور التاسع لكن من؟.. ولماذا؟

فتح الباب للدور العاشر فخرج الجميع وتوجهوا للسلالم نزولاً وخلال دقيقة كانوا في رواق الدور التاسع وتحديداً أمام الشقة (٤) فقال أحد الشرطة:

«هل نطرق الباب؟»

(المحقق) وهو يطرق الباب: لمَ نحن هنا؟

سمع الواقفون صوت عدة أقفال وهي تُفتح واحداً تلو الآخر بعدها تحركت درفة الباب وأطلت فتاة في العشرين من عمرها تقريباً برأسها الصغير وقامتها القصيرة ولم تخرج من فتحة الباب الضيقة إلا جبينها وجزءاً من شعرها الأسود الأملس ونظرت لهم بأعينها الرمادية الواسعة وقالت: ماذا تريدون؟

(المحقق): المعذرة على الإزعاج.. نحن هنا للتحقيق في سلسلة من الجرائم التي حدثت في البناية ونريد أخذ إفادتك.. هل تسمحين لنا بالدخول؟

(الفتاة) وهي تتنحى للخلف وتفتح الباب أكثر وبنبرة خفيضة: تفضلوا..

دخل الجميع لوسط الشقة التي كانت مظلمة تماماً ولم ينرها إلا مجموعة من الشموع المتفرقة بزواياها. بقي الشرطة الثلاثة عند الباب واقفين بينما تجول المحقق في غرفة المعيشة وعند وصوله للنافذة رأى أن الستائر كانت سوداء وعندما أزاحها وجد النوافذ مطموسة بالكامل بشريط لاصق أسود.

(المحقق) وهو ممسك بطرف الستارة السوداء: هل تكرهين الضوء؟

(الفتاة): ضوء الشمس فقط..

جلس المحقق على الأريكة وأخرج مدونة وقلماً وأشار للفتاة الهزيلة بالجلوس أمامه ففعلت.

(المحقق) وبدون أي مقدمات: حياتك معرضة للخطر..

(الفتاة): ما الذي دفعك لقول ذلك؟

(المحقق): هناك قاتل ممنهج يرتكب جرائمه في هذه البناية وشقتك هي التالية في خط سيره

(الفتاة): لكني لا أملك أي أعداء

(المحقق): لا علاقة للعداوة بالأمر.. العقول المريضة تعادي الجميع

صمتت الفتاة وأنزلت رأسها..

(المحقق): منذ متى تقيمين هنا؟

(الفتاة): منذ فترة طويلة.. طويلة جداً

(المحقق) وهو يدون إفادتها: وما عملك؟

(الفتاة): ممرضة..

(المحقق): وما اسمك؟

(الفتاة): لمَ كل هذه الأسئلة؟

(المحقق): معلومات عامة نحتاجها قبل نقلك

(الفتاة): نقلي؟

(المحقق): نعم.. بقاؤك هنا فيه خطر عليك ويجب أن ننقلك لمكان آمن حتى نقبض على القاتل

مدت الفتاة يديها واحتضنت بهما يد المحقق التي كان يكتب بها وقالت بتوتر: كلامك هذا أخافني..

(المحقق) مغلقاً مدونته ومبعداً يديها عنه: سوف نلقي القبض عليه اطمئني

(الفتاة): لكن يجب أن أخرج بمرافقين

(المحقق): لم أفهم قصدك

(الفتاة): لا يمكنني الخروج من المبنى وحدي

(المحقق) وهو يشير للشرطة الواقفين عند الباب: سيرافقك اثنان من خيرة أفراد الشرطة لا تقلقي.. هل تحتاجين أخذ شيء من الشقة؟

(الفتاة) وهي تنهض: لا ..

(المحقق): لن تغيبي عن شقتك أكثر من ثلاثة أيام.. أعدك بذلك تلك

ابتسمت الفتاة قبل توجهها لباب الخروج لكن تلك الابتسامة تركت أثراً غير مريح في نفس المحقق فقد برزت مع تلك الابتسامة أنياب طويلة نوعاً ما وعلى غير ما هو مألوف لأنياب البشر لكنه لم يعلق وبقي مكانه سارحاً في إحدى الشموع حتى دنا منه الشرطي الذي بقي معه وقال له: ما بك يا سيدي؟

(المحقق) وسرحانه لم ينقطع: هل لاحظت شيئا غريباً على تلك الفتاة؟

(الشرطي ١) ملتفتاً خلفه نحو الباب الذي خرجت منه الفتاة مع زملائه: لا.. هل كان يجب أن ألاحظ شيئا؟

(المحقق) وهو يدعك كفيه بعضهما ببعض: يدها كانت باردة كالثلج..

(الشرطي ١): ألم ترَ لباسها الخفيف؟.. لا بد وأن تكون متجمدة وليست باردة

(المحقق) مديراً نظره للشرطي: هناك شيء غريب بتلك الفتاة.. كنت أريد أن أسألها أسئلة أكثر لكن وجدت نفسي أريد إنهاء الحديث معها لسبب أجهله

(الشرطي ١): هل تريد أن نلقي القبض عليها احترازاً تحت ذمة التحقيق؟

(المحقق): لا.. لا داعي لذلك فهي في كل الأحوال تحت مراقبتنا وستقيم في مبنى حماية الشهود وتحت حراسة

رن هاتف الشرطي فأجابه وقال: «حسناً.. ابدؤوا أنتم» ثم أغلق الخط ..

(المحقق): من المتصل؟

(الشرطي ١): فريق الطب الشرعي وصل وبدأ بمباشرة عمله في الشقة (٦)

(المحقق) وهو ينهض من مكانه: أريد تقريرهم على مكتبي حالما ينتهي

(الشرطي ١): القضية لن تحل الليلة إذاً؟

(المحقق) مشعلاً سيجارة: لا.. المسألة ستأخذ وقتاً لكنها ستحسم بلا شك بعد ثلاثة أيام

(الشرطي ١): عندما يحاول المجرم ارتكاب جريمته التالية

(المحقق): نعم..

(الشرطي ١): لكن ألن يثير شكه خلو الشقة من السكان؟ .. وهناك احتمال عدم ظهوره من الأساس

(المحقق): هذا النوع من القتلة لا يستطيع أن يكسر روتينه ويفقد حذره سعياً للالتزام بالنمط الذي يسير عليه.. أريدك أن تعين شرطية لتسكن هنا مكان الفتاة وتكون مسلحة ومستعدة للكمين الذي سنعده

(الشرطي ١): حاضر.. هل من أوامر أخرى؟

(المحقق) يرمي بعقب السيجارة تحت قدمه قائلاً: لا .. لقد انتهينا الليلة

سار المحقق نحو باب الخروج لكن وبسبب الإنارة الضعيفة بالمكان اصطدم فخذه بطاولة كانت في طريقه ليسقط منها مجموعة من الكؤوس الزجاجية أحدها كان مملوءاً بشراب أحمر اللون فقال للشرطي: التقط تلك الكؤوس والحق بي..

(الشرطي ١) وقد بدأ بجمع الكؤوس وقطع الزجاج من الأرض: أمرك

وقف المحقق خارج الشقة بانتظار الشرطي لينتهي من عمله وبعد أقل من دقيقة خرج الشرطي قائلاً: لقد انتهيت..

(المحقق) ينظر لأصابع الشرطي المبتلة بالشراب الأحمر: هل آذيت نفسك؟.. ما هذه الدماء؟

(الشرطي): لا يا سيدي.. هذا من محتوى أحد الكؤوس أعتقد أنه عصير رمان

(المحقق): عصير الرمان ليس لزجاً هكذا.. ناولني يدك

مد الشرطي أصابعه الملطخة بالسائل الأحمر للمحقق الذي شد عليها وقربها عند أنفه لتتسع عيناه وترتسم على وجهه معالم الصدمة ويقول: هذا دم!

(الشرطي) بنبرة مصدومة: ماذا؟!

جرى المحقق نحو المصعد وأخذ يضغط زر الاستدعاء بشكل جنوني وهو يصرخ في الشرطي قائلاً: أخبر زملاءك بأن يقبضوا عليها فوراً!!

أخرج الشرطي هاتفه على عجالة وبدأ بالاتصال بأحد الشرطيين اللذين رافقا الفتاة لكنه لم يجب..

(المحقق) وهو يركل المصعد بقوة: المصعد لا يتحرك!

قبل أن يتكلم الشرطي معه توجه المحقق على عجالة للباب المؤدي للسلالم وبدأ بالنزول جرياً للطابق الثامن وما أن وصل حتى توجه للمصعد واستدعاه على الفور. قبل أن يفتح المصعد بابه وصل الشرطي من الطابق التاسع ووقف بجانب المحقق المتوتر وقال: ما الذي يحدث يا سيدي؟!

(المحقق) وهو ينتظر المصعد بتوتر شديد: الفتاة هي..

انقطع حديث المحقق عندما فتح المصعد ورأى أن داخله قد تغطى بالكامل بالدماء ولم يكن هناك جزء واحد منه لم يتغطَّ باللون الأحمر

(الشرطي) برعب شديد: ما هذا؟!

(المحقق) وعيناه على ذلك المنظر الدموي: زميلاك..

استدعى المحقق فرقة كبيرة من مركز الشرطة وتم تطويق المبنى بالكامل وبحثوا في أرجاء المبنى عن الفتاة لكنهم لم يجدوا لها أثراً. دنا رئيس مركز الشرطة من المحقق الذي كان يجلس تحت المطر عند بوابة البناية الرئيسة وقال له:

«لقد قمنا بتعميم مواصفات تلك الفتاة.. لا تقلق سنلقي القبض عليها»

(المحقق) والمطر ينهمر على رأسه: لن تمسكوا بها..

(رئيس مركز الشرطة): لم أتعود هذه الانهزامية منك

(المحقق) محدثاً نفسه بنبرة تحسر : كيف تركتها تخرج من الشقة..؟

(رئيس مركز الشرطة): عد للمنزل لقد بذلت مجهوداً كبيراً اليوم..

(المحقق) ملتفتاً على رئيسه والمطر ينهمر بقوة على وجهه: سأقبل بتلك الترقية إذا كان العرض لا يزال مطروحاً

(رئيس مركز الشرطة): بالطبع.. فنحن لن نجد أفضل منك لسد تلك الثغرة بالإدارة بعد تقاعد المحقق (نادر).. لكن أنت مدرك أن هذا يعني نهاية عملك الميداني وستصبح أسيراً للعمل المكتبي

(المحقق) معيداً نظره أمامه ثم منزلاً رأسه: هذا هو المطلوب..

(رئيس مركز الشرطة): كما تشاء.. هيا انهض قبل أن يصيبك الماء بالمرض..

(المحقق) رافعاً رأسه وموجهاً نظره لرئيسه وبنبرة خالطها شيء من التوتر : ماذا قلت؟

(رئيس مركز الشرطة): قلت: «انهض قبل أن يصيبك الماء بالمرض..»

(المحقق) يحيد بعينيه جانباً وكأنه تذكر شيئاً ما: الماء يصيب بالمرض..

(رئيس مركز الشرطة): نعم هذا ما قلته للتو

(المحقق) وهو يقف وعلى وجهه صدمة: ماء البناية ملوث وبه طعم غريب كما قال ذلك الشاب..

(رئيس مركز الشرطة): أغلب مواسير البنايات القديمة كهذه صدئة وتُغير طعم الماء.. لا شيء غريب في هذا

(المحقق) يسير نحو صنبور ماء خارجي تابع للبناية ويديره: لكن هناك شيء لا يُحدثه الصدأ..

(رئيس مركز الشرطة): ما هو؟

(المحقق) يضع كفه تحت الماء الجاري من الصنبور ويتذوقه ثم يبصقه: العفن..

وجه المحقق بعض أفراد الشرطة للتحقق من محتوى الخزان الرئيس للبناية الموجود بالأرض وكذلك الخزان الثانوي في السطح واكتشفوا مجموعة من الجثث المتحللة المتراكمة فيهما وبالفحص المبدئي علموا بأنها تعود لسكان العمارة المفقودين في تلك الجرائم.

(رئيس مركز الشرطة) للمحقق وهو يراقب إخراج الجثث من الخزان الأرضي: لقد أحسنت صنيعاً..

(المحقق) ونظره منصب على فريق الطب الشرعي خلال إخراج الجثث شبه المتحللة من الخزان: بل فشلت في كشف الحقيقة في الوقت المناسب..

قبل أن يتم إبعاد الأكياس البلاستيكية السوداء التي جمع فيها ما تبقى من الجثث المتعفنة وشبه المتحللة طلب المحقق إلقاء نظرة عليها. فتح أحد أفراد الطب الشرعي الأكياس وعرضها للمحقق الذي قال:

«هل هناك شيء غريب لاحظتموه على الجثث؟»

أجابه أحد أفراد فريق الطب الشرعية قائلاً: حتى الآن لا.. لكن التشريح قد يظهر لنا أموراً خفيت علينا..

(المحقق): شكراً..

بعد عدة أيام في مركز الشرطة الرئيس..

(رئيس مركز الشرطة) مقترباً من المحقق الجالس على طاولته في مكتبه الجديد: كيف وجدت العمل المكتبي؟

(المحقق): مملّاً كما توقعت ..

(رئيس مركز الشرطة) وهو يرمي ملفاً على طاولة المحقق مبتسماً: هذا هو تقرير الطب الشرعي عن الجثث التي وجدناها بالبناية إذا رغبت بالاطلاع عليه

(المحقق) وهو يلتقط الملف: ما هي آخر تطورات القضية؟.. هل قبضتم على تلك الفتاة؟

(رئيس مركز الشرطة): لقد حولناها على المحقق (شاكر) والبحث لا يزال جارياً عن تلك الفتاة ..

(المحقق) مبتسماً بحسرة: المحقق (شاكر)..؟

(رئيس مركز الشرطة) وهو يهم بالرحيل: هذا مانستطيع توفيره للقضية في الوقت الحالي

فتح المحقق التقرير وبدأ يقرأ محتواه ومع تقدمه في القراءة كانت دهشته تزداد مما قرأه فقد احتوى التقرير على الكثير من النقاط أبرزها:

١. جميع الجثث مصفاة بالكامل من الدماء.

٢. جثث الضحايا اشتركت بعدة إصابات أبرزها ثقبان عند العنق وتحديداً عند الأوداج

٣. إحدى الجثث كانت مقطوعة اللسان

٣. جثة المرأة العجوز هي الوحيدة التي كانت مبقورة البطن ومفرغة من الأحشاء

أغلق المحقق الملف ووضعه على سطح مكتبه بصمت ..

مضت الأيام والأسابيع واستمر المحقق في عمله الإداري الهادئ والبعيد عن العمل الميداني المرهق وخلال دخوله في أحد الأيام على رئيس المركز وجده يتحدث بالهاتف فأشار للمحقق بالجلوس أمامه ريثما ينتهي من الحديث. جلس المحقق وأشعل سيجارة في انتظار نهاية تلك المكالمة.

(رئيس مركز الشرطة) لمن كان على الطرف الآخر من الهاتف:

نعم.. المسألة تزداد تعقيداً فيما يبدو.. نعم.. نعم أفهم أن الأمر يجب أن يبقى طي الكتمان.. حسناً سنتوجه للموقع في الحال

أغلق رئيس المركز الخط وقال للمحقق: تفضل..

(المحقق): مع من كنت تتحدث؟ .. لقد بدا عليك القلق والضيق

(رئيس مركز الشرطة): وقعت جريمة أخرى..

(المحقق): وما الجديد في الأمر؟.. الجرائم تقع بالعشرات كل يوم في هذه المدينة الجميلة

(رئيس مركز الشرطة): لا تشغل بالك.. ماذا لديك؟

(المحقق) يمد ورقة قائلاً: لا شيء مهمًّا، أحتاج توقيعك على هذه الورقة فقط

وقع رئيس مركز الشرطة على الورقة بسرعة دون أن يقرأها وهم بالنهوض للخروج فاستوقفه المحقق قائلاً:

«أنت لا توقع أي ورقة دون النظر في محتواها.. الأمر فيما يبدو ليس جريمة عادية.. خاصة وأنك بنفسك ستذهب للتحقيق فيها»

(رئيس مركز الشرطة): أنا لست ذاهباً للتحقيق فالفاعل معروف..

(المحقق) باستغراب: معروف؟.. كيف؟

(رئيس مركز الشرطة): فتاة البناية لم تتوقف عن سلسلة الجرائم التي تقترفها.. منذ آخر جريمة حققت أنت بها ونحن نجد جثثاً بالحالة نفسها في مناطق متفرقة بالمدينة.. مصفاة من الدماء والأمر بدأ يتحول لفضيحة للمركز وكل جهودنا للقبض عليها باءت بالفشل.. الجريمة التي ورد عنها اتصال للتو حدثت في حي شعبي قديم لعشرة أشخاص دفعة واحدة وجدوا معلقين في أحد المنازل وكالعادة ثقوب على رقابهم وغالباً الطب الشرعي

سيثبت تصفية أجسادهم من الدماء والهلع والفوضى تعم المكان لذا يستلزم حضوري

(المحقق): سوف أرافقك..

(رئيس مركز الشرطة): كنت أظنك لم تعد مهتماً بالعمل الميداني

(المحقق): قضيتي الأخيرة لم تنتهِ ولا أريد أن أختم سجلي بقضية مقيدة ضد مجهول

(رئيس مركز الشرطة) مبتسماً: وماذا تقترح (إياد)؟

(إياد) وهو يبادله الابتسام: أقترح أن تبقى أنت بالمركز وأن تخبر الموجودين في موقع الجريمة أني في الطريق إليهم.. هذه القضية بالذات لن تُقيد ضد مجهول وسوف أمسك بتلك الفتاة.. أعدك

لا يوجد خيال بلا حقيقة
ولا حقيقة بلا خيال..

البناية

أقيم وحدي في منزل جميل في منطقة ريفية خلابة..

لدي روتين يومي لم يتغير منذ سنوات ..

أستيقظ من النوم في السادسة صباحاً..

أستحم بماء ساخن.. حتى بالصيف..

أجلس بعدها على أريكتي المريحة أحتسي مشروباً بارداً..

تكون الساعة وقتها السابعة..

أفكر بصمت في ذلك الجوء الهادئ.. أفكر فقط ..

عملي يبدأ في التاسعة ..

كل يوم أكرر الشيء نفسه.. في الوقت نفسه وبالطريقة نفسها..

حتى حل ذلك اليوم.. اليوم الذي قررت فيه ترك منزلي

وعرضه للبيع..

بسبب ما رأيته عند خروجي بعد الاستحمام وأنا أجفف شعري بالمنشفة..

كان يجلس على أريكتي يحدق بالجدار أمامه..

يحدق بتلك الأعين الصفراء المفزعة ولسانه يتدلى من فمه كالكلب اللاهث..

لم يرني.. لكني رأيته..

وقفت عاجزاً عن الحراك.. كنت أنتظر اللحظة التي سيلتفت فيها علي..

أنتظر نهايتي على يده وبين أنيابه..

لكن ذلك لم يحدث..

تراجعت للوراء ببطء عندما استعدت شيئا من عقلي الذي طار عندما وقعت عيناي عليه..

خرجت من المنزل جرياً.. ولم أعد من وقتها..

كُن على علم بما يحدث حولك
لكن لا تنشغل به عن نفسك..

جلمود

صف دراسي في المرحلة الثانوية مكون من عشرين طالباً..

اختبار شهري لمادة الرياضيات بدأ منذ ربع ساعة..

المدرس يتجول بين طلابه يعاين ما كتبوه حتى الآن..

طالب يرفع يده..

(المدرس): ماذا تريد يا (حاتم).. لا يمكنك الذهاب لدورة المياه خلال الاختبار إذا كان هذا ما تريد

(حاتم): لا .. أريد تسليم ورقة الإجابة

(المدرس) وهو ينظر لساعة يده: بقي ربع ساعة على نهاية وقت الاختبار.. هل أنت واثق؟

(حاتم) يهز رأسه باسماً بثقة: نعم!

يسير المدرس نحو طاولته وعيناه على بقية الطلاب ويلتقط الورقة من يده ويلقي عليها نظرة سريعة ثم يقول:

«يبدو كل شيء على ما يرام وأجوبتك صحيحة.. ما الحكاية؟»

(حاتم) ضاحكاً: لا حكاية يا أستاذ.. لقد قررت الاجتهاد وذاكرت للاختبار جيداً

(المدرس) مكملاً جولته حول الطلاب: حسناً ابقَ صامتاً حتى ينتهي زملاؤك

انقضت ربع الساعة الأخيرة من الاختبار ولم يسلم أحد من الطلاب ورقته غير (حاتم) إلا بعد ما أُخذت منه وبعد جمع الأوراق جلس المدرس يقوّمها ويرصد الدرجات من (٢٠). خلال ذلك بدأ الطلاب ينشغلون فيما بينهم بالأحاديث الجانبية فقال (ناصر) الجالس على يمين (حاتم):

«كيف تمكنت من إنهاء الاختبار بسرعة؟»

(حاتم) بابتسامة غطرسة: لقد اجتهدت في المذاكرة لا أكثر

(غانم) ملتفتاً من على يسار (حاتم) ومشاركاً في الحديث وبصوت خفيض: كف عن الهراء!.. أخبرنا كيف تمكنت من الغش!

(حاتم): أنا لم أغش

(ناصر) لـ (غانم): ستكون درجته متدنية مثل بقية درجاته ودرجاتنا لا تقلق..

(غانم): نعم صحيح

(المدرس) مخاطباً الفصل: سوف أعلن النتائج الآن ومن حصل على درجة أقل من (١٠) سوف يُعطى خطاب إنذار يوقعه من ولي أمره

(غانم) بقلق: لو استلم أبي خطاب إنذار آخر فسوف يقتلني

(ناصر) واضعاً كفه على خده وبنبرة متوترة:

الصفعة التي حصلت عليها بسبب الخطاب الأخير لا تزال تضج في رأسي

(حاتم) مبتسماً بثقة: لقد انتهى عهد خطابات الإنذار معي

(غانم) مستنكراً: ما هذه الثقة غير المبررة!

بدأ المدرس بإعلان الدرجات بصوت مسموع للفصل وكان يردد اسم الطالب يتبعه درجته من (٢٠):

.. سالم.. ١٢ ..

.. عبد الله.. ٥ ..

..غانم.. ١١..

(غانم) متنفساً الصعداء: الحمد الله بالكاد تجاوزت

(ناصر): لكن درجتك لا تزال سيئة

(غانم): لنرَكم ستحصل أنت..

(المدرس) مستأنفاً:

.. نبيل.. ٩..

.. زاهد.. ٢ ..

.. حاتم.. ٢٠ ..

انبهر من كان في الفصل عند سماعهم لتلك الدرجة حتى إن المدرس علق وهو ممعن النظر في ورقة (حاتم) وقال: أحسنت يا (حاتم).. هذه سابقة لك ولي.. لم يحرز أحد الدرجة الكاملة في اختباراتي من قبل

(حاتم) بفخر : شكراً يا أستاذ!

(ناصر) لـ (غانم): يجب أن نفتشه بعد خروج الأستاذ.. الورقة التي استخدمها للغش لا بد وأنها لا تزال معه

(غانم): نعم لن يفلت منا

(حاتم) بينهما مبتسماً وبغرور: لن تجدا شيئا

(ناصر): سنرى..

(المدرس) مستأنفاً:

.. فيصل.. ١٣ ..

ناصر.. ١٠ ..

(ناصر) بتوتر: ماذا يعني هذا يا أستاذ؟.. هل سأحصل على خطاب؟

(المدرس): إذا كنت تريد واحداً فسأحرره لك

ضحك الطلاب على سؤال (ناصر) الذي قال مبتسماً: لا، شكراً

(المدرس): أنت بالكاد تجاوزت خطر الحصول على خطاب إنذار لكن ذلك لا يعني أن نتيجتك مشرفة

(ناصر) بخجل: سأبذل جهداً أكبر المرة القادمة..

بعد ما انتهى المدرس من إعلان جميع النتائج ضُرب الجرس معلناً نهاية الحصة وبداية الفسحة الأولى..

هم (حاتم) بالنهوض لكن (غانم) و(ناصر) أقعداه بالقوة فقال:

«ماذا؟ .. ماذا تريدان؟»

انتظر الاثنان خروج جميع الطلاب من الفصل للساحة ثم قال (غانم): هيا..

(حاتم): هيا ماذا؟

(ناصر): لا تتغابَ!.. هيا أخرِج الورقة التي استخدمتها للغش في اختبار الرياضيات ..

(حاتم): أنا لم أستخدم ورقة ولم أغش من الأساس

(غانم): هل تظننا أحمقين؟.. نحن أصدقاء منذ المرحلة الابتدائية ومستوانا متقارب بل أنت أسوأ منا وخصوصاً في الرياضيات!

(حاتم): من جد وجد ومن زرع..

(ناصر) مقاطعاً بغضب: إذا لم تتوقف عن التغابي فسوف..

(حاتم) ضاحكاً: حسناً حسناً!.. لكن هذا سر يجب أن لا تفصحا به لأحد وأنا أخبركما فقط لأنكما صديقاي

(غانم): لن نخبر أحداً.. هيا أخبرنا ما سر طريقتك في الغش

(حاتم): أخبرتك بأني لم أغش

(ناصر): هل سنقضي فترة الفسحة في هذا الجدال العقيم.. هيا تكلم!

(حاتم): السر هو (جلمود)..

(غانم): هل هذا تطبيق جديد على الهواتف الذكية؟

(حاتم): لا.. حساب على الأنستقرام

(ناصر) لـ (غانم): إنه يسخر منا..

(حاتم): لا .. أقسم لكما إنها الحقيقة

(غانم): وهل هذا الحساب يقدم دروس تقوية؟

(حاتم): لو صمتما قليلاً لشرحت لكما كل شيء

(ناصر): حسناً تكلم..

(حاتم): بصراحة كنت أتجول في الإنترنت وتحديداً في غرف محادثات خاصة

(غانم): خاصة كيف؟

(حاتم): خاصة بموضوعات معينة.. دعني أكمل.. دخلت غرفة محادثة معنونة بـ [هموم الحياة] ووجدت مجموعة من المشاركين يتحدثون عن مشكلاتهم ويناقشون المصاعب التي يجابهونها في حياتهم اليومية والحلول لمواجهتها.. بقيت منصتاً ومراقباً فقط أقرأ مشاركاتهم التي كانت في الواقع مسلية ومفيدة ومضحكة أحياناً. قبل أن أترك الغرفة انتبهت لمشاركة وضعها حساب لم يشارك طيلة وجودي في غرفة المحادثة ولاحظت من ردود الأفعال أنهم لم يكونوا يعرفونه واستغربوا مما كتب.

(ناصر): ماذا كتب؟

(حاتم): قال بأنهم يضيعون وقتهم ويمكنهم الحصول على ما يريدون وحل جميع مشكلاتهم بالتواصل مع «جلمود»..

(غانم): الحساب الذي قلت عنه

(حاتم): نعم.. لكنهم سخروا منه فخرج من الغرفة لكني تمكنت من تسجيل اسم المستخدم الخاص به ومراسلته بشكل خاص

(غانم): وماذا قلت له؟

(حاتم): دار بيننا هذا الحوار:

(Hatim6435): السلام عليكم.. (Hatim6435): أعتذر على دخول الخاص لكني أريد أن أسألك عن «جلمود»..

(B.Z): ماذا تريد أن تعرف؟

(Hatim6435): في الواقع كل شيء.. كيف سيحقق ما أريد؟

(B.Z): أمهلني دقيقة

(Hatim6435): خذ وقتك

(B.Z): قم بزيارة هذا الحساب على أنستقرام «jlmoodjlmood» ثم قم بالآتي:

١ - اطلب إضافة للحساب لأنه خاص

٢- بعد قبول «جلمود» إضافتك ضع «لايك» على صورة واحدة فقط من اختيارك.. اختر الصورة بعناية لأنها ستحدد مسار طلبك لاحقاً.. اختيارك لأكثر من صورة سيلغي طلبك

٣- توجه للرسائل الخاصة واكتب تفاصيل طلبك لـ «جملود)

٤- ستأتيك إحدى إجابتين.. «ممنوح» وهذا يعني أن طلبك قد أجيب وستحصل عليه في اليوم التالي.. الإجابة الثانية هي «ممنوع» وهذا يعني أن طلبك رفض ولا يحق لك تقديم طلب مرة أخرى

(Hatim6435): ما هذا الكلام الفارغ؟.. هل تسخر مني؟ .. لا يمكن إيصال الرسالة لأن اسم المستخدم غير موجود..

(ناصر) بنبرة ونظرة تهكمية: كل هذا الكذب فقط كي لا تخبرنا بالحقيقة..

(حاتم): أقسم إن هذا ما حدث وقد نفذت ما قال بالحرف!

(غانم) باهتمام: وماذا حدث؟

(حاتم): بعد ما قبل الحساب إضافتي وضعت «لايك» على إحدى الصور وكتبت في الرسائل طلبي وهو أن أجتاز اختبار الرياضيات غداً بدرجة كاملة لأنه كان ما يشغل بالي وقتها فوصلني الرد بعد أقل من ساعة وقال لي «ممنوح»

(ناصر) بسخرية: ولمَ لم تطلب أن تجتاز كل الاختبارات بحياتك لمَ هذا الاختبار فقط ؟

(حاتم): لأني لم أظن لوهلة أن الطريقة ستنجح وكنت أظنها مزحة من نوع ما

(غانم): وكيف تمكنت من حل الاختبار؟.. هل امتلأ عقلك فجأة بالمعلومات؟

(حاتم): لا.. لقد أجبت إجابات معظمها خاطئة

(غانم): ماذا؟ .. كيف حصلت على الدرجة الكاملة إذاً؟

(حاتم): لا أعرف ولست مهتمّاً لمعرفة السبب المهم أني اجتزت الاختبار بتفوق

صمت الثلاثة لفترة رن خلالها الجرس معلناً عن انتهاء الفسحة وبدأ الطلاب يدخلون الفصل تدريجياً..

في نهاية اليوم الدراسي اجتمع (ناصر) و(غانم) عند مدخل المدرسة وبقيا يراقبان (حاتم) وهو يركب سيارته وبعد رحيله قال (ناصر): هل يتوقع أنه

خدعنا بكلامه الفارغ؟.. أنا متيقن أنه اكتشف طريقة متقنة للغش ولا يريد منا معرفتها كي لا ينكشف أمره

(غانم): لا أعرف.. لقد بدا لي صادقاً

(ناصر) بتهكم: جرب إذاً..

(غانم) وهو يهم بالرحيل: ربما سأفعل..

(ناصر) وهو يلحق بصديقه: هل حقاً ستجرب؟

(غانم) وهو مستمر بالسير: ما الضرر في التجربة؟

(ناصر) خلال سيره بجانب (غانم): وماذا ستطلب؟

(غانم): لا أعرف.. لكن بالتأكيد سوف أجد شيئا يستحق.. هل ستجرب أنت؟

(ناصر): بالطبع لا فأنا لست مغفلاً مثلك.. من الواضح أنه يكذب

(غانم): ربما..

افترق الاثنان ليتوجه كل منهما للطريق المؤدي لمنزله..

في اليوم التالي وتزامناً مع دخول الطلاب للحصة الأولى لاحظ (ناصر) أن (حاتم) و(غانم) لم يحضرا للفصل فتوقع أنهما متأخران فقط لكن وبعد أن بدأت الحصة وحضر المدرس تيقن من تغيبهما فحاول خلال الدرس

مراسلتهما للاستفسار منهما عن السبب لكن المدرس سحب منه هاتفه النقال وقال:

«ستحصل عليه نهاية اليوم من غرفة المرشد..»

زاد توتر (ناصر) على صاحبيه وباءت محاولاته في الفسحة الأولى لاستعادة هاتفه من المرشد بالفشل حتى بعد أن شرح له أن تغيب صاحبيه يثير قلقه إلا أنه قال له بأنه لن يحصل عليه إلا بعد انتهاء الحصة الأخيرة. نهاية اليوم حصل (ناصر) أخيراً على جهازه ومباشرة قام بالاتصال على (غانم) لكنه لم يجب حتى مع تكرار المحاولة أكثر من مرة. قرر الاتصال بـ (حاتم) وحدث معه الشيء نفسه فتحول قلقه إلى خوف شديد عندما عرج على بيوتهما وفهم من أهلهما أنهم لم يروهما من الصباح وافترضوا أنهما بالمدرسة مما سبب حالة من الهلع بين أسرتيهما تركهم (ناصر) وراءه وعاد لمنزله.

كان ذلك اليوم شاقّاً وصعباً نفسياً وجسدياً على (ناصر) فالاتصالات لم تتوقف عليه وعلى والديه من قِبل أهل صاحبيه وتم إبلاغ الشرطة الذين أخذوا إفادته واستجوبوه في منزله بشكل روتيني وعلى عجالة. قبل خلوده للنوم احتضنته أمه وقالت: «يمكنك التغيب عن المدرسة غداً إن شئت..»

(ناصر): لا يا أمي لدي اختبار مهم

(الأم) وهي تفك عناقه وتنظر في عينيه: لا شيء مهم الآن سوى سلامتك

(ناصر) مبتسماً بحزن: لا تقلقي سأكون بخير

(الأم): حسناً اذهب للنوم وتذكر أن خيار تغيبك عن المدرسة ما زال قائماً

صعد (ناصر) لغرفته واستلقى على فراشه ورفع هاتفه ليضبط المنبه ليوقظه وفي لحظة تذكر حساب «جلمود» وبقي يحدق بشاشة هاتفه حتى انطفأت فوضع إبهامه على الشاشة وفتحه وتوجه لموقع الأنستقرام وكتب في خانة البحث:

« jlmoodjlmood»

فظهر له حساب.. خاص..

لا يتابع أحداً لكن يتابعه مجموعة من الحسابات التي لم تتجاوز المئة . .

لديه ثلاث مشاركات فقط وبالطبع لم تكن ظاهرة له لأن الحساب مغلق..

تردد (ناصر) في طلب متابعة للحساب لكنه في النهاية فعل وكبس زر طلب المتابعة وفي لمح البصر تم قبول طلبه وكأن أحداً كان ينتظره. شعر بالقلق لهذه السرعة في الاستجابة لكنه لم يفكر بالأمر كثيراً وذهب للاطلاع على خانة المشاركات الخاصة بالحساب وشاهد ثلاث صور فقط.

في تلك اللحظة تذكر كلام (حاتم) عندما قال:

«بعد قبول «جلمود» إضافتك ضع «لايك» على صورة واحدة فقط من اختيارك.. اختر الصورة بعناية لأنها ستحدد مسار طلبك لاحقاً.. اختيارك لأكثر من صورة سيلغي طلبك»

أمعن (ناصر) بالصور الثلاثة ثم وضع [لايك] على إحداها..

(ناصر) محدثاً نفسه: ماذا الآن؟.. نعم تذكرت.. أكتب طلبي في الخاص..

توجه لخانة الرسائل الخاصة وقبل أن يكتب طلبه طرأت بباله فكرة وهي أن يتجول في خانة المتابعين لهذا الحساب وبالفعل توجه إليها وبدأ يتصفح كل حساب متابع لحساب [جلمود] بعناية ولاحظ خلال جولته أمراً مقلقاً.

لاحظ أن آخر حسابين قد قاما بإضافته من قبله هما حساب (غانم) و(حاتم) واكتشف أيضاً أن جميع الحسابات أسفل منهما مهجورة ولا يوجد بها مشاركات جديدة وكلما تقدم نزولاً في البحث زاد قدم تاريخ آخر مشاركة فيه مما يشير إلى أن كل من أضاف هذا الحساب توقف عن استخدام حسابه أو ربما قام بتغييره.

خلال تصفحه بدأت هذه الحسابات بالتناقص وكأنها تُمسح تزامناً مع تصفحه لها أو تتعرض للحجب. استمر هذا الوضع حتى اختفت جميعها ولم يبقَ سوى حسابه. تملكه شعور خانق بالخوف خالطه بعض الفضول فعاد لخانة الرسائل الخاصة وكتب: «أين صديقاي؟ .. أعدهما»

لم ينتظر طويلاً حتى جاءه الرد: «ممنوح»

أغلق (ناصر) هاتفه وخلد للنوم ولم يحاول كتابة شيء آخر ..

..اليوم التالي..

بداية الحصة الأولى..

(غانم) موجهاً سؤالا لـ (حاتم): أين (ناصر)؟

(حاتم) يرفع أكتافه قائلاً: ربما تأخر لسبب ما.. أتوقع أنه سيدخل في أي لحظة..

الجنون أسخف تهمة وأجمل إطراء..

زنزانة

أربعة جدران وسقف.. أرض قاسية..
باردة.. بلا فراش أو لحاف..
سطل معدني في أقصى الزاوية
لا أراه لكني أحس به..

طعام بلا طعم..
شراب ليس بماء أو غيره
لم أستحم لأشهر..
لم أرَ النور منذ سنوات..
لمَ كل هذا..؟ .. ولماذا؟

بدل أن يشكروني..
يحبسون بدني ويخنقون قلبي..
يهشمون عقلي وينتهكون إنسانيتي..
فقط لأني..
حررت روحاً من جسد..

لكي تأخذ لابد أن تعطي..

قرقعة

حي شعبي قديم..

ليلة الخامس عشر من رمضان..

صلاة التراويح انقضت للتو وتفرق المصلون..

مجموعات من الأطفال يخرجون من منازلهم..

يحمل بعضهم أكياساً قماشية مزخرفة تتدلى من رقابهم..

يجولون الأزقة ويطرقون أبواب الحي..

عندما يُفتح الباب لمجموعة منهم كانوا ينشدون بصوت واحد:

«قرقيعان.. قرقيعان..

اعطونا الله يعطيكم.. بيت مكة يوديكم..

يا مكة يا المعمورة.. يا أم السلاسل والذهب يا نورة..

عطونا من مال الله.. يسلم لكم عبد الله ..

عطونا دحبة ميزان.. يسلم لكم عزيزان..

يا بنية يا الحبابة.. أبوج مشرع بابه..

باب الكرم ما صكه.. ولا حط له بوابة»

يمد بعدها أصحاب المنزل للأطفال المتجمهرين عند بابهم الحلوى والمكسرات غالباً وبعضهم قد يضيف بعض المال وما أن يضع الصغار حصتهم من الغنيمة في أكياسهم أو جيوبهم حتى يجروا مسرعين للمنزل التالي. مجاميع الأطفال الجوالة في تلك الليلة المباركة كانت كثيرة وأعدادها مختلفة في المجموعة الواحدة لكن مجموعة منهم مكونة من فتاتين وصبي صغير تعرضوا لشيء لا يزال إلى يومنا هذا يروى ويتناقل وكان سبباً في انقطاع تلك العادة في ذلك الحي وتدريجاً في المدينة بأكملها.

أمسكت (زينب) ذات الأربعة عشر عاماً بيد أخيها (بدر) ذي الخمسة الأعوام وهي تسير نحو المنزل التالي بعد ما أخذا حصتهما من الحلوى من بيت جارتهم (أم عبد الرحمن) ومن خلفهما تبعتهما صديقتها (خديجة) والتي كانت في عمرها نفسه تقريباً وهي تنادي عليهما قائلة: «انتظرا!.. لا تسبقاني!»

(زينب) وهي تستأنف السير نحو باب المنزل المجاور لجيرانهم على عجالة:

«أمي نبهت علي بأن لا نتأخر عن التاسعة ونحن لم نطرق سوى ثلاثة منازل فقط وحصيلتنا من الحلوى قليلة!»

(بدر) رافعاً كيس الحلوى الخاص به: أنا معي الكثير ..

(زينب): ربما بالنسبة لك لأنها أول مرة تخرج فيها لـ [قرقيعان] لكني أطمح بالمزيد

(خديجة) وقد سارعت بخطواتها وبدأت بالسير بجانبهما:

ربما يجب أن ننتقي البيوت التي نطرق أبوابها..

(زينب) وهي تقف وتلتفت إليها: ماذا تعنين بـ [ننتقي]؟

(خديجة): هذه ليست أول مرة [نقرقع] فيها والبيوت الشحيحة في عطائها معروفة لدينا فلمَ نطرقها ونضيع وقتنا؟

(زينب): معكِ حق.. (أم قاسم) لا تمد سوى التمر لذا لن نطرق بابها هذا العام

(بدر): أنا أحب التمر ..

(خديجة): لذلك أقترح تغيير مسارنا إلى بيت (أم فهد) مباشرة فهي أكرمهن في الحي

(زينب): لكن منزلها يقع في نهاية الحي

(خديجة): وما المشكلة؟

(زينب): الوقت الذي سنستغرقه للوصول إلى بابها لن يمنحنا وقتاً كافياً إلا لزيارة منزل واحد فقط بعدها ونحن ما زلنا في بداية الجولة

(خديجة): لن نحتاج أن نزور غيرها.. هل نسيتِ كميات الحلوى والمكسرات التي قدمتها لنا العام الفائت؟.. هي كفيلة وحدها بملء أكياسنا بالكامل ولن نحتاج لأن نعرج على باب غير بابها

(زينب) مبتسمة بحماس: معكِ حق!.. هيا لنذهب إذاً!

(بدر): أريد أن أتبول..

(زينب) وهي تشد ذراع أخيها وتسحبه معها: هذا ليس وقته!... هيا!

سار الثلاثة متجاوزين جميع المنازل التي اعتادوا المرور بها في السنوات الماضية وكانوا يشاهدون ويراقبون الأطفال الآخرين وهم يغنمون من تلك البيوت الطينية ما يُقدم لهم من الحلوى فقالت (زينب) بنبرة نادمة: «أشعر أننا فوتنا الكثير..»

(خديجة) وهي مستمرة بالمسير نحو نهاية الحي وبثقة:

سنكون أول من يطرق باب (أم فهد) هذا العام وسنحظى بالقطفة الأولى من كنزها المُسكر..

مع استمرار تقدمهم تناقصت أعداد الأطفال والمارة من الزقاق شبه المظلم والذي لم يكن مناراً إلا ببعض الفوانيس المعلقة بشكل متباعد حتى وصلوا لباب حديدي مصبوغ باللون الأخضر تشعبت فيه بعض عروق الصدأ وطرقوه وانتظروا بحماس. لم يفتح أحد لهم فعاودوا الطرق عدة مرات لكن دون استجابة.

(زينب): ما الأمر؟.. أين (أم فهد)؟!

(خديجة) وهي تعاود الطرق بقبضتها بشكل أقوى: لعلها نائمة!

(بدر): لا أستطيع التحمل أكثر أريد الذهاب للحمام

(زينب) وهي تنهر أخاها: اسكت!

(خديجة) وقد فقدت الأمل: يبدو أنها ليست بالمنزل لنرحل

(زينب) بخليط من السخط والتجهم: ماذا؟!.. نرحل؟!.. هل قطعنا كل هذه المسافة للاشيء؟!

(خديجة) بسخط مماثل: ولمَ تصرخين بي هكذا؟!.. أنا في الموقف نفسه مثلكِ تماماً!.. يمكننا العودة وتحصيل ما يمكننا تحصيله من بقية منازل الحي!

(زينب) وصوتها يرتفع أكثر: هل تمزحين؟!.. لن نجد شيئا الآن!.. أطفال الحي غنموا كل الحلوى!.. لن نجد سوى التمر!

(بدر): أنا أحب التمر..

(زينب) مديرة وجهها المتجهم نحو أخيها الصغير صارخة فيه: اخرس أنت!.. سوف أضربك إذا لم تتوقف عن الكلام!!

بدأ (بدر) بالبكاء..

(خديجة) تدنو منه وتعانقه وتقول لأخته بتجهم: انظري ماذا فعلتِ!

(زينب) موجهة نظرها للطريق المؤدي للحي الآخر وتبدأ بالمسير: لن أعود بلا حلوى..

(خديجة) وهي تشد يد (بدر) وتلحق بها بوجه متسائل وقلق:

إلى أين أنتِ ذاهبة؟!

(زينب) دون أن تتوقف أو تلتفت عليها:

للحي المجاور لنا.. لا بد وأن هناك منازل توزع الحلوى هناك

(خديجة) تمسك بذراع (زينب) في محاولة لإيقافها عن السير: لا!

(زينب) بعد أن توقفت رغماً عنها وبعبوس: لماذا؟!

(خديجة) بقلق: غير مسموح لنا بالخروج من حدود حينا دون رفقة الكبار خاصة في هذا الوقت المتأخر

(زينب) متفلتة من قبضة (خديجة):

لستِ ملزمة بمرافقتي! .. عودي مع (بدر) إذا رغبتِ!

(خديجة): وإذا سألتني خالتي عنكِ فماذا أقول لها؟!

(خديجة) وخطواتها تتسارع نحو مخرج الحي المؤدي للحي الآخر:

أخبريها ما تشائين.. لن أعود بلا حلوى!

وقفت (خديجة) لثوانٍ تحدق بصديقتها التي قادها عنادها للخروج من حيهم بحثاً عن الحلوى في منازل الحي المجاور وخلال سرحانها قال (بدر):

«هل سنعود الآن؟»

(خديجة) وعيناها على (زينب) التي تجاوزت آخر منزل في حيهم خروجاً: «لا.. لا نستطيع ترك أختك وحدها..»

شدت (خديجة) الفتى الصغير وبدأت بالجري للحاق بـ(زينب) وما أن خرجت من حدود حيهم حتى دخلت طريقاً مظلماً خلا من الفوانيس ولم ترَ سوى مجموعة من المنازل الممتدة على جانبي الطريق ولم ينر الطريق سوى ضوء القمر المكتمل. لم تر (خديجة) صديقتها في مدى نظرها فبدأت بالسير ببطء وتوجس تلتفت يميناً وشمالاً بحذر شديد وهي تتعمق في ذلك الحي المخيف والهادئ جداً. فزعت الفتاة والصبي عندما سمعا صوت (زينب) من خلفهما وهي تقول بحماس: تعالا هنا!

التفت الاثنان وهما يتنفسان بثقل من الجزع الذي ضرب قلوبهما وقالت (خديجة) بخليط من التوتر والسخط: لقد أفزعتِنا!

ابتسمت (زينب) وأشارت لها بالاقتراب منها وهي تقف عند باب أحد المنازل..

عندما وصل الاثنان عندها قالت لهما وهي تشير لباب المنزل: هذا المنزل به الكثير من الحلوى أنا واثقة..

(خديجة) بتعجب من ثقتها: وما أدراك ؟

(زينب): ألا تشمين تلك الرائحة؟

(خديجة) وهي تستنشق الهواء بتفحص: لا.. لا أشتم شيئاً

(بدر) مقلداً (خديجة): بلى أنا أستطيع شمها

(زينب) لأخيها بحماس: لقد شممتها أليس كذلك يا (بدر)؟

(بدر): بلى.. رائحة اللحم المطبوخ

(زينب) متجهمة: لحم ماذا يا أحمق!.. أنا أتحدث عن رائحة الزعفران

(خديجة): زعفران؟

(زينب): نعم الزعفران الذي يستخدم في صناعة أجود أنواع الحلوى وهناك من يعدها في هذا المنزل ولا شك أنه يوزعها على الأطفال

(خديجة) ملتفتة خلفها في ظلمة الحي وبنبرة قلقة: هذا الحي لا يبدو أنه احتفل هذا العام بـ «القرقيعان»..

(زينب) وهي تطرق الباب الخشبي المتهالك: سترين أني محقة قبل أن ترد (زينب) عليها سمع ا الثلاثة صوت قرقعات لما يشبه بعض الأواني المعدنية ترتطم بعضها ببعض..

(خديجة) بتوتر: ما هذا الصوت؟

(بدر): قرقعة جميلة

(زينب) تطرق الباب مرة أخرى: لعلها الأواني التي تضم الحلوى

صوت القرقعة يرتفع ويقترب من الباب ..

(خديجة): أرجوك يا (زينب) لنرحل من هنا!

صرير الباب وهو يتحرك ببطء كاشفاً عن ظلام دامس خلفه ..

وقف الجميع بانتظار أحد ليخرج ويتحدث معهم أو يرحب بهم لكن ذلك لم يحدث وعوضاً عنه خرجت رائحة أشبه برائحة البرسيم الحديث القطف..

(خديجة) وهي مرعوبة: لنعد أدراجنا أرجوك!

(زينب) وهي تمعن النظر وسط المنزل دون أن تتقدم وبصوت مرتفع: هل هناك أحد؟!

قفز الثلاثة للخلف عدة خطوات جزعاً عندما أطلت امرأة عجوز برأسها وهي تبتسم بوجه متجعد وعين بيضاء وأخرى زرقاء تلف على رأسها وشاحاً أسود وقالت لهم بنبرة مرحبة:

أهلاً وسهلاً!

تشبث (بدر) بـ(خديجة) وتبول على نفسه..

(زينب) بتوتر : نعتذر لإعاجك يا خالة يبدو أننا أخطأنا بالمنزل..

(خديجة) وهي تشد خمار صديقتها من الخلف مشيرة لها بأنهم يجب أن يرحلوا على الفور: نعم يا خالة نحن آسفون سوف نرحل الآن!

مدت العجوز بيدها اليسرى طبقاً من الخوص امتلأ بقطع الحلوى المغلفة بألوان مختلفة وهي تقول: سترحلون قبل أن تحصلوا على نصيبكم من الحلوى؟

لم تستطع (زينب) المقاومة ومدت يدها وأخذت واحدة و(خديجة) تشدها بشكل أقوى لترغمها على الرحيل لكن طعم تلك الحلوى كان لذيذاً لدرجة أن الصبية لم تقاوم وأخذت أخرى وبدأت بتناولها بنهم والعجوز تراقبها مبتسمة بأسنان صفراء.

(خديجة) بنبرة حادة مكبوتة لـ (زينب):

«ماذا تفعلين؟!.. هل أتينا لجمع الحلوى أم تناولها؟!.. ضعي ما تريدين منها في كيسك ولنرحل من هنا فوراً!»

(زينب) وهي منهمكة في تناول المزيد من الحلوى: جربيها!.. إنها لذيذة جداً!

(العجوز) وهي تهز الطبق المليء بالحلوى أمام (خديجة) و(بدر) مبتسمة: «هيا.. تناولا شيئاً منها... »

مد (بدر) يده الصغيرة لتناول قطعة منها لكن (خديجة) سحبته ومنعته وقالت بتجهم للعجوز: لا!.. سنرحل!.. هيا يا (زينب)!!

(العجوز) وهي تدير عينيها البيضاء والزرقاء نحو (زينب) التي لا تزال تتناول المزيد من الحلوى بنهم:

«لكن أختك لم تنتهِ بعد..»

(خديجة) تهز كتف (زينب) بقلق شديد في محاولة لإيقافها عن تناول المزيد: توقفي!.. يكفي هذا!

لم تستجب (زينب) ولم تتوقف حتى أنهت الطبق بأكمله وتناولت جميع قطع الحلوى فيه..

(خديجة) بتعجب: كيف استطعتِ تناول كل هذه الكمية؟!

لم ترد عليها (زينب) وبقيت تتنفس بثقل وإنهاك وكأنها قد جرت للتو لمسافة طويلة..

(خديجة) وهي تمسك بمعصمها بهدوء وتسحبها ببطء: لا يهم ذلك الآن.. هيا لنعد للمنزل يا (زينب).. هيا..

(العجوز) وهي تنسل إلى ظلام منزلها كالأفعى قائلة:

«هناك المزيد من الحلوى بالداخل يا (زينب).. تعالي يا صغيرتي..»

جرت (زينب) كالمجنونة ودخلت المنزل خلف العجوز تاركة خلفها أخاها وصديقتها التي صرخت فيها قائلة: لا تذهبي وراءها يا حمقاء!

ما أن تجاوزت (زينب) عتبة الباب حتى أغلق وراءها بسرعة وقوة. بدأت (خديجة) تطرق الباب وتصرخ بجنون و(بدر) يبكي بجانبها. لم تتوقف عن الطرق وأخذت تركل الباب بكل قوتها وتصرخ بأعلى صوتها مستغيثة حتى فُتح الباب فجأة بنفس القوة والسرعة التي أغلق بها فسكتت لكنها كانت تتنفس بسرعة وتشهق دموعها محدقة بظلمة المنزل والهدوء الخانق الذي خرج من أعماقه والصغير (بدر) مستمر بالبكاء فخرجت ذراع متجعدة

بأظافر طويلة أطبقت على رأس الفتى الصغير وسحبته بسرعة خارقة لوسط المنزل ليُغلق الباب مرة أخرى بنفس السرعة والقوة. جن جنون (خديجة) مما حدث أمامها فجرت نحو المنازل الأخرى بالحي وبدأت تصرخ وتطرق أبوابها مستنجدة بقاطنيها مما أيقظ بعض السكان الذين خرجوا من منازلهم وأحاطوا بها وبدؤوا بسؤالها عن سبب صراخها فشرحت لهم ما حدث وهي تبكي لكنهم أخبروها بأن لا أحد يقيم في هذا المنزل.

لم تصدقهم (خديجة) وأحست بالرعب من هؤلاء الغرباء المحيطين بها فجرت عائدة نحو حيهم. ما أن وصلت حتى توجهت لمنزل أهلها وحكت لهم كل ما حدث وهم بدورهم توجهوا لمنزل أهل (زينب) و(بدر) وأخبروهم بما أخبرتهم ابنتهم فخرج (أبو بدر) و(أبو عبد الله) والد (خديجة) وجمعا أهالي الحي وساروا في مظاهرة ساخطة متوجهين للحي الآخر والذي وجدوا فيه الأهالي الذين خرجوا بسبب صراخ (خديجة) سابقاً وتشابكوا معهم بالكلام في بادئ الأمر بالأخص مع (أبي بدر) والد (زينب) وبسبب غضبه لم يتمكنوا من إقناعه بأن هذا المنزل غير مأهول وأصر على أن يخرجوا له ابنته فوراً. تطور الشجار اللفظي بين أهالي الحي وأهل وجيران أهل (زينب) وتحول لعراك بالأيادي وعمت الفوضى في المكان و(خديجة) واقفة تشاهد ما يحدث وتبكي لأن الوقت يضيع وصاحبتها وأخاها مفقودان فجرت نحو باب منزل العجوز وبدأت تطرقه بقوة وهي تصرخ: «أخرجيهما!»

انتبه أحد المشاركين في العراك لما كانت تفعله (خديجة) وقرر الجري نحو الباب الخشبي وركله بكل ما أوتي من قوة وبالفعل قام بذلك وكسره وما أن اصطدمت درفته بالجدار حتى خرجت صرخة أنثوية قوية جداً من المنزل سُمعت في الحي بأكمله وشلت العراك القائم بين الأهالي الذين أداروا

رؤوسهم بعجب شديد خالطه الكثير من التوتر والرعب. خيم الهدوء على المكان لثوانٍ تبعه صوت قرقعات من داخل المنزل. أول من جرى نحو الباب المفتوح هو (أبو بدر) وتبعه من تطوع من الرجال تباعاً ودخلوا المنزل المظلم. لم يتمكن من دخلوا من رؤية شيء لأن الظلام كان دامساً فأشعلوا ناراً بالخارج وحمل كل من تطوع للدخول شعلة خاصة به مستعيناً بعصي خشبية لفوا رؤوسها بخرق.

من تطوعوا بالدخول خمسة بمن فيهم (أبو بدر) والد (زينب) و(أبو عبد الله) والد (خديجة) وأحد جيرانهم واثنان آخران من الحي المجاور لهم. كان أول ما استقبلهم بعد أن توسطوا بهو المنزل هو رائحة قوية نفاذة أشبه برائحة الخل.

(أبو عبد الله) مغطياً أنفه بظهر يده: ما هذه الرائحة؟

(أبو بدر) رافعاً الشعلة فوق رأسه: لنفترق ونبحث في جميع الغرف قبل أن تؤذي هذه العجوز طفليّ..

تفرق الرجال في جميع أرجاء المنزل والذي تكون من طابق واحد فقط حوى ثلاث غرف وسلماً حجرياً مؤدياً لسطح مفتوح صعده أحد الرجال ليستكشفه. توجه (أبو عبد الله) و(أبو بدر) للغرفة الأقرب لهما ودخلاها بعد ما دفعا بابها الخشبي ووجها شعلتيهما لأرجاء الغرفة ليصدما بمنظر مخيف ومقزز.

رأيا مجموعة من الجثث المعلقة على معاليق حديدية في السقف لكائنات مجهولة الهوية.

(أبو عبد الله) وهو يراقب الجثث المعلقة باشمئزاز خالطه توتر شديد: ما هذه؟ .. خراف؟

(أبو بدر): لا أعتقد..

(أبو عبد الله) وعيناه لم تتنحيا عن تلك الجثث المعلقة: ماذا إذاً؟

انقطع حوارهما بعد أن أطلق أحد الرجال صرخة مدوية من الغرفة المجاورة لهما فجرى الاثنان لمصدر الصوت ودخلا الغرفة ليريا جارهما على الأرض مقتولاً وصدره مفتوح ومفرغ تماماً من أعضائه. وقف الاثنان صامتين والفزع قابض على وجوههما وقلوبهما فدخل خلفهما أحد الرجلين اللذين تطوعا من الحي المجاور لهم وما أن رأى منظر الجثة الممزقة حتى رمى الشعلة التي كانت بقبضته وجرى خارج الغرفة في نية للهرب من المنزل لكنه لم يلحق وصرخ هو الآخر صرخة مدوية تبعها صمت وهدوء مريب.

(أبو عبد الله) ممسكاً شعلته بيد ترتجف: يجب أن نخرج قبل أن نلحق بهما!

(أبو بدر) بثبات وإصرار: اخرج أنت إذا شئت.. لن أترك طفليّ لهذه المجنونة!

(أبو عبد الله) ملتفتاً على جاره وبنبرة قلقة جداً: لن تستطيع مساعدتهما إذا مت.. لنخرج ونستنجد بحراس السور

(أبو بدر) وهو يهم بالخروج من الغرفة: اذهب أنت.. أنا باقٍ هنا

خرج (أبو عبد الله) ولم يعترض طريقه أحد حتى وصل عند عتبة المنزل وشرح للمتجمهرين بالخارج أنهم يجب أن يستدعوا حراس المدينة والذين يتمركزون بالعادة عند سورها. في تلك الأثناء لم يبقَ في المنزل سوى (أبي بدر) والرجل الذي صعد للسطح. توجه (أبو بدر) للغرفة الثالثة وعندما دخلها سمع صوتاً كالطقطقة آتياً من فوقه فرفع شعلته للأعلى ليفاجأ بامرأة عجوز قبيحة متشبثة بأطرافها الأربعة بالسقف الطيني تلوك في فمها قطعة من اللحم النازف وعيناها تلمعان مع لهب الشعلة النارية المتراقصة، لفظت العجوز قطعة اللحم من فمها وصرخت بصوت مرتفع بطريقة حيوانية مرعبة كاشفة عن أنيابها الطويلة المبتلة بالدماء لكن (أبا بدر) لم يهتز وصرخ فيها قائلاً: أين ابنايَ!!

أصدرت العجوز فحيحاً كالأفعى قفزت بعده وانقضت عليه وأسقطته على ظهره وبدأت بتمزيق ملابسه بمخالبها الطويلة.

(أبو بدر) لم يكن رجلاً ضعيفاً أو هزيلاً فقد كان مزارعاً قوياً ببنية جسدية كبيرة وسواعد عريضة لذا رمى بالشعلة التي كانت بيده وقبض شعرها بقبضته الضخمة وأبعدها عنه بعد ما شد رأسها جانباً بقوة. نهض (أبو بدر) وسار نحو العجوز الملقاة عند مدخل الغرفة وأمسك بفروة رأسها مرة أخرى بقبضة وبالقبضة الأخرى بدأ يوجه ويكيل لها عدة لكمات مباشرة في وجهها. تحطمت أسنانها وتحطم وجهها وبالرغم من أنها تمكنت خلال ضربه لها بلا رحمة من خدش صدره وبطنه بمخالبها والتسبب بجروح عميقة له إلا أن غضب (أبي بدر) منعه من الإحساس بالألم ولم يتوقف عن توجيه تلك اللكمات لوجهها حتى توقفت هي عن المقاومة وخارت قواها لتتحول لجثة دامية هامدة.

رمى (أبو بدر) رأس تلك العجوز على الأرض وفي تلك اللحظة أحس بألم كل تلك الجروح التي أحدثتها في جسده دفعة واحدة فنزل على ركبتيه متوجعاً لكن ذلك لم يدم طويلاً لينهض مرة أخرى بنشاط عندما سمع صوت الرجل الذي صعد السطح وهو يصرخ منادياً: «لقد وجدتهم!»

صعد (أبو بدر) السلالم الحجرية جرياً وهو يصرخ: أين؟!..أين؟!..

عندما وصل للسطح فوجئ (أبو بدر) بمنظر غريب.. رأى مجموعة من الجرار الفخارية مصفوفة على امتداد جدار السطح وكل جرة يطل من فوهتها رأس. رؤوس كثيرة جميعها صغيرة.. رؤوس أطفال صغار. لم تكن الرؤية واضحة بالرغم من ضوء القمر المكتمل فخطف (أبو بدر) الشعلة التي كانت بيد الرجل الواقف وسط السطح مبهوراً وبدأ يبحث بين تلك الرؤوس المطلة من تلك الجرار. الرؤوس كانت متعفنة ومن الواضح أنها قد أمضت زمناً طويلاً في تلك الجرار التي امتلأت بدبس التمر ومعظم الأجساد فيها قد تحللت وامتزجت مع الدبس. تنفس (أبو بدر) الصعداء عندما وصل لجرتين أطل منهما رأسا (بدر) و(زينب) وكانا بخير لكن فاقدين للوعي.

وصل حراس السور للمنزل وقبل أن يدخلوا خرج (أبو بدر) من الباب حاملاً طفليه على كتفيه ومن خلفه الرجل الآخر ونظر للناس المتجمهرين بملابسه الممزقة والمتشرية بالدماء وقال بهدوء: من كانت تلك العجوز المقيمة بالمنزل؟

أجابه أحد الواقفين من أهل الحي قائلاً:

كانت تقيم فيه (أم سعد).. بائعة الدبس.. لكنها متوفاة منذ عشر سنوات..

أول مؤشرات الضياع كثرة الكلام..

الآمر والناهي

هناك صوت يحدثني..

لا أعرف هل هو آتٍ من داخلي أو حولي

يأمرني.. يحثني..

لا تنتظر الي

على القيام بأمور لا تعجبني..

غالباً يبدأ بالحديث معي عندما أحتار بين أمرين..

يدفعني عنوة للقيام بالخطأ..

هناك صوت آخر بدأ يتحدث معه مؤخراً..

يعارضه.. ينهاني عن الإنصات له..

يتجادلان في رأسي وكأن القرار ليس بيدي..

هل الصوت الآخر ضميري؟

هل الخير والشر يقتتلان في عقلي؟

لكن يبقى ذلك الصوت الناهي بالرغم من ضآلته الحاجز الأخير لما يمكن أن أقوم به من فظاعات..

الصوت يتضاءل كل يوم أمام الصوت الآمر..

لقد صمت.. ولم يتحدث أو يجادل لأيام..

أعتقد أن جريمتي الأولى قد حان موعدها..

يبقى الخيار الآن هو..

من سيقع عليه الاختيار..

لا تنتظر اليوم الذي تُفترس فيه كي تعرف بأننا نعيش في غابة..

ليلى والكلب

«لقد نفد البيض... »

قالتها (أم ليلى) وهي ممسكة بمقبض الثلاجة المفتوحة ونظرها على رفوفها..

(ليلى) وهي تغمس سبابتها في وعاء حوى خليطاً أبيض كانت أمها تعده:

«هل معنى ذلك أننا لن نتناول الكعك اليوم؟

(أم ليلى) تغلق باب الثلاجة قائلة :

يمكنك الذهاب للبقالة القريبة من المنزل وشراء ثلاث بيضات كي نكمل إعداده

(ليلى) وهي تلعق سبابتها: حسناً يا أمي!

سارت الأم خروجاً من المطبخ لغرفة المعيشة ومن خلفها (ليلى) وجلبت محفظتها وأخرجت مبلغاً من المال مدته لابنتها وهي تقول: اشتري ثلاث بيضات فقط.. لا تشتري شيئا آخر!.. مفهوم؟

(ليلى) بابتسامة متوددة ونبرة متوسلة: قطعة واحدة من الحلوى فقط !.. أرجوك!

(أم ليلى) بحزم: لا!.. ثلاث بيضات فقط وعودي على الفور!

(ليلى) بخيبة: حاضر يا أمي..

كان الوقت ظهراً في موسم شتاء قارس والسماء تلبدت بالغيوم وغطت نور الشمس بالكامل والشوارع مبتلة من أمطار غزيرة هطلت بقوة الليلة السابقة.

(أم ليلى) وهي تلف وشاحاً من الصوف الأحمر على عنق ابنتها: «خذي حذرك من السيارات المسرعة ولا تتحدثي مع الغرباء..»

(ليلى): حاضر يا أمي..

(أم ليلى) وهي تقبل وجنة ابنتها: سأبقى عند الباب حتى تعودي..

(ليلى): الجو بارد جداً يا أمي.. ادخلي للداخل واتركي الباب مفتوحاً لي.. لن أغيب كثيراً

(أم ليلى) تمسح على رأس ابنتها وتقول: عندما ترزقين بأطفال ستعرفين أن الشعور بالبرد أهون بكثير من الشعور بالقلق على فلذة كبدك..

(ليلى) وهي تهم بالرحيل: حسناً.. أعدك بأني لن أتأخر

خرجت (ليلى) وما أن خطت خطوتها الأولى حتى وقعت أقدامها في بركة ماء موحلة تكونت عند بابهم لطخت حذاءها وجزءاً من جواربها فالتفتت خلفها لترى أمها تنظر إليها وتقول باسمة:

«حاولي أن تعودي بأقل قدر من الخسائر ... »

ابتسمت (ليلى) وبدأت بالمشي نحو البقالة القريبة من البيت التي يفصلها عنه عدة منازل وشارع ليس بالمزدحم. بالرغم من أن الوقت كان في الظهيرة إلا أن الشوارع خلت من المارة تماماً مما دفع الفتاة لزيادة وتيرة مشيها لتصل بسرعة لشعورها بعدم الارتياح من ذلك الهدوء البارد. وصلت (ليلى) للبقالة واشترت الثلاث البيضات وحملتها في كيس بلاستيكي أزرق صغير وقبل أن ترحل سألها صاحب البقالة: «ألن تشتري الحلوى مثل كل مرة؟»

(ليلى) مبتسمة: فقط البيض هذه المرة يا عم..

(البقال) يمد لها قطعة من الحلوى المفضلة لها قائلاً: خذيها..

(ليلى) بتحرج: أمي لم تعطني الإذن بشراء شيء عدا البيضات الثلاث

(البقال) ويده لا تزال ممدودة بقطعة الحلوى: لكنها لم تمنعك من قبول الهدية.. إنها مجانية.. هيا خذيها

(ليلى) وهي تأخذ قطعة الحلوى من يد البقال مبتسمة بابتهاج شديد: شكراً يا عم!

(البقال) يبادلها الابتسام قائلاً: رافقتكِ السلامة..

خرجت (ليلى) من البقالة وبعد عدة خطوات بدأت السماء ترعد وتبرق تبعهما هطول غزير للأمطار. هرولت الفتاة نحو منزلها وبعد انتصاف الطريق بين المنزل والبقالة سمعت (ليلى) صوت زمجرة آتياً من خلفها فشعرت بالخوف وتوقفت مكانها واحتضنت نفسها وكيس البيض الأزرق وأدارت رأسها ببطء وحذر نحو مصدر الصوت لترى كلباً أسود يحدق بها وشفتاه ترتجفان خلال زمجرته كاشفاً عن أسنانه الكبيرة التي سال لعابه اللزج عليها. استمر التحديق بينهما لثوانٍ قبل أن يطلق الكلب نباحاً قوياً أفزع (ليلي) ودفعها للانطلاق بسرعة هروباً لكن تلك الانطلاقة المفاجئة تسببت في فقدانها لتوازنها لتتعثر وتزل قدمها وتسقط بوجهها على الأرض الإسفلتية المتسخة بالطين لتنكسر إحدى البيضات في الكيس وينكسر معها أنفها جراء ذلك الاصطدام بالأرض الصلبة. بدأ أنفها ينزف بغزارة تزامن معه صداع قوي هيمن على كامل رأسها ومنعها من الرؤية بوضوح وهي ملقاة على الأرض والمطر يهطل من فوقها. استغل الكلب سقوط الفتاة على الأرض وغرس أنيابه الحادة اللزجة في ساقها وبدأ يهز رأسه بشكل جنوني ومسعور وكأنه أراد فصلها عن فخذها. بدأت (ليلى) بالصراخ ورفعت رأسها لترى أن الكلب ترك ساقها وانقض عليها ليعض عنقها. لم تستطع الفتاة منعه وبالفعل تمكن من الإطباق على عنقها لكن ساكة من الوشاح الصوفي الذي التف حوله خففت من وطأة قضمته بالرغم من أنها أحست بألم مبرح جراء ضغط فكيه على رقبتها. لسبب ما تخلى الكلب عن قبضته عليها وتنحى من فوقها وبدأ يسعل جانباً وكأنه قد غص بشيء ما. استغلت (ليلى) ما حدث وأخذت تحاول الوقوف لكن الأمر كان مؤلماً جداً بسبب ساقها المصابة وأنفها المكسور ورقبتها المتوجعة ومع هذا قاومت تلك الآلام وأسندت نفسها على أقرب جدار وبدأت تعرج بكل ما استطاعت من قوة هاربة من المكان نحو منزلها.

لم يمضِ وقت طويل حتى انقض الكلب الأسود مرة أخرى على ظهرها وأطاح بها أرضاً وهو ينبح بقوة أتبعها بقضم فروة رأسها من الخلف وشدها بعنف وهزها يميناً وشمالاً ممرغاً وجهها بالطين. خارت قوى (ليلى) وفي لحظة يأس سلمت نفسها لذلك الكلب المسعور وتوقفت عن المقاومة. أطلق الكلب صرخة حادة وأحست الفتاة بأنه قفز من على ظهرها لكنها لم تتمكن من رفع رأسها لترى ما حدث. كان المطر لا يزال ينهمر و(ليلى) مسندة خدها على الأرض الباردة ومن ورائها كرر الكلب تلك الصرخات الحادة حتى سكت. شعرت الفتاة بيد تهبط على ظهرها برفق تبعها صوت رجل يقول: «هل أنتِ بخير؟»

أجابت (ليلى) على الرجل: «نعم أنا بخير..

لكن كلامها خرج منها على شكل أنين غير مفهوم..

حمل الرجل الفتاة بين ذراعيه وعندها تمكنت من رؤية ملامحه التي كانت لرجل بلحية سوداء كثيفة تبسم لها عندما رأى أنها لا تزال على قيد الحياة. وجهت (ليلى) نظرها ببطء جانباً ورأت الكلب ملقى على الأرض غارقاً في دمائه ورأسه مهشم بلوح خشبي عريض ملقى بجانبه.

(الرجل): سوف آخذك للمستشفى الآن

(ليلى) بوجه متورم مغطى بالطين والدماء: أريد العودة..

(الرجل): العودة إلى أين؟

رفعت (ليلى) الكيس البلاستيكي الأزرق الذي لم تفلته من يدها خلال كل ما مرت به وقد انكسرت البيضات الثلاث وتحولت لخليط أصفر من الصفار والقشور وقالت:

«للبقالة لأحضر المزيد من البيض... »

لا تحاول أن تفهم شخصاً لا يفهم نفسه..

الطارق

لدي عادة غريبة منذ الصغر في طرق أي باب قبل الدخول..

لا أذكر متى ولماذا بدأت تلك العادة..

حتى لو كنت بالخارج وفي المحلات أو أقمت في فندق..

أطرق قبل دخول دورة المياه أو حتى قبل أن أفتح الدولاب لتبديل ملابسي..

لجأت لطبيب نفسي للعلاج..

قدم لي حلولاً كثيرة أغلبها مجرد كلام لم ينفعني..

لكن إحدى عباراته حفزتني لمحاولة فتح درفة باب لأول مرة في حياتي دون أن أطرقه وبعد صراع طويل مع نفسي أمسكت مقبض باب الحمام وفتحته دون أن أطرقه كما اعتدت دوماً..

فرأيته..

تذكرت عند رؤية وجهه لما كنت أمارس تلك العادة بهوسٍ قهريٍّ مجنون..

رأيت ذلك الشيء الذي حذرني عندما كنت صغيراً من أن أدخل عليه أو أي مكان دون أن أطرق الباب..

أقسم لي قسماً مغلظاً وقتها إنه سيقتص مني إن فعلتها مرة أخرى..

كان ينظر إلي بسخط لأني حنثت بقسمي وكسرت عهدي معه ..

إنه يقترب.. ليبر بقسمه..

لا أحد يسأل عن الشمس عندما تغيب لكن عندما تشرق فلا أحد يستطيع تجاهلها..

خروف العيد

بقي على عيد الأضحى أيام..

كبش أقرن كبير يساق لإحدى الغرف في منزل كبير في أحد الأحياء الشعبية..

يسوقه مجموعة من الغلمان والشباب وهم يحومون حوله يقفزون مرحاً..

من بينهم فتى صغير في العاشرة يشاركهم البهجة ذاتها..

يضع رجل في منتصف الخمسين من العمر كفيه تحت إبطي الفتى الصغير من الخلف ويرفعه فوقه ضاحكاً وهو يقول:

«ما رأيك بالأضحية هذه السنة يا (سفيان)؟!»

(سفيان) وهو يراقب أعمامه يدخلون الكبش الكبير لغرفة وسط فناء المنزل الطيني بسعادة: إنه رائع يا جدي!.. متى سنذبحه؟!

(الجد) مبتهجاً لسعادة حفيده: بعد صلاة العيد بالطبع كما هو معتاد!

(سفيان): لا أطيق الانتظار!

الفتى (سفيان) هو الحفيد الذكر الأوحد من بين أحفاد ذلك الرجل بالرغم من أن أبناءه كثر إلا أنه لم يزوج منهم سوى ثلاثة وجميعهم رزقوا بفتيات لذا فقد كان (سفيان) الأقرب لقلبه والأكثر تدليلاً بين الأحفاد. مراسم ذبح خروف العيد كانت احتفالاً سنوياً بهيجاً في منزل العائلة الكبيرة وخروف العيد يتم شراؤه قبله بعدة أيام ويتم إطلاقه في أرجاء المنزل نهاراً ليستمتع الصغار بمشاهدته واللعب معه وإطعامه. خروف هذه السنة كان كبيراً على غير العادة لذا تردد أبناء كبير العائلة في إطلاقه لأنه قد يؤذي الفتيات الصغيرات لكن الجد أصر عليهم وأمرهم بحمايتهن ومراقبتهن خلال تجوله في المنزل بحرية. نفذ الأبناء طلب والدهم وأطلقوا الكبش الأقرن بفتح باب الغرفة التي حبس فيها وما أن فعلوا حتى خرج برأسه ناطحاً الهواء وراكلًا بحوافره الخلفية بنشاط حتى توسط الفناء وسط صراخ النساء والأطفال وضحك الشباب و(سفيان) وجده.

أخذ الكبش يضرب بحافره الأرض وهو ينفخ الهواء الساخن من منخاره فقال الجد لـ (سفيان) ممازحاً: هل تظن أنك تستطيع ركوب الأضحية هذا العام؟

(سفيان) بثقة وحزم: نعم أستطيع!

أشار الجد لأحد أبنائه بحمل (سفيان) ووضعه فوق ظهر الخروف الكبير ففعل وقام الفتى المتحمس بالتمسك بقرون ذلك الكبش الضخم مشيراً لعمه بأن يتركه ولا يمسك بالخروف.

(العم): لا تتحمس كثيراً يا (سفيان) فهذا الكبش ليس كغيره وقد يؤذيك

(سفيان): اتركه يا عمي! أريد الانطلاق!

التفت العم نحو الجد الذي أومأ له مبتسماً بتنفيذ رغبة حفيده فأرخى قبضته من على فروة الكبش وأطلقه. في البداية سار الكبش بهدوء و(سفيان) من فوقه يركل خاصرته ويصرخ فيه قائلاً: هيا!.. هيا!

لم يحدث ما كان متوقعاً ولم ينطلق الخروف الأقرن بسرعة أو يُحدث جلبة بل اكتفى بإنزال رأسه عند بعض أغصان البرسيم المتكومة عند مدخل الغرفة التي وضع فيها سابقاً ملتقطاً بعضها بلسانه وتناولها بهدوء.

(سفيان) بسخط وإحباط : أنزلوني!

حمله عمه وأنزله وهو يقول ضاحكاً: ما بك؟!

(سفيان) يسير نحو جده قائلاً بغضب: هذا الخروف ممل!.. متى ستذبحه يا جدي؟!

(الجد) ضاحكاً: صباح العيد.. صباح العيد..

منزل الجد كبير بالرغم من قدمه ويتكون من غرف عديدة ومطبخ واسع يضم سرداباً صغيراً للتخزين وكان من عادات تلك العائلة الاجتماع قبل عيد الفطر وعيد الأضحى بأسبوع والإقامة في منزل العائلة. المتزوجون بأطفالهم وكذلك العزاب لكن الجد الكبير كان يُلزم الرجال والأطفال الذكور بالنوم على الأرض في الغرف الواسعة والنساء والبنات يتم توزيعهن في بقية الغرف حسب أعمارهن وهو يبيت في غرفة خاصة له بدون زوجته التي تنام في غرفة أخرى.

حل الليل وتوجه الجميع لمضاجعهم ومن بينهم (سفيان) الذي بات بجانب أبيه على الأرض مع بقية أعمامه الخمسة. في وقت غير معلوم من

الليل استيقظ (سفيان) من النوم وفتح عينيه في الغرفة المظلمة وهو مستلقٍ بجانب والده المحتضن له وأحس بأنه يريد الذهاب للحمام فأبعد ساعد والده عنه برفق ونهض وفتح الباب فقال له أحد أعمامه بصوت ناعس من الظلام خلفه: «إلى أين يا (سفيان)؟»

(سفيان) وهو يفرك عينه من النعاس: للحمام..

(العم) وهو يعود للنوم: حسناً أغلق الباب خلفك..

أغلق (سفيان) الباب برفق وسار لدورة المياه في آخر المنزل وعندما انتهى من قضاء حاجته هم بالعودة ومر خلال عودته بالغرفة التي كان فيها الكبش فدنا من بابها ووضع أذنه عند الباب متصنتاً فلم يسمع شيئاً. أبعد رأسه وحدق بدرفة الباب وقال: سوف تموت بعد أيام..

(صوت من وراء) الباب: وهل ستتركهم يقتلونني؟

فزع الفتى مما سمع وأطلق صرخة أيقظت معظم من كانوا نائمين فخرجوا من غرفهم وهم يبحثون عن مصدر الصرخة ووجدوا (سفيان) منزوياً في أحد أركان باحة المنزل يبكي.

(الجد) مقترباً من حفيده: ما بك؟.. ما الأمر؟.. لمَ تبكي؟!

(سفيان) بصوت متقطع ومتحشرج من البكاء: الخروف!.. الخروف تكلم معي!

ضحك معظم الواقفين من الكبار والصغار من كلام الفتى لكن الجد نهرهم وأمرهم بالصمت والعودة لمضاجعهم وحمل حفيده على كتفه وهو يقول له مطمئناً: «وماذا قال لك؟»

(سفيان) مستنشقاً دموعه: لا أذكر ..

(الجد) مبتسماً: إذا تحدث معك مرة أخرى فأخبره أن جدي سينحرك

(سفيان): لا .. أخاف أن يقتلني

(الجد): كن شجاعاً كما عهدتك.. هل تريد رؤيتها؟

(سفيان): رؤية ماذا؟

(الجد): السكاكين التي سنذبح بها ذلك الكبش؟

(سفيان) وقد استعاد بعض ثقته: نعم!.. أريد رؤيتها!

(الجد): حسناً هيا بنا

سار الجد وهو لا يزال يحمل حفيده ودخل المطبخ وسحب مقبض أحد الأدراج وأخرج لفافة جلدية وضعها على السطح وحل عقدة كانت مربوطة بها وقام بفرشها كاشفاً عن مجموعة من الأنصال الحادة بمختلف الأحجام.

(سفيان) مشيراً لإحدى السكاكين: ما هذه يا جدي؟

(الجد): هذه سكين السلخ

(سفيان) مشيراً لأخرى: وهذه؟

(الجد): الساطور.. لكسر العظام

(سفيان): وهذه؟

(الجد) وهو يمرر سبابته عبر عنقه: هذه أهم واحدة..

ابتسم (سفيان) وقال: هل يمكننا ذبحه الآن؟

(الجد) وهو ينزل حفيده على الأرض ضاحكاً: الأضحية لا تذبح قبل أوانها يا عزيزي!

(سفيان): لا أطيق الانتظار..

(الجد): لم يبقَ سوى يوم واحد فقط .. اذهب الآن لفراشك كي تستيقظ باكراً وتتناول الإفطار معي.. جدتك ستعد وجبتك المفضلة غداً

(سفيان) وهو يجري مسرعاً للغرفة التي ينام فيها أبوه وأعمامه: حاضر يا جدي!

في اليوم التالي نهض الجميع أول الصباح كما هو معتاد وبدأت النساء مع الجدة بإعداد الإفطار للعائلة بينما اجتمع الرجال حول كبير العائلة يحتسون الشاي في فناء المنزل ويتحادثون والبنات يلعبن حولهم بمن فيهم (سفيان) وخلال لعبهم قال أحد أعمامهم لهم بصوت مرتفع: هل نخرج الكبش ليلعب معكم؟!

صرخ جميع الأطفال مبتهجين بالموافقة عدا (سفيان) الذي بدا عليه القلق وعدم الحماس فلاحظ الجد ذلك وقال للعم صاحب الاقتراح وهو يراقب حفيده المتوتر: «انتظر ... »

نادى الجد على حفيده وعندما أصبح بجانبه قال: عمك يريد أن يقول لك شيئاً..

(العم) مبتسماً: نعم.. أنا يا (سفيان) من تحدث معك من غرفة الكبش.. كنت أريد إخافتك فقط

(سفيان): لكنك كنت نائماً يا عمي

(العم): لقد خرجت بعدك عندما ذهبت للحمام.. هل تذكر عندما طلبت منك إغلاق الباب خلفك؟

(سفيان) وهو يقضم أظافره: نعم..

(العم): لقد نهضت بعدك مباشرة واختبأت في الغرفة لإخافتك..

أنزل (سفيان) رأسه ولم يرد..

(الجد) يهز حفيده ضاحكاً: لقد انتهى الأمر الآن!

(العم) مبتسمًا: انسَ الموضوع لقد كانت مجرد مزحة

(الجد) لـ (العم): أخرج الكبش من الغرفة ليلعب مع الصغار!

نهض العم وسار نحو الغرفة وفتح الباب متوقعاً اندفاع الكبش للخارج لكن ذلك لم يحدث وبقي الجميع يترقبون خروجه لكن انتظارهم طال فقال الجد لابنه الذي فتح الباب: «ادخل وأخرجه بالقوة»

دخل العم و(سفيان) يراقب بتوتر وبعد قليل قفز الخروف خارج الغرفة وبدأ يجري ويدور وسط الفناء والأطفال من حوله يقفزون مرحاً لكن (سفيان) تنحى مبتعداً واقترب من جده وأعمامه المجتمعين وهو يقضم أظافره.

(الجد): لمَ لا تلعب مع بنات عمومتك؟.. أم الفتيات أكثر شجاعة منك؟

(سفيان) وعينه على الكبش: لا أريد..

(الجد) وهو يزفر : خيبت أملي فيك

(أبو سفيان) ضاحكاً: ما زال صغيراً يا أبي على مطارحة كبشٍ كهذا

(الجد) بتجهم: ابنة أخيك أصغر منه وهي لم تخشَه.. لا تبرر لابنك!

(أبو سفيان): حاضر يا والدي

نهض الجد من مكانه وكانت عليه بوادر الغضب واقترب من الكبش النشط ولطمه لطمة قوية صدمت الجميع. حاول الكبش المقاومة والاندفاع نحو الجد بقرنيه الكبيرين لكنه تلقى ضربة من قبضة الجد نزلت على جبينه أركعت قوائمه الأمامية وأنزلته أرضاً. كان (سفيان) يراقب المنظر باستياء وأحس بالشفقة على الكبش لما تعرض له من كسر لعزيمته. أشار الجد بعبوس لحفيده بالاقتراب منه والخروف الكبير راكع أمامه فدنا بحذر وعند وصوله قال له بنبرة غاضبة: «اصعد على ظهره!»

(سفيان): لا أريد يا جدي

(الجد) بعصبية: اصعد!

استغل الكبش ذلك الجدال وانطلق بكل قوته برأسه ونطح الجد في بطنه نطحة أطاحته أرضاً. نهض الرجال من أماكنهم وسيطر بعضهم على الكبش الهائج وأعادوه للغرفة والآخرون عاونوا أباهم على النهوض بعد ما تحققوا من أنه لم يصبْ بأي إصابة بليغة.

(الجد) نافضاً التراب عن ملابسه: في القريب العاجل سأستمتع بقطع أوداجك أيها الكبش.. صبراً.. غداً يحل العيد وسأسقي الأرض بدمائك الساخنة ولن تقوى حتى على الصراخ وربما لن أنتظر حتى تفارق الحياة بالكامل وأبدأ بسلخ جلدك وأنت تصارع الموت..

عندما (سفيان) تلك العبارات من جده الذي طالما كان بالنسبة له رمزاً للحنان والرفق شعر بوحشية ما سيقومون به صباح العيد ودب في قلبه إحساس قوي بأنه يجب أن يخلص ذلك الكائن الضعيف من مصيره المحتوم. خلد الجميع للنوم تلك الليلة استعداداً للنهوض باكراً لصلاة الفجر والعيد كما اعتادوا كل عام ولكن الفتى الصغير الذي احتضنه والده كان يخطط لأمر آخر ولم تغفُ عينه.

بعد تيقن (سفيان) من نوم الجميع نهض من مضجعه وخرج من الغرفة متوجهاً للغرفة التي حُبس فيها الكبش ووقف عند الباب وأدار المقبض وتراجع للخلف بترقب. لم يخرج الكبش فبادر الفتى بالحديث قائلاً: «اخرج.. احصل على حريتك واهرب.. جدي سوف يذبحك صباحًا»

سمع الفتى صوت طرقات حوافر الكبش وهو يسير ببطء حتى ظهر برأسه الكبير ولم يكن المكان مناراً بشكل كافٍ لكن معالمه كانت واضحة وكان من الواضح أيضاً أنه يحدق بـ (سفيان) بطريقة غريبة.

(سفيان): ماذا تنتظر؟ .. اهرب!

(الكبش): أهرب إلى أين؟.. باب المنزل مغلق

سقط الفتى على مؤخرته وأخرسه الرعب الذي أصابه عندما رأى الخروف الضخم يتحدث معه لكنه لم يصرخ كالمرة السابقة بل قال وهو يرتجف: «أنت تتحدث بالفعل.. ولم يكن عمي هو من حادثني»

(الكبش): معك فقط أتحدث..

(سفيان): ولمَ معي بالذات؟

(الكبش): لأنك الوحيد القادر على تخليصي

(سفيان) وهو ينهض: سأفتح لك باب المنزل لتهرب

(الكبش): هذا لن يحميني من بطش جدك.. سيمسكون بي وسأكون ضحيتهم

(سفيان): يجب أن تحاول

(الكبش): الحل ليس بالهرب..

(سفيان): في ماذا إذاً؟

(الكبش): أحضر لي سكاكين جدك

(سفيان): السكاكين؟

(الكبش): نعم.. حصولي عليها سيمنعه من ذبحي أو ذبح غيري

(سفيان): سيشتري غيرها.. هذا ليس بحل

(الكبش): أحضرها لي ولا تهتم بالأمر

(سفيان): هل ستخبئها؟

(الكبش): نعم.. هيا قبل أن يستيقظ أحد

نهض الفتى وذهب للمطبخ وجلب اللفافة الجلدية التي حوت سكاكين جده وساطوره الكبير ووضعها عند أقدام الكبش وقال: «ماذا الآن..؟ »

(الكبش): عد للنوم..

(سفيان): هل أفتح لك باب الخروج لتهرب بعد ما تخبئ السكاكين؟

(الكبش): لا.. لن يكون لذلك حاجة.. هيا اذهب الآن..

عاد (سفيان) لأحضان والده وغط في نوم عميق..

فتح الفتى عينيه عندما سقطت أشعة الشمس المخترقة لشق الباب المفتوح في الغرفة ورأى أن المكان فارغ وأن الجميع قد استيقظوا قبله ولم يوقظوه كما هو معتاد فنهض بكسل وباعد درفة الباب وخرج وما أن بدأ بالسير نحو فناء المنزل حتى سمع ضجيج بكاء قادم من غرفة جده. خليط من أصوات نساء ورجال يبكون وينتحبون. قبل أن يدخل (سفيان) غرفة جده المفتوحة الباب شده أحد أعمامه من ذراعه الصغيرة للخلف وعيناه تدمعان وقال له: تعال يا (سفيان)..

(سفيان): أريد أن أرى جدي..

(العم) وبكاؤه يزداد: تعال واجلس مع بنات عمك في الغرفة الأخرى

تفلت الفتى من قبضة عمه وجرى مسرعاً ودخل غرفة جده ليرى أباه وبقية أعمامه وجدته يقفون حول سرير جده في حالة بكاء ونحيب ورآه قد عُلق بحبل فوق السرير المتشرب بدمائه وقد سلخ جلده بالكامل ورأسه المفصول استقر على وسادته بلسان ممدود خارج فمه وأعين متسعة.

لا يوجد أقسى من أن تعيش وحدك إلا أن تموت
وحيداً..

ما شعورك؟

عندما تحدق بمصباح مطفأ ويشتعل فجأة..

تتلقى اتصالاً من رقم شخص توفي منذ أشهر ..

ينشب خلاف حاد بينك وبين الشخص الوحيد الذي يعرف أحلك أسرارك سواداً..

تفقد إيمانك بكل شيء غُرس فيك منذ الصغر..

تقرر أن توجه شتيمة فتباغتك صفعة..

تكتشف أن هناك حزناً شديداً سيخنق أنفاسك وهمّاً ينتظرك في المستقبل لا محالة..

لكن الأهم من ذلك كله..

ما شعورك..

لو أخبرتك..

أن لا أحدَ..

يكترث..

بما هو شعورك؟

يخاف النار من يجهلها..

الحَوَش

السِاعة الآن اقتربت من التاسعة ليلاً.. قطعت مسافة طويلة على الطريق المعبد

خلا ذلك الشارع من أي إنارة تُذكر..

حان وقت الخروج عن مساري وسلك الطريق الترابي..

أشق بسيارة دفع رباعي طريقاً رملياً أشد ظلمة..

نصف ساعة أخرى من السير وأصل لمقر عملي الجديد..

مديراً لمحطة تنقيب في منطقة نائية وسط الصحراء..

الشركة التي أعمل بها لا تقدم الترقيات دون أن تنفيك لمكان بعيد..

أوقات العمل التي كُلفت بها تبدأ من التاسعة للخامسة فجراً..

الفارق في الراتب الشهري والمنصب الأعلى يجعلني أتغاضى عن ذلك كله..

رؤسائي وعدوني بالعودة للمدينة في أقرب حركة للنقل..

أرى نور المحطة في الأفق.. يومي الأول سيبدأ..

ركنت السيارة في المواقف المخصصة للموظفين بعد تجاوز البوابة بسيارة الشركة. بعد ترجلي من السيارة كان في استقبالي مدير المحطة المناوب للفترة السابقة وقد قام بأخذي في جولة سريعة للتعريف بمرافق المنشأة والموظفين العاملين فيها. لم يستغرق الأمر طويلاً حتى وصلت للمكتب المشترك بيني وبين المديرين الآخرين فالمحطة تعمل ٢٤ ساعة على ثلاث فترات حصة كل فترة ثماني ساعات حيث ودعني المدير وتمنى لي التوفيق في عملي الجديد. جلست على المكتب وخلال تفحصي لبعض الأوراق على سطحه دخل علي موظف وفي يده طلب إجازة فقلت له:

«ضع الورقة وسوف أطلع عليها لاحقاً..»

(الموظف): لكني أريد توقيعك الآن لأني لا أنوي الحضور غداً

- هذا ليس قرارك.. سوف تحضر لعملك في حال رفضي للإجازة

(الموظف): ولمَ ترفضها؟

- اخرج الآن وأغلق الباب خلفك قبل أن يتحول طلب الإجازة لخصم يوم كامل

وضع الموظف ورقة طلب الإجازة على الطاولة وعلى وجهه ارتسمت معالم التجهم والسخط لكنه لم يتجرأ على النطق بكلمة واحدة. لست مديراً قاسياً لكن من الواضح أن هذا اختبار من الموظفين لقياس مدى جديتي في العمل. ما أن أغلق الموظف الباب خلفه حتى أخرجت قلمي من جيبي وحررت رفضي على الإجازة. ما زال الوقت مبكراً على أن يروا مني شيئاً غير الصرامة. سأمضي وقتي الآن في التعرف على النماذج المستخدمة في تسيير العمل هنا.

الساعة تقترب من الثانية عشرة..

منتصف الليل..

لقد سرقني الوقت ..

يدخل علي موظف آخر ويخبرني بأن موعد زيارة المحطة الفرعية قد حان وأنه ذاهب إليها..

أخبره بأن يسبقني وأني سأتبعه للإشراف على ذلك بنفسي..

تعجب من طلبي لكنه لم يعترض وخرج..

المحطة الفرعية هي محطة لتوليد الكهرباء لتزويد منشأتنا بالطاقة اللازمة لعملها. مهمة زيارة محطة توليد الكهرباء لم تكن من مهام مدير المنشأة لكني كنت أريد أن أرى بنفسي كل شيء وأن أكون ملمّاً بما يقوم به جميع الموظفين الذين يعملون تحت إدارتي. خرجت من مكتبي للتوجه للسيارة في المواقف وخلال سيري مررت ببعض الموظفين وملامح وجوههم دلت على أن فحوى مقابلتي مع طالب الإجازة قد نُقل إليهم. جيد.. رسالتي وصلت للجميع بأقل مجهود.. لا تخاذل في العمل وأنا موجود.

ركبت سيارتي ذات الدفع الرباعي والتي تمنحها الشركة للموظفين في المناصب القيادية لاستخدامها على مدار الساعة وتوجهت بها خروجاً من البوابة وسرت بمحاذاة مجموعة من الأنابيب والكابلات الضخمة الممتدة من محطتنا لمحطة توليد الكهرباء، كنت أستطيع رؤية سيارة الموظف الذي سبقني في الأفق أمامي. المسافة للمحطة الفرعية تستغرق ربع ساعة تقريباً لأننا نسير ببطء فوق الرمال ولم يكن هناك ما يستدعي الاستعجال.

وقعت عيني على الساعة المضيئة في السيارة ورأيت أنها قد أكملت ١٢:٠٠ .. منتصف الليل..

وقت برنامجي الإذاعي المفضل..

أدرت المذياع وانتقلت لتردد المحطة التي تبث برنامجي الأسبوعي المحبب لي لكني تفاجأت بأن البرنامج قد استبدل به برنامج آخر.. برنامج لطلب إهداءات المستمعين من الأغاني والتحدث في موضوعات سطحية مع مذيع أكثر سخافة. حاولت الاستماع لذلك البرنامج لأني أحب الإنصات للمذياع خلال القيادة لكن المذيع كان مستفزاً جداً ومحاولاته المستميتة ليكون فكاهياً أشعرتني بالغثيان لذا قررت إغلاق المذياع. مددت يدي لأطفئه لكن وقبل أن تصل أناملي للقابس حدث أمر غريب. تعرضت القناة للتشويش وهذا أمر طبيعي عندما أمر بأماكن يكون فيها تيار الكهرباء عالياً لكن الذي أثار استغرابي هو أن التشويش استغرق ثواني محدودة عاد بعدها البث لكن لقناة مختلفة. الحوار دار بين شخصين.. لم يكن البرنامج الغنائي ومذيعه الممل بل كان برنامجاً حوارياً فيما يبدو. أنصت لحوار الشخصين الذي كان بلغة غريبة أو أن التشويش تسبب في تعكير فهمي لما كانا يقولان.

لم يدم بث تلك القناة الدخيلة طويلاً خلال قيادته وكانت الجزئية التي تمكن من سماعها دون فهمها هي:

(الشخص الأول): تللقديت بقأمسكواتب مببصاحبكنب

(الشخص الثاني): نبلممب مليكنسي نعصاحبيين.. نلكانقف هبمجرداب تقبشخصهب نليحاولنهب تلأحداثتب تبتغيير لف

(الشخص الأول): عقهلعفب عقتنويعي تبتحرير هست تبمنتب اور ان کی تبأسر هتب

(الشخص الثاني): هبلازلتغث عبأفكر عبق عقبالأمرعي

عاد التشويش مرة أخرى وعاد بعده بث البرنامج المستفز. أغلقت المذياع ولا أنكر أني كنت مستاء مما سمعت في ذلك البرنامج السخيف. الحوار المشوش كان أكثر إمتاعاً منه لكن لم أمنح وقتاً طويلاً للتفكير في الأمر لأن سيارة الموظف أمامي توقفت عند مدخل المحطة الفرعية. ترجلت من السيارة وترجل معي الموظف وكأنه ينتظر وصولي.

(الموظف) مشيراً لي بالتقدم قبله: تفضل..

- قم بعملك دون أن تعيرني أي انتباه.. أنا هنا للمراقبة فقط

(الموظف): أنا لا أقوم بشيء سوى قياس معدلات ضخ الطاقة والتحقق من أنها مستقرة.. الأمر لا يستغرق خمس دقائق

- ماذا تنتظر إذاً؟ .. قم بعملك

دخل الموظف المحطة بعد ما حمل الجهاز الخاص بالقياس من سيارته وبقيت أنا أنتظره بالخارج أمعن النظر في الصحراء المنارة بفعل الكشافات القوية في المبنى. خرج الموظف بعد مضي الخمس الدقائق التي قال إنه سيستغرقها في الفحص وخلال لفه لأسلاك الجهاز الذي استخدمه للقياس وتقدمه نحوي قال: لقد انتهيت..

- هل سمعت شيئاً غريباً على المذياع خلال قدومك إلى هنا؟

(الموظف) باستغراب: ماذا تقصد؟.. هل هناك خبر يستحق الانزعاج؟

- لا لم أقصد ذلك.. أقصد هل تعرض بث المذياع عندك للتشويش؟

(الموظف): أنا لا أنصت للمذياع من الأساس؟

- حسناً تجاهل ما قلته

(الموظف): هل نعود الآن أم أنك تريد أن تتفحص شيئا آخر؟

- لنستبدل السيارات في طريق العودة

(الموظف) بتعجب: لماذا؟

- لغرض في نفسي.. لا تجادل

(الموظف): هل تسمح لي بتعليق يا سيدي؟

- ماذا تريد؟

(الموظف): أسلوبك في التعامل معنا محتقن بعض الشيء.. نحن نعمل بجد هنا ومنذ الساعات الأولى لقدومك وجدنا أنك تعاملنا بحدة

- هل هذا كلامك أم كلام من طلب الإجازة؟

(الموظف): جميعنا نشعر بهذا

- أنا لم أتعامل مع الجميع حتى الآن لكن إذا كان هذا شعوركم فأنتم مخطئون فأنا أكثر حدة من ذلك وأنتم لم تروا شيئاً بعد.. انقل هذا الكلام لزملائك

(الموظف) واضعاً جهاز القياس في سيارته: لا داعي لذلك إذا كانوا سيرونه بأعينهم

- قرار حكيم

(الموظف) وهو يمد مفاتيح سيارته: رافقتك السلامة يا سيدي

- ألن ترحل أنت؟

(الموظف) وهو يأخذ مفاتيحي: سأكون خلفك..

ركبت السيارة وقدتها عائداً للمحطة الرئيسة تاركاً الموظف خلفي يركب سيارتي..

سرت بالسيارة بمحاذاة الأنبوب والكيبل المتصلين بالمحطة الرئيسة وعيني على المرآة أراقب الموظف خلفي ولاحظت أنه ركب السيارة لكنه لم يتحرك من مكانه وتبعني كما قال. تجاهلت الأمر وأكملت القيادة نحو طريق العودة. لا أعرف لماذا لكني أدرت المذياع مرة أخرى بالرغم من أني أعرف سلفاً بأني لن أجد شيئاً يستحق الإنصات له.. ربما هي العادة التي غلبتني.. عادة الإنصات لشيء خلال القيادة. بدأت أقلب القنوات المحدودة بسبب المكان المعزول الذي كنت فيه فالخيارات لم تكن كثيرة واضطررت أن أبحث كثيراً حتى وقعت على محطة كان يدور فيها حوار بين رجل وامرأة. بدا لي برنامجاً ثقافياً من نوعٍ ما. بدأ الحوار بالشكل التالي:

(المرأة): كم حكم عليه بالسجن؟

(الرجل): أظن عشر سنوات تقريباً

(المرأة) ضاحكة: مدة طويلة جداً.. البشر ظلمة..

(الرجل): تمنيتها مدة أطول.. ذلك الرجل فضح الكثير من أسرارنا

(المرأة): أرى أنك تبالغ في تقدير خطورته علينا.. البشر غالبهم حمقى ولن يصدقوه

(الرجل): حتى وإن كان معظم البشر لا يصدقونه يبقى حديثه مزعجاً لنا

(المرأة): انتهى الأمر وتم سجنه

(الرجل): لا لم ينتهِ الأمر.. لن ينتهي إلا بموته

(المرأة): هل تخططون لقتله؟

(الرجل): نعم.. سنرسل من يقوم بذلك في زنزانته

(المرأة): ألا ترى أن هذه خطوة مبالغٌ فيها وقد تثير الشكوك

(الرجل): هناك من يسعون لإخراجه ويجب أن نسبقهم وننهى حياته

(المرأة): هل تقصد المستشارين؟

(الرجل): ومن غيرهم يحاول كشف أسرارنا؟

مع تقدم استماعي لذلك الحوار الغريب تبددت ظنوني بأنه برنامج حواري وتيقنت أنه مسلسل إذاعي درامي من نوع ما وخلال تفكري في كلامهنا غاصت السيارة في الرمال فلم أكن معتاداً عليها وهي لم تكن كذلك ذات دفع رباعي لذا قررت الانتظار حتى يصل الموظف بسيارتي ويخرجني لكن ما سمعته على الإذاعة بعد توقفي أثار رعبي ولم أكن متوقعاً له.

(المرأة): انظر.. لقد توقفت سيارته..

(الرجل): نعم.. يبدو أنها غاصت بالرمال

(المرأة) بنبرة تخللها بعض الخبث: ما رأيك؟.. هل تفكر بما أفكر به؟

(الرجل): إنه وحيد.. ولن يفتقده أحد.. هذه فرصة مناسبة بالفعل

(المرأة): ماذا ننتظر إذاً.. لنذهب إليه قبل أن يأتي أحد ويساعده

كنت أنصت لذلك الحوار الذي تحول فجأة عني فأصبت برعبٍ وجزعٍ شديدين. لم أكن أعلم هل أنا أتوهم أم أنها كانت مجرد مصادفة لكني لم أنتظر للتحقق من الأمر وخرجت من السيارة على عجالة وجريت مسرعاً واختبأت خلف الأنبوب المحاذي لي والذي لم يكن قطره يتجاوز المتر تاركاً السيارة تعمل وإضاءتها الأمامية منارة ومرفوعة للأعلى. بقيت أراقب المشهد أمامي من خلف الأنبوب وكنت حريصاً أن لا أظهر الكثير من جسدي وأطل فقط بجزء يسير من رأسي خشية أن يلاحظ أحد وجودي وبعد دقائق خرج من خلف هضبة رملية قريبة خيال شخصين يجريان بسرعة وبشكل غريب وكأنهما يسيران على صفيح ساخن.

وصل الاثنان للسيارة وهجما مباشرة على مقعد السائق وعندما رأيا أني لست موجوداً بدأا بتفتيش السيارة بالكامل. لم تكن ملامحهما في ذلك الوقت واضحة بالكامل لي لكني خمنت أنهما المرأة والرجل اللذان كانا يتحدثان على المذياع. ظهرت معالمهما وتفاصيلهما بالكامل عندما وصل الموظف وكشفت أنوار سيارته عن أشكالهما المفزعة. كانا كالقردة الواقفة على قوائمهما الأمامية لكن أنيابهما وقرونهما الطويلة بالإضافة لحوافرهما الكبيرة لم تكن كالقرود أبداً. لم يلحق الموظف أن يهرب من المكان لأنهما انقضا على سيارته وحطما الزجاج الأمامي وافترساه بوحشية وكانت تلك هي فرصتي للهرب فخرجت من مخبئي وركضت كالمجنون نحو المحطة. كنت أسمع خلفي صراخ أحدهما وهو يقول بصوت أجش غليظ: «إنه يهرب!»

لم أتوقف ولم ألتفت خلفي واستمررت بالجري حتى تجاوزت بوابة المحطة..

..بعد عدة أيام..

(المدير الإقليمي) وهو يضع طلب الاستقالة على الطاولة:

«هل تتوقع أن نصدق قصتك بشأن الموظف؟»

- لا يهم تصديقكم لها.. أريد الموافقة فقط على طلب الاستقالة

(المدير الإقليمي): أنت أحد أكفأ موظفينا ولا نريد خسارتك.. إذا كان كل هذا بسبب نقلك للفرع الصحراوي يمكنني التشاور مع الشركة الأم وإعادتك للعمل بالمدينة.. لا يستدعي الأمر استقالتك

- لا، شكراً يا سيدي.. لقد اكتفيت من كل شيء..

(المدير الإقليمي): هل هناك عرض أفضل مقدم لك من شركة منافسة؟

- لو كان الأمر كذلك لكنت أنت أول من سيعلم صدقني

(المدير الإقليمي) خلال توقيعه بالموافقة على الاستقالة:

«أتمنى لك حظّاً موفقاً في وظيفتك القادمة.. »

خرجت وبيدي ورقة الاستقالة وعقلي لا يزال يضج بأحداث تلك الليلة..

لا تأخذ شيئاً فقط لأنك تستطيع..

تمنٍّ

على قمة جبل شاهق.. وقف رجل يراقب الأفق بعد ما أنهى رحلة شاقة صعوداً..

قبل أن تغرب الشمس وجه نظره للأسفل.. نحو وادٍ متصدع ..

يلمح خيمة صغيرة.. دخاناً متصاعداً.. رماد نار..

يبتسم قبل أن يشرع بالنزول..

يصل لفتحة الخيمة مع الغروب.. يحل الظلام.. الهدوء صارخ..

تشتعل النار حيث كان الرماد.. يفزع الرجل لكنه لا يفقد رباطة جأشه..

يهم بالتقدم للدخول للخيمة لكن صوتاً يسبقه بالخروج منها يحذره من التقدم..

(الرجل): لقد قطعت مسافة طويلة لأصل إليك..

(الصوت القادم من الخيمة): وقد وصلت..

(الرجل): هل أقدم شيئاً قبل أن أطلب؟

(الصوت القادم من الخيمة): القربان المعهود سيفي بالغرض..

(الرجل) بتوتر وتردد: اغفر لي جهلي لكني لا أعرف ما هو القربان المعهود

(الصوت القادم من الخيمة): قم بإيذاء نفسك وسيكون هذا قربان طلبك

(الرجل): لم أفهم..

لم يرد الصوت وعاد الهدوء للمكان ولم يسمع سوى صرقعة النار من خلف الرجل الذي قال: «أرجوك اشرح لي..»

لم يجب الصوت عليه..

التفت الرجل يميناً وشمالاً حتى رأى حجراً مدبباً فرفعه وبدأ ينظر لفتحة الخيمة بنظر تساؤل قبل أن يضرب جبينه بذلك الحجر..

سقط الحجر من يده بعد ما أحس بألم الضربة وقال: «هل هذا ما أردت؟»

(الصوت القادم من الخيمة): لا يكفي..

(الرجل) بصوت مرتفع: ماذا تريد؟!

لم يرد الصوت عليه..

(الرجل) متداركاً نفسه: أعتذر.. أعتذر.. سأحاول مرة أخرى

عاود الرجل النظر من حوله فوقعت عينه على النار المشتعلة وتحديداً جمرة حمراء على طرفها فالتقطها بيده العارية لتحرق كفه ويرميها صارخاً: هل يكفي هذا؟!

(الصوت القادم من الخيمة): ما طلبك؟

(الرجل): أتمنى أن أجرب إحساس الخلود والعيش للأبد.. هل تستطيع تحقيق ذلك لي؟

(الصوت القادم من الخيمة) : لقد تحقق ذلك.. يمكنك الرحيل..

(الرجل): سأعيش للأبد إذاً؟

(الصوت القادم من الخيمة): لا.. لكنك ستشعر بإحساس من يعيش للأبد..

(الرجل): كيف؟

(الصوت القادم من الخيمة): لقد قتلت كل من تعرفهم وقابلتهم من قبل في حياتك.. أهلك وأصدقاءك ومعارفك.. الجميع...

(الرجل) وهو مفجوع : لماذا؟!

(الصوت القادم من الخيمة): كي تشعر بشعور من يعيش للأبد.. بالوحدة..

مهما كان طعم اللبانة لذيذاً
سنبصقها بعد حين..

طري

صديقان يخرجان سيراً على الأقدام من بوابة الجامعة..

أنهيا للتو آخر محاضرة لليوم..

يقترح أحدهما تناول وجبة الغداء في أحد المطاعم القريبة للوجبات السريعة..

يعترض الآخر بدعوى الملل من تلك الوجبات ..

(رشاد) ضاحكاً: وماذا تريد أن تأكل يا صاحب الذوق الرفيع؟

(هيثم): المسألة ليست مسألة تكبر لكن من الجميل أن نجرب شيئاً مختلفاً من وقتٍ لآخر

(رشاد) مبتسماً بخبث: هل أنت واثق من كلامك؟.. هل أنت حقاً مستعد لتجربة شيء جديد؟

(هيثم): نعم.. أي شيء عدا تلك الوجبات السريعة سأتناوله دون تردد

(رشاد) وهو يسير نحو سيارته: حسناً هيا بنا إذاً..

ركب الاثنان السيارة وخلال سيرهما قال (هيثم): ألن تخبرني عن المطعم الذي تنوي أخذي له؟

(رشاد): هذا المكان من الأماكن المفضلة لي وأزوره دائماً.. اسمه «مطعم النجوم»

(هيثم): اسم تقليدي جداً..

(رشاد): لكن الأطباق التي يقدمها أبعد ما تكون عن التقليدية

(هيثم): غريب.. لم تقل لي عنه من قبل أو تعزمني فيه

(رشاد) ضاحكاً: لأني لم أعتقد أنه سيعجبك خاصة وأنك شخص انتقائي في أكلك وتتحسس من أقل شيء في طبق لا ينسجم مع ذوقك

(هيثم): تتحدث عني وكأني طفل مدلل يرفض تناول الخضروات

(رشاد) وهو يشير أمامه: لست بعيداً عن ذلك يا صديقي.. انظر لقد وصلنا

(هيثم) مراقباً التجمع الكبير حول مدخل المطعم: ما هذا الزحام؟.. كيف سنجد مكاناً للجلوس؟

(رشاد) يوقف السيارة ويهم بالترجل منها: لا تقلق.. صاحب المطعم صديق عزيز وسوف يوفر لنا مكاناً خاصّاً

تمكن (رشاد) من الحصول على طاولة وسط المطعم المزدحم وأشار لصاحبه بالجلوس والانتظار.

(هيثم): أين قائمة الطعام؟

(رشاد) وهو يجلس أمامه: قائمة الطعام ليست طويلة: لقد طلبتها كلها تقريباً

(هيثم) بتعجب: كلها؟

(رشاد): نعم كي يكون لك حرية الاختيار

بعد انتظار ربع ساعة حضر نُدُل يحملون مجموعة من الأطباق المتنوعة وبدؤوا يصفونها على الطاولة أمامهما على عجالة لكن بطريقة احترافية وبعد انتهائهما قال النادل: هل تحتاجان شيئاً آخر؟

(رشاد): لا، شكراً

(هيثم) وهو يشاهد تلك الأطباق التي رُصت أمامه على الطاولة: ما هذا كله؟

(رشاد) مبتسماً: هيا كل ولا تتردد

(هيثم): تعرف أني سأتردد خاصة فيما يتعلق بالطعام.. اشرح لي ماذا سنأكل

(رشاد) يشير للطبق الأول ضاحكاً: حسناً أيها الذواق.. هذا طبق المخ المسلوق وهذا..

(هيثم) مقاطعاً بتقرف: مخ؟!.. مخ ماذا؟

(رشاد): مخ خروف بالطبع.. دعني أكمل..

حمل (هيثم) كأس ماء كان أمامه واحتسى منه قليلاً وهو يراقب تلك الأطباق بتوتر خلال شرح صديقه لمحتواها..

(رشاد) مستأنفاً الشرح وهو يشير لبقية الأطباق : وهذه الشطائر هي شطائر عيون البقر.. أما هذا فهو طبق اللسان المشوي والآخر خُصى مقلية وهذا ..

(هيثم) واضعاً كأس الماء على الطاولة: توقف.. توقف..

(رشاد): ما بك؟ .. ما الأمر؟

(هيثم): هل هذا مطعم أم مسلخ؟

(رشاد) مبتسماً: ماذا تقصد؟

(هيثم): هل حقاً هناك من يأكل هذه الأعضاء؟

(رشاد): أفهم من ذلك أنك لم تتذوق وجنات الخراف من قبل؟

(هيثم): وجنات؟!.. بالطبع لا !.. من يأكل مثل هذه الأشياء؟!.. هل نحن في مجاعة؟!

(رشاد) مبتسمًا: ألا ترى الناس حولك؟

(هيثم) يجول بنظره حول المكان وبنظرة اشمئزاز: كيف يستسيغون هذا النوع من الأطعمة؟

(رشاد): إنه لذيذ صدقني.. جرب فقط

(هيثم): لا، شكراً بالهناء والعافية.. كل أنت

(رشاد): لا أستطيع تناول الطعام وأنت تنظر لي دون أن تشاركني.. يجب أن تأكل شيئاً معي

(هيثم): سأكتفي بالماء.. إلا إذا كان هذا ليس ماءً وكان دموع بهيمة ما فمن الواضح أن هذا المطعم يستغل كل جزء من أجزاء الحيوانات ولا يرمي شيئاً في القمامة

(رشاد) ضاحكاً: لا.. لا هذا مجرد ماء!.. اسمع.. هناك طبق بسيط وسيعجبك.. سأطلبه لك في الحال

(هيثم): يكفي ما طلبته.. لا داعي للتبذير بهذا الشكل.. من سيأكل كل هذا؟

(رشاد) مشيراً للنادل بالاقتراب: لا تقلق لن يبقى من محتوى الأطباق شيء..

همس (رشاد) في أذن النادل الذي هز رأسه قائلاً: حاضر..

(هيثم): ولمَ تهمس له؟.. أي جزء من جسد الخروف ستقدم لي الآن؟.. كُلْيَته؟

(رشاد) مشيراً لطبق في أقصى الطاولة: لا فطبق الكُلى بالكزبرة هناك ..

(هيثم) واضعاً كفه على فمه: يا إلهي..

بعد أقل من خمس دقائق حضر النادل ومعه طبق فأشار له (رشاد) بوضعه أمام صاحبه ففعل ورحل على الفور..

(هيثم) وهو يطل في محتوى الطبق: ما هذا الآن؟

(رشاد): تذوقه فقط

(هيثم): لن أتذوق شيئاً أجهله وأنت تعرف ذلك

(رشاد): ثق بي سيعجبك

(هيثم): أثق بك؟.. وفي هذا المسلخ المسمى مطعمًا.. ستكون محظوظاً لو رافقتك لمطعم آخر في المستقبل

(رشاد): إذا لم يعجبك الطبق فسوف أتحمل تكاليف غدائك وعشائك لعام كامل وفي أي مكان تختاره

(هيثم) مبتسماً: لا تلزم نفسك بشيء لن تقوم به

(رشاد): هذا وعد مني لك.. إذا لم تستسغْ طعم هذا اللحم فسوف أنفذه

(هيثم) غارساً شوكة في قطعة من اللحم بالطبق أمامه: استعد إذاً لخسارة الرهان

تناول (هيثم) قطعة اللحم بتردد وتوجس وصديقه يراقبه بحماس وترقب وبدأ يلوكها ببطء فقال (رشاد): ما رأيك؟

(هيثم) يهز رأسه: لا بأس..

(رشاد) بسعادة: ألم أقل لك!

(هيثم) وهو يتناول قطعة أخرى: أخبرني الآن.. من أي جزء من الحيوان أتى هذا اللحم؟

(رشاد) ممازحاً: هذا لحم بشر وليس لحم حيوان!

(هيثم) مبتسماً وهو مندمج بتناول الطبق: لحم البشر مختلف عن هذا فهو أكثر طراوة وأقرب للحم الطيور وبه نكهة تشبه الشحم المشوي

لم يرد (رشاد) على تعليق صاحبه وبقي يراقبه بتعجب فانتبه (هيثم) ورفع نظره نحوه ورآه يحدق به بأعين متسعة وملامح مصدومة فقال: ماذا؟.. ما بك؟

(رشاد): كيف عرفت ذلك؟

بعض الأفكار صعبة الفهم

وبعضها الآخر صعبة الهضم..

III

هاتف نقال يرن ليلاً..

يرى صاحب الهاتف رقماً مجهولاً على شاشته..

يتردد في الإجابة لسببين..

عادته في عدم الإجابة على الأرقام الغريبة والسبب الآخر معرفته المسبقة بأن هناك من يريد التواصل معه منذ أيام..

فتاة.. ربطته بها علاقة في السابق وانتهى الأمر بخلاف حاد..

يقرر صاحب الهاتف عدم الرد وتجاهل المكالمة بتحويله للوضعية الصامتة..

بجانبه كان يجلس رجل يمكن وصفه بـ «مساعده»..

شاهد المساعد ما قام به «معلمه» كما كان يسميه فقال: لمَ لا ترد عليها؟

- لا يوجد شيء بيننا كي أرد عليها..

(المساعد): ربما تكون واقعة في مشكلة ما..

- مشكلاتها ليست مسؤوليتي..

(المساعد): لا أستطيع إجبارك على شيء لكن أعرف بأنك لن ترتاح حتى تعرف ماذا تريد منك

- لا تقلق على راحتي واهتم بشؤونك

يرن هاتف المساعد ويرى أنه رقم مجهول آخر فيقول مبتسماً: هل تظن أنها هي؟

- لا ترد..

(المساعد) مبتسماً: سأرد وأنهي لعبة القط والفأر هذه

فتح المساعد الخط وبعد حوارٍ بسيط لم يقل فيه الكثير واكتفى بهز رأسه وقول كلمات مثل: «نعم.. نعم».. «أتفهم قلقك».. «سأخبره بما أخبرتِني»..

أغلق المساعد هاتفه وبقي صامتاً وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة..

- لمَ تبتسم هكذا؟

(المساعد) بنبرة خبيثة وابتسامة أخبث: أنتظر سؤالك عن فحوى المكالمة..

- أخبرتك بأني لست مهتمّاً

(المساعد): نعم أعرف.. لست مهتمّاً.. لكن..

- لكن ماذا؟

(المساعد): تلميذتك السابقة عبثت بالمجهول مرة أخرى وهي الآن تواجه خطراً كبيراً وتريد مساعدتك..

- ليس لدي وقت أضيعه معها.. لقد حذرتها مما كانت تمارسه.. فلتواجه مصيرها وحدها

(المساعد) مبتسماً: حسناً.. كما تشاء

صمت الاثنان لدقائق وبدا على الرجل بعض التوتر والقلق ومساعده يراقبه باسماً..

- أي نوع من المشكلات أوقعت نفسها فيها تلك الحمقاء هذه المرة؟

(المساعد) بتهكم: هل أنت مهتم الآن؟

- كف عن المراوغة وأخبرني في الحال!

(المساعد): لقد قامت باستدعاء ولا تستطيع صرف من استدعته . .

تجهم الرجل وقال بحنق: تلك الحمقاء!

(المساعد): هل سنذهب لمساعدتها أم نذهب للعشاء كما خططنا؟

نهض الرجل من مكانه وهو يقول:

«أنا من صنعتها وأنا من يجب أن أتحمل تبعات ما صنعت..»

(المساعد) وهو يقف بجانب معلمه: سنذهب إليها إذاً؟

- لا خيار لدي يا (عواد).. لا خيار آخر ..

Never approach a sick Soul unless

you don't mind being infected.

Glimpses of the eclipse

I wish I can write the few following words in blood. Not to be dramatic but I strongly believe that blood is a perfect ink replacement. It conveys half of the emotions you are trying to express before you even articulate .them

..I have a golden rule that I oblige to religiously

Never judge people you don't know and never ask » «.people you know to judge you

Because people judge you as they wish and treat you as .they please

They are ruthless when needed and stupid when .convenient

..Amazing creatures

Speaking of gold.. If I had a golden heart I would sell it

..I truly would

People.. Oh people

.They ask about everything and believe nothing

.As for me.. I have seen too much to believe in anything

It's funny how normal people are boring yet boring .people aren't always normal

Those who are considered "interesting" nowadays have faces and bodies that are up to date but their heads are .full of obsolete and irrelevant ideas

Beware of those who steal your breath away. They will :never give it back. Those who say

Love me like you know me... Talk to me like you » «.don't

I'm not like them and you have to be like me to see » «.that

They think that they are smart. Most people look stupid .trying to be smart

..Love without trust is the purist of all lies

Trust is much more important than love yet love is harder .to break

..A final thought

..About the worst human I have ever met.. Me

I have many vices and most of them will not change by simple advices. People say I'm rude. I just don't lie as much as I should. I need something that never existed and never will. That's why I'm in a never ending circle of .pain

Pain.. is a bliss.. and it was a pleasure meeting him.

الأمل وحده هو أسوأ شيء

يمكن الاعتماد عليه..

طريق الخلاص

ما زالت كوابيس ذلك اليوم تطاردني..

اليوم الذي قررنا فيه سلك طريق مقبرة القرية لاختصار مشوار المدرسة..

ليتني لم أفتح ملف القضية بعد كل تلك السنين ولم أسعَ لمعرفة حقيقة ما جرى لـ (سامر) و(عبد الله)..

نهاية كتلك لا أتمناها لألد أعدائي فكيف بأصدقاء طفولتي..

لم أعد لزيارة القرية بعد تخرجي من الثانوية خاصة بعد انتقال أهلي للعيش في المدينة بإصرار مني..

كنت أكره الذهاب لزيارتهم في القرية خلال دراستي الجامعية والمرور بسيارتي بجانب تلك المقبرة الكئيبة التي تذكرني دوماً بما حدث..

لكن الأحداث بدأت تطاردني مرة أخرى وتعود لحياتي مجدداً..

خبر قرأته مصادفة اليوم بالجريدة.. خبر مزعج..

طفلة صغيرة فُقدت في قريتي السابقة.. وُجدت بعد عدة أيام مقتولة.. الخبر كان ليكون اعتيادياً ويمر مرور الكرام كغيره من الجرائم التي نسمع عنها كل يوم.. لكن.. طريقة قتلها والحالة التي وجدوها عليها.. كانت مطابقة للحالة التي وجدوا عليها أصدقاء طفولتي.. ذلك القاتل عاد مجدداً

ولا أستطيع التوقف عن التفكير بالأمر منذ قراءتي للخبر.. هناك شيء يكبر في صدري وينهش بي يدفعني للتصرف..

لكن ماذا بوسعي أن أفعل؟ ..

ما الذي يمكنني أن أقوم به؟ ..

أريد أن أمسك بذلك الحقير كي يدفع ثمن جرائمه..

حتى وإن مضت كل تلك السنوات..

نهض (علي) من فراشه بعد تفكير طويل وأرق ملازم له وقرر ركوب سيارته والتوجه لقريته التي عاش فيها طفولته والتي تبعد مسيرة ساعتين عن المدينة. وصل أول الصباح وشاهد الناس وهم يخرجون لأعمالهم والطلاب متوجهين لمدارسهم وعند اقترابه من سور المقبرة في القرية أوقف السيارة وترجل منها ووقف أمام السور محدثاً نفسه :

«كان يوماً مشؤوماً يوم عبرنا خلالك.. »

منزل العزاء المقام لتلك الفتاة التي قُتلت مؤخراً كان لا يزال قائماً و(علي) يعرف المنطقة جيداً ومعظم الأهالي بالرغم من انقطاعه لسنوات عن زيارة القرية. والد الفتاة المقتولة مزارع بسيط يعمل في مزرعته الخاصة ولم يكن يملك من الذرية سوى ثلاث فتيات. فقد الصغرى في حادثة القتل والكبرى متزوجة. قرر (علي) التوجه لمكان لتناول الإفطار ريثما يفتح منزل المزارع لاستقبال المعزين ويقدم له واجب العزاء. مضت ساعتان تناول فيهما

إفطاره وأخذ جولة بسيارته حول القرية التي لم تتغير كثيراً عدا افتتاح بعض المحلات الجديدة وزيادة نسبية في عدد السكان. فُتح باب العزاء وكان (علي) أول المعزين المتقدمين وآخر الذين بقوا حتى المساء في مجلس العزاء. عند خلو المكان من الناس وبقاء والد الفتاة وبعض أقاربها دنا (علي) منه وقال:

«رحمها الله وألهمك الصبر والسلوان..»

(والد الفتاة) بحزن: شكراً

(علي) ونظره على من كانوا يجلسون بالقرب من والد الفتاة:

هل يمكنني الحديث معك على انفراد؟

(والد الفتاة) وهو ينهض ببطء ووجهٍ مكتئب: نعم تفضل بالخارج..

خرج الاثنان من المجلس مروراً بفناء المنزل ووقفا بالشارع بالقرب من عتبة باب المنزل الأمامي..

(علي): أعتذر على أخذك بعيداً عن مجلس العزاء لكني أحتاج أن أسألك عن أمرٍ مهم قد يساعد بالإيقاع بالقاتل

(والد الفتاة) بلا اكتراث: وما الفائدة؟.. ابنتي رحلت ولن أراها مرة أخرى

(علي) بنبرة متفهمة: أعرف وأعرف شعورك الآن.. لقد فقدت أصدقائي بالطريقة نفسها وغالباً على يد المجرم نفسه

(والد الفتاة): هل تقارن فقدان ابنة بصديق؟

(علي): لا أبداً.. اصفح لي تجاوزي

(والد الفتاة): أخبرني ماذا تريد أن تعرف لأعود للمنزل.. لقد كان يوماً طويلاً وأحتاج للراحة

(علي): لا أريد معلومة.. بل أثراً

(والد الفتاة): أثراً؟

(علي): نعم.. لقد أمضيت السنوات الماضية في البحث عن طريقة لإيجاد هذا المجرم وفي كل مرة أصل لطريق مسدود حتى وجدت رجلاً اختص في إيجاد المفقودين وأخبرته بالحكاية فطلب مني أثراً من أحد أصدقائي الذين قتلوا ولم أستطع توفيره له لأن أهلهم قد انتقلوا من القرية ففقدت الأمل لكنه الآن تجدد ويمكنني أن أجد الفاعل بأثر من ابنتك

(والد الفتاة) بعصبية: هل أنت معتوه؟

(علي) باستغراب: لمَ تقول ذلك؟

(والد الفتاة) وقد بدأ يستشيط غضباً: تأتي في عزاء ابنتي وتطلب أثراً منها؟!.. هل أنت ساحر ؟!.. أم أنك القاتل!!

(علي): لا!.. لا!.. لقد أسأت فهمي

تعالت أصوات الجدال بينهما مما دفع من كانوا بالمجلس للخروج والإحاطة بهما ومحاولة تهدئة والد الفتاة الذي بدأ يكيل التهم لـ (علي) ويقول بأنه القاتل. أمسك الناس به وضربوه وساقوه لفرع مركز الشرطة بالقرية. في مركز الشرط أمر الضابط المناوب الناس بالرحيل وتركه يحقق

في القضية بعد أخذ أقوالهم. جلس (علي) أمامه بملابسه الممزقة جراء ضربهم له وقبل أن يتكلم لتبرير موقفه قاطعه الضابط قائلاً: «لا داعي للشرح.. أخبرني فقط لمَ أنت هنا؟»

(علي): لأن الناس عند مجلس العزاء جلبوني

(الضابط): أقصد لمَ أنت في هذه القرية..

(علي): أنا..

(الضابط): أنت الآن مشتبه رئيس في سلسلة جرائم حدثت خلال الأشهر الماضية وسوف يتم إحالتك غداً لمركز شرطة المدينة لاستكمال التحقيقات معك

(علي): سلسلة؟ .. كنت أظنها جريمة واحدة

(الضابط): التحقيق معك سيكشف بقية تفاصيل جرائمك

(علي): لا، أرجوك أنت لا تعرف حيثيات الموضوع

(الضابط) بتهكم: وما هي تلك «الحيثيات» .. ؟

أمضى (علي) أكثر من ساعة يشرح فيها حكايته للضابط بدءاً من ما تعرض له أصدقاؤه في الصغر ومتابعته القضية في الكبر وقدومه للقرية مرة أخرى بعد السماع عن الجريمة التي وقعت مؤخراً بنفس الظروف والأحداث.

(الضابط): آه نعم تذكرت.. هل تعرف أن قريتنا ليست المتضررة الوحيدة من سلسلة الجرائم هذه.. القرى المجاورة عانت من الأمر نفسه كذلك ...

(علي): وكيف لم تستطيعوا الإيقاع بهذا القاتل بالرغم من تكرار جريمته؟

(الضابط): هل تظن حقاً أن معظم الجرائم يتم حلها؟.. لا أريد أن أحطم شعورك بالأمان لكن غالب الجرائم المرتكبة لا نجد الفاعل فيها أبداً والجميع ينسون مع الوقت ويعتقدون أننا حللنا القضية وهذا المجرم ليس سوى إحصائية من ضمن الإحصائيات

(علي): معنى د ذلك أنه سينجو بكل بساطة؟

(الضابط): إيماننا بعدالة السماء في نهاية المطاف يعطينا نوعاً من الطمأنينة أنه سيدفع ثمن جرائمه يوماً ما

(علي): أنا أريده أن يدفع الآن..

(الضابط): وسيدفع

(علي): كيف؟

(الضابط): هو أمامي الآن وسوف أتثبت من أنه سيلاقي جزاءه

(علي) باستغراب: هل تتهمني أنا؟

(الضابط): نعم.. هل كنت تظن أن محاولتك التمويه علي بقصتك البائسة ستنطلي علي؟

(علي): يمكنك التحقق من أني أقول الصدق بمراجعة ملف القضية بالأرشيف

(الضابط): لقد قمت بمراجعة جميع قضايا القتل التي كان ضحيتها أطفال في قريتنا ولا أذكر قضية قُتل فيها أربعة أطفال

(علي): لم يقتل سوى (سامر) و(عبد الله): أنا و(رامي) نجونا لأننا لم نمر بطريق المقبرة

(الضابط): على افتراض أنك تقول الصدق.. ماذا تظن أنك ستضيف بحضورك عزاء أب مكلوم وإثارة مشاعره هكذا؟

(علي): كنت أبحث عن أثر..

(الضابط) بتجهم: أثر؟!.. أثر ماذا؟!

(علي): لقد أمضيت سنوات عديدة أبحث عن طريقة للإيقاع بهذا المجرم وقد وجدتها لكني أحتاج أثراً من أحد ضحاياه

(الضابط): هل ستستعين بكلب لتعقب أثره؟ .. لقد جربنا ذلك ولم نحصل على نتيجة

(علي): لا .. سأستعين بشخص يملك قدرة على إيجاد الأشخاص من آثارهم

(الضابط): هل أنت أحمق؟ .. لا يوجد مفقودون.. الجثة معنا

(علي): الأثر ليس لإيجاد المقتول بل القاتل

(الضابط) مبتسماً: جنونك هذا يؤكد لي أنك القاتل الحقيقي وأنك هنا للتلاعب بنا لكنك وقعت أخيراً

(علي): سوف أقدم لك عرضاً..

(الضابط): عرض ماذا؟

(علي): عاوني في مسعاي وإذا لم أحدد لك مكان القاتل فسأعترف بكل الجرائم وأتحمل مسؤوليتها بالكامل

(الضابط): لا داعي لذلك فأنت شبه مدان

(علي): وما هو دليلك؟.. شجار بسيط مع والد أحد الضحايا؟ .. اعترافي عندك سوف يرفع من شأنك وقد تحصل على ترقية كبيرة لحل قضية مثل هذه.. ما رأيك؟

صمت الضابط وعقد أصابعه يفكر بصمت وهو يحدق بعلي ثم قال: ماذا تريد؟

(علي): أثراً.. أثراً فقط من أي ضحية.. آخذه لذلك الرجل الذي أخبرتك عنه

(الضابط): لدي في قسم الأدلة بعض الملابس لضحايا سابقين لكن مسألة أخذها للرجل الذي تتحدث عنه لن تكون ممكنة لأنك رهن الاعتقال

(علي): خذني أنت بنفسك إذاً.. خذني مكبلاً بالأصفاد إليه لا يهم.. المهم أن يصله الأثر وأحصل على إجابة

(الضابط): إيمانك بنفسك عجيب

(علي): هل أنت موافق؟

(الضابط) مخرجاً ورقة بيضاء وقلماً من الدرج: اكتب اعترافك ووقع عليه..

(علي): ليس قبل أن أحصل على ما أريد

(الضابط): ستحصل عليه لكن ليس قبل أن أضمن أنك لن تتراجع عن وعدك بالإقرار بجرائمك .. لن أستخدم هذه الورقة لو أثبت لي العكس

(علي) وهو يدون اعترافه: موافق..

(الضابط) وهو ينهض من مكانه: ابقَ هنا ريثما أعود

عاد الضابط بعد غيابه لفترة وبيده كيس صغير وسحب الورقة من أمام (علي) ووضعها في جيبه وقال له: هيا بنا..

(علي) وهو ينهض: إلى أين؟

(الضابط) وهو يكبل معاصمه بالأصفاد: لصاحبك الساحر

(علي): إنه ليس بساحر

(الضابط): أنا لست مغفلاً.. هيا بنا

(علي) ونظره يوجه للكيس: هل الأثر فيه؟

(الضابط) باستهزاء: نعم.. أين يسكن هذا الساحر الذي ليس بساحر؟

ركب الاثنان سيارة الشرطة وانطلقا خارج القرية للمدينة في رحلة استغرقت ساعتين وبعد توجيهات (علي) وصلا لحي شعبي قديم وأشار لمنزل الرجل الذي يريدان الاستعانة به وقال:

«لا يمكننا الدخول عليه وأنا مكبل هكذا... سيجزع ولن يوافق على مساعدتنا»

(الضابط): ومن قال إنك ستدخل؟.. أنا من سيدخل فقط

(علي): مستحيل!.. لن يوافق على التعاون معك وأنت تلبس لباساً عسكرياً

(الضابط): وأنا لن أحررك من أصفادك ولن أتركك تدخل وحدك

(علي): لمَ تعقد الأمر هكذا؟

(الضابط) وهو يفتح باب السيارة: لا يوجد عُقد وسترى..

(علي) يخرج رأسه من النافذة وينادي بصوت مرتفع: انتظر !... لا تفسد الأمر!

طرق الضابط باب المنزل مشهراً سلاحه ودخل بسرعة بعد ما فتح له الباب و(علي) في السيارة غاضب لما يفعله. انتبه (علي) إلى أن الضابط لم يأخذ معه الكيس مما زاد من غضبه لأنه أدرك أنه يريد القبض على الرجل في المنزل فقط وقال محدثاً نفسه: «لقد خدعني ذلك الوغد!»

بعد ربع ساعة تقريباً خرج الضابط وبدت عليه علامات غريبة من الهدوء و(علي) يراقبه بتوتر يخالطه بعض الترقب والحماس.

سار الضابط نحو السيارة وفتح الباب لـ (علي) وأخرجه وحرره من أصفاده دون أن يقول كلمة واحدة و(علي) مستغرب مما يحدث لكنه لم يعلق. بعدها توجه الضابط لمقعده وأخرج الكيس ومده له قائلاً بوجه بارد: أنهِ ما جئت لأجله بسرعة ولنرحل من هنا..

(علي) وهو يأخذ الكيس: ألن تأتي معي؟

(الضابط) يركب السيارة ويمسك بمقبض السيارة سارحاً أمامه قائلاً:

«يكفي ما رأيت وسمعت.. لا تتأخر... »

لم يجادل علي كثيراً وسار نحو المنزل ودخل حاملاً الكيس..

دخل (علي) المنزل الذي كان يألف ممراته جيداً لأنه زاره من قبل وتوجه مباشرة للغرفة التي قابل فيها الرجل سابقاً لكنه سمعه يناديه من غرفة أخرى قائلاً:

«تعال يا علي...»

دخل (علي) الغرفة التي أتى منها الصوت وما أن دخل حتى شاهد الرجل واقفاً يمد يده له في إشارة منه لمناولته الكيس فمده له وقال: «أعتذر يا شيخ عن حضور الضابط لكنه أصر... »

قاطع الرجل (علي) وهو يخرج محتوى الكيس قائلاً: «لا تعتذر يا (علي).. لا ذنب لك فيما آلت إليه الأمور.. لقد كنت مكبلاً ولا حيلة لديك»

(علي) بتوتر: هل الأثر مقبول؟

(الرجل) وهو يقلب حذاء دامياً بين يديه ويقربه عند أنفه ويستنشقه: «صبي.. في العاشرة.. مات ولم يمت...»

(علي): ماذا تعني بمات ولم يمت؟.. هل يمكنك تحديد مكانه؟

(الرجل) معيداً الحذاء للكيس: نعم..

(علي): أخبرني أرجوك.. أخبرني بمكانه

(الرجل) وهو يمد الكيس لـ (علي): الصبي في كل مكان.. هنا وهناك..

(علي) يأخذ الكيس منه ويقول بتعجب: ماذا تقصد في كل مكان؟ .. هل ما زال على قيد الحياة أم لا؟

(الرجل): نعم ولا..

(علي): أنت فرصتي الوحيدة يا شيخ أرجوك وضح كلامك أكثر

(الرجل): أجزاؤه حية لكن كله ميت..

(علي) وتوتره يزداد: أنت تعقد الأمور ولا توضحها!

(الرجل): أنا واضح لمن يرى ويسمع

(علي): حسناً انسَ الضحية.. ماذا عن القاتل؟.. من هو وأين أجده؟

(الرجل): هناك أكثر من قاتل.. قتلة.. كثر .. حصرهم صعب..

(علي): بدأت أشعر أن كلام الضابط حقيقي وأنك دجال

(الرجل) مبتسماً: هو أحدهم.. ذراع من أذرعتهم الطويلة والمنتشرة..

(علي): سامحني يا شيخ لكني لا أصدقك..

(الرجل): ارحل الآن..

(علي): والإجابة؟

(الرجل): لقد حصلت عليها.. ارحل الآن

(علي) بخيبة: حاضر..

(الرجل) وهو يمد مسدساً لـ (علي): خذ

(علي): ما هذا؟

(الرجل): سلاح صاحبك.. أنت مخير بين إعادته له أو استخدامه لتحظى بشيء من العدالة..

(علي) وهو يأخذ المسدس: العدالة؟

(الرجل) تاركاً الغرفة: ارحل الآن..

خرج (علي) من المنزل وسار ببطء حتى وصل للسيارة وركب وهو يمد المسدس للضابط قائلاً: خذ.. لقد نسيته بالداخل

(الضابط) يأخذ المسدس ويدخله في جيبه بهدوء: لم أنسَه.. لقد أخذه مني خلال حديثي معه بكل سهولة..

(علي): لنعد..

(الضابط): هل حصلت على مرادك؟.. هل تعرف من القاتل الآن؟

(علي): نعم.. وسوف يقضي عقوبته في السجن كما وعدتك

حكم على (علي) بعد تقديم الضابط اعترافه بالسجن المؤبد بالرغم من أن النيابة طالبت بعقوبة الإعدام إلا أن القاضي رأى أن هناك تناقضات كثيرة بين الاعتراف وتواريخ الجرائم لكنه لم يستطع تجاهل الاعتراف الخطي الذي قدم له واكتفى بالمؤبد.

أول يوم لـ (علي) بالسجن..

يخرج لقضاء أول فترة «تنزه» في الساحة المفتوحة ..

مجموعة من المساجين يحدقون به لأنه جديد..

يقترب منه سجين ويقول: هل تملك سيجارة؟

(علي): لا، أنا لا أدخن..

يوجه السجين له لكمة قوية تسقطه أرضاً..

تُمد له يد وهو على الأرض ينزف من أنفه..

يمسك اليد لتسحبه للأعلى..

(علي) ماسحاً دماء أنفه بظهر يده: شكراً

أجابه الرجل الذي عاونه على النهوض بقول: يجب أن تكون أكثر حذراً في يومك الأول فالمساجين سيختبرونك..

(علي): يختبرونني؟

- نعم.. إما أن تكون مالكاً أو مملوكاً.. ولا أنصحك بأن تكون مملوكاً..

(علي): لقد انتهت حياتي ولا فرق لدي إذا كنت أحدهما

- ما تهمتك؟ .....

(علي) : الغباء ربما..

ابتسم الرجل وقال: أنت تعجبني يا..

(علي): اسمي (علي)..

- وما حكايتك يا علي؟

جلس الاثنان على دكة خشبية وحكى (علي) للرجل حكايته كلها منتهياً بما قاله له الرجل في المنزل بالحي الشعبي فقال له: ولم تعرف ما حل بالصبي الصغير؟

(علي): لا .. لم أفهم منه شيئاً.. ولم أعرف القاتل حتى..

- غريب.. بالرغم من أن كلامه كان واضحاً

(علي): هل فهمت أنت منه شيئاً كي تقول ذلك؟

- الصبي قتل وحصدت أعضاؤه وتم زراعتها في أشخاص آخرين بعد بيعها.. هذا معنى كلامه عندما قال: «الصبي في كل مكان.. هنا وهناك.. أجزاؤه حية لكن كله ميت..».. أما الضابط الذي كان معك فهو جزء من عصابة كبيرة ومتشعبة لبيع الأعضاء وهو طرف صغير فيها..

(علي) بحسرة: فهمت الآن.. (سامر) و(عبد الله).. كنت أظن أنهما قتلا ببشاعة لكن الأمر لم يكن كذلك..

- ماذا تقصد؟

(علي) وهو يدمع: لقد اقتلعت أعينهما وشقت بطونهما وظهورهما.. هذا لم يكن تمثيلاً بجثتيهما.. كان حصاداً لأعضائهما..

- هذه هي الحقيقة

(علي): لا فائدة من معرفتها الآن..

نهض الرجل عن الدكة الخشبية بعد ما أطلق الحراس إنذار العودة للزنازين وقال: تشرفت بك يا (علي).. إذا احتجت أي شيء فأخبرني..

(علي): ومن أنت؟

ابتسم الرجل وقال وهو ينظر في الأفق: ألقابي كثيرة هنا.. المعالج.. المفسر.. المدخن..

(علي) مبتسمًا: وأيها تكره؟

(الرجل) وهو يهم بالرحيل:.. المذيع...

يمكنك الهرب من أي شخص
ومن أي شيء عدا نفسك..

سابع جار

وجدت منزلاً جميلاً بعد بحث طويل..

سعره كان مغرياً جداً بالمقارنة مع حجمه وحالته..

كنت أجمع المال منذ أول يوم أصبحت فيه موظفاً..

و اقترضت.. قمت بكل شيء لتوفير قيمة ذلك المنزل..

لكن ما جمعته لم يكن كافياً لشرائه..

لم أحظَ في صغري بغرفة خاصة..

كنت أشارك الغرفة والفراش أحياناً مع إخوتي الكثر..

حتى عندما انتقلت للسكن الجامعي شاركت غرفتي مع زميل آخر..

حياتي كلها مشاركة في مشاركة..

لم أنم يوماً وحدي..

لم أتناول طعاماً دون جلوس أحد أمامي ومشاركته لي لقمتي..

دورة المياه كانت ملاذي الخاص والوحيد..

أتى فرج الله مبكراً عندما ورثت بعض المال من قريب لم أسمع به من قبل توفي وخلف وراءه أموالاً طائلة أصابت معظم أفراد العائلة ببركتها.. لم أكن متزوجاً أو أملك أسرة كبيرة لكن رغبتي في امتلاك منزل كانت حلماً قديماً لي.

قبل أن أبتاع هذا المنزل أقمت في شقة مشتركة مع مجموعة من زملائي في العمل.. وكنت كما كنت طيلة حياتي.. أعاني من حياة المشاركة وانعدام الخصوصية.

قد يجد البعض كلامي وحديثي هذا نوعاً من التذمر غير المبرر لكني حقيقة لا أحب التطفل فمثلاً أنا لا أحب.. بل أكره.. من يدخل علي غرفتي دون أن يطرق الباب.. هذا الأمر يصيبني بالجنون.. مهما كان سبب دخولك علي فهذا لا يمنحك الحق أن تدخل دون أن تطرق الباب مستأذناً حتى لو كنت شريكي في الغرفة. دخول الناس علي فجأة بهذه الطريقة يضعني في مزاج حاد وقد أثور غضباً في أي شخص أقابله في تلك اللحظة. المسألة ليست مسألة خصوصية فقط وإلا لكنت أقفلت الباب وانتهى الأمر لكني لا أحب الشعور الذي يصاحب دخول شخص علي بشكل مفاجئ دون إعلان مسبق ولو بطرق خفيف. مهما تكلمت لن يفهمني إلا من يشاركني الشعور نفسه وسوف أدور معه في دوائر فقط.

على أي حال..

اليوم وأخيراً وبعد انتظار لسنوات طوال سأجرب شعور الخصوصية..

استلمت مفاتيح منزلي الجديد بعد ما وقعت عقد الملكية..

منزل كبير جداً في منطقة جديدة..

أريد الاستمتاع به وحدي.. وحدي فقط..

استعجالي للانتقال لذلك المنزل وترك الشقة التي كنت أقيم فيها مع زملائي في العمل جعلني أكتفي بقليل من الأثاث وترك معظم غرف المنزل خاوية بنية ملئها تدريجياً مع مرور الأيام. اشتريت براداً صغيراً لحفظ الأطعمة وموقداً صغيراً بالإضافة لمرتبة متواضعة مع وسادتها لأنام عليها في الطابق السفلي. فقط هذا ما كان موجوداً في منزلي المترامي الأطراف. لم أكن مستاءً من ذلك أبداً بل كنت في قمة سعادتي لاستقلالي لأول مرة في حياتي.

حل مساء يومي الأول في منزلي الخاص ولم أكن أملك تلفازاً بعد لكني اكتفيت بالتسلية بتصفح الإنترنت على هاتفي الذكي حتى نفدت طاقته دون أن أشعر. نهضت من مكاني ووضعته في الشاحن ووقفت فوقه أراقبه على الأرض حتى تدب فيه الروح مجدداً لأعاود استخدامه. خلال ذلك الانتظار سمعت ما يشبه وقوع شيء على الأرض في الطابق العلوي. استغربت حقاً لأني لم أضع أي قطعة أثاث في أيٍّ من الغرف هناك وجميعها خالية تماماً حتى إني لم أركب للنوافذ ستائر بعد.

بعد سرحان لم يدم إلا لثوانٍ معدودة اقتنعت أنني واهم وأن هذه ربما تكون من الأحاسيس التي يشعر بها من يقيم وحده بهدوء فهي مشاعر جديدة علي ويجب أن أعتاد عليها.

صوت آخر مختلف عن السابق..

لا يمكن أن يكون هذه المرة وهماً فالصوت كان كشخص يهرول بين الغرف بالأعلى ودبيب خطواته واضح جداً ولا يمكن إنكاره أو تجاهله.

هل هو لصٌّ تسلل للمنزل؟.. ماذا يمكنه أن يسرق؟ .. أنا لا أملك شيئاً يستحق السرقة.. هل أصعد للطابق العلوي لأتفحص المكان؟.. أم أبلغ الشرطة؟..

هاتفي لم يشحن بشكلٍ كافٍ بعد.. لم يكن أمامي خياراً آخر لذا جلست متربعاً على فراشي وهاتفي الموصول بالشاحن بيدي والحيرة تنهش عقلي والجزع يأكل قلبي.

توقف صوت الدبيب..

تحول لشيء آخر .. ن

قر خفيف متقطع على الأرضية الخشبية بالمطبخ..

ما الذي يحدث؟.. هل أنا أهلوس بسبب الوحدة؟..

أعتقد أني استعجلت بقرار الانتقال والعيش مستقلًا.. أنا لست مستعداً..

باب المنزل الرئيس يطرق بقوة..

هاتفي يسقط من يدي على الفراش جراء انتفاضة جسدي..

سماعي لتلك الطرقات المتقطعة أثار استغرابي فأنا لم أخبر أحداً بعنواني الجديد ولا أحد يعلم بشرائي لهذا المنزل سوى زملائي الذين تركتهم على عجالة دون الإفصاح لهم عن أي معلومات. لم أطل التفكير ونهضت وسرت نحو الباب وقلت قبل أن أفتحه: «من الطارق؟!»

أجابني صوت رجل بنبرة متحمسة قائلاً: «أنا جارك الجديد!.. أو بالأحرى أنت الجار الجديد لي..!»

فتحت الباب وخرجت ببطء لأرى رجلاً في الأربعين من عمره تقريباً يلبس ملابس متواضعة بعض الشيء ويبتسم لي وهو يفرك كفيه بطريقة غريبة قائلاً:

«مرحباً بك في حينا.. أنا (أبو إبراهيم).. وأنت؟ »

أجبته ببرود وشيء من عدم الترحيب: «شخص لا يريد إقامة أي علاقات مع أحد..»

(أبو إبراهيم) وهو لا يزال محافظاً على بهجته وحماسه:

«لماذا؟.. النبي أوصى على سابع جار وأنا جارك اللصيق لمنزلك!»

- تشرفنا.. لكن اعذرني لو لم أشاركك حماسك في هذه الجيرة

(أبو إبراهيم) وهو يحاول أن يختلس النظر خلفي إلى داخل المنزل: هل أنت أعزب أم صاحب عائلة؟

خرجت لعتبة المنزل وسحبت خلفي درفة الباب بحيث تخفي معالم وسط منزلي وقلت له بتجهم: «وما شأنك أنت؟!.. ما هذا التطفل المقيت؟!»

(أبو إبراهيم) ضاحكاً: نحن جيران ويجب أن نكون أقرب بعضنا لبعض!

- اسمع.. أنا لا أعرف أي بيئة ربتك وترعرعت فيها لكن أريد أن أخبرك بأمرٍ هام بالنسبة لي.. أنا لا أحب الإزعاج لذا سوف أقدر لك عدم طرق بابي مرة أخرى

(أبو إبراهيم): لكننا جيران..

- وما علاقة ذلك بتطفلك علي؟!

(أبو إبراهيم) مبتسماً: دعني أشرح لك..

بالطبع لم أعطه مجالاً ليثير غثياني أكثر وأغلقت الباب في وجهه..

عدت أدراجي لوسط غرفة المعيشة حيث استلقى فراشي على الأرض وعليه هاتفي النقال الذي أنار وهو موصول بالشاحن الكهربائي معلناً إمكانية فتحي له وقبل أن أستلقي وأستمتع ببقية ليلتي وحدي دُق الباب مرة أخرى. زفرت زفرة قوية وساخنة وأنا على يقين بأن من كان على الباب لم يكن سوى ذلك المتطفل فنهضت وتوجهت للباب وأنا أتمتم بغضب: «سوف أحطم رأسه!»

فتحت الباب بقوة وغضب وأنا متهيئ للثوران في هذا الطفيلي لكني لم أرَ أحداً فزاد غضبي وعلمت أنه ليس متطفلاً فقط بل مزعج ويريد التسلية فخرجت لوسط الشارع أتلفت يميناً وشمالاً أبحث عن أثر له كي أصب جام غضبي عليه لكني لم أسمع أو أرَ أحداً في الجوار ووجدت نفسي وسط الشارع الفارغ والساعة تقترب من العاشرة. عدت لمنزلي وقبل أن أدخل ألقيت بعض النظرات حولي للتحقق ولم أرَ أحداً أيضاً. كان دمي يغلي من ما حدث وتدريجياً هدأت وأعددت لي كوباً من الشاي وعدت لخلوتي مع هاتفي الذي شحنت ربع بطاريته تقريباً وبدأت أتصفح مواقع للأفلام حتى

وجدت فلماً قمت بتشغيله ومتابعته بعد وضع سماعاتي اللاسلكية في أذني. خلال متابعتي للفلم في غرفة المعيشة المضاءة جزئياً بمصباح وحيد لمحت أو تهيأ لي أني لمحت شيئاً أو خيال شخص يدخل للمطبخ في نهاية الممر أمامي. نهضت من مكاني بتوتر وخلعت السماعات منتقلاً من ضوضاء الفلم الذي كنت أتابعه إلى هدوء المنزل المقلق نوعاً ما. لا أعرف لماذا لكني ناديت بصوت مرتفع قليلاً قائلاً: «هل هناك أحد؟!» بالطبع لم تصلني إجابة وإلا كان قلبي قد توقف لكني أدركت وقتها أن هذه بالفعل أول مرة منذ زمن طويل جداً لم أكن فيها وحدي ليلاً في مكان كبير كهذا وأن توتري وقلقي وهواجسي قد تكون أمراً طبيعياً ومبرراً. لا أنكر أن بعض الأصوات القادمة من الشارع أو صرير الأخشاب في الأبواب أربكتني قليلاً في البداية لكن إدراكي أنها مجرد أصوات طبيعية بدد مخاوفي بالسرعة نفسها التي تحضر فيها. أعدت وضع السماعات على أذني واستأنفت متابعة الفلم مرة أخرى لكني لم أستلقِ على فراشي وبقيت واقفاً أراقب مدخل المطبخ نهاية الممر وأنصت لأحداث الفلم.

كنت متوتراً بحق ولم أستمتع بالمتابعة فقررت إنهاء المشاهدة وأن أخلد للنوم. استلقيت على فراشي وأغمضت عينيّ. فتحتهما بعد دقائق عندما عاود الفلم بالعمل وأدركت أني لم أنزع السماعات من أذني وقبل أن أقوم بذلك رأيت منظراً جمد الدم في عروقي. رأيت ما يشبه الشكل البشري لكنه عارٍ بجلد زهري وكان يمشي كطفل يتعلم خطواته الأولى وجهه كان كالشمعة الذائبة وتبع خروجه من المطبخ رائحة كرائحة صوف الخراف المبلل. بقيت مكاني مستلقياً على فراشي وأنا أشاهد ذلك الشيء المخيف يحاول صعود السلالم للطابق العلوي وأحداث الفلم وموسيقاه التصويرية الصاخبة لا تزال تعزف في أذني. لم أستطع القيام بشيء وكنت أرتجف جزعاً وركبتاي تنتفضان رعباً. شعرت بالغثيان وأحسست أني سأصاب بأزمة

قلبية بسبب نبضات قلبي القوية. نهضت وبالكاد حملتني أقدامي وسرت نحو المطبخ بسيقان منملة وركب منتفضة ودخلت وأشعلت الإنارة ورأيت ما يشبه بقعة الدم في وسط المطبخ. لا أعرف لماذا لكني اقتربت منها لأتفحصها بنظري. كنت مكذباً لما كان متجلياً أمامي وكنت أريد التحقق بنفسي أن هذا لم يكن وهماً من صنع عقلي فجثوت عند البقعة ومددت أطراف أناملي ولمستها. لم تكن سائلاً.. كانت كالحليب الرائب لكنه بلا شك دم. خلال جلوسي أمام تلك البقعة سمعت أنفاساً..

أنفاساً آتية من خلفي..

لم أجرؤ على الوقوف أو الالتفات..

بقيت مكاني بأناملي الحمراء أنتظر مصيري..

توقفت الأنفاس..

سمعت دبيب ما كان خلفي وهو يجري صعوداً للطابق العلوي من حيث أتى..

تنفست الصعداء عندما ابتعد وخرجت ببطء من المطبخ وصدمت عندما رأيت نفسي وأنا نائمٌ على الفراش..

ثم استيقظت من ذلك الكابوس..

كنت لا أزال في فراشي والفلم الصاخب يضج في أذني..

دمعت عيني من الجزع لأن ما رأيته في منامي بدا حقيقيّاً جداً..

مشاعر الرعب هذه ثمن كبير لا أنوي دفعه مقابل خصوصيتي..

انتهت علاقتي مع المنزل ذلك اليوم وعرضته للبيع في اليوم التالي..

لا تنبش قبور الماضي بحثاً

عن حياة جديدة..

الخُلُوص

في منزله المتواضع كان (أيمن) يعد العدة لاستقبال مجموعة من أصدقائه القدامى الذين تواصل معهم بعد فراق دام سنين طويلة فمنذ أن تزوج الجميع وكونوا أُسَراً بدأت لقاءاتهم تقل شيئاً فشيئاً حتى انعدمت تماماً وبقُوا على هذا الحال قرابة العشر السنوات إلى أن قرر (أيمن) استضافتهم في منزله مساء يوم الجمعة لتناول العشاء والتسامر بعده عن أيامهم الخوالي.

وافق الجميع على الدعوة وكان عددهم خمسة بمن فيهم صاحب الدعوة. أول الواصلين للمنزل كان صديقهم الطبيب المتخصص في جراحة العظام (د. جاسر) وبعد أن فتح المضيف له الباب أخذه بالأحضان قائلاً: «كم اشتقنا لرؤيتك يا دكتور!»

(د. جاسر) وهو يفك عناق صديقه ضاحكاً: لقد تغيرت كثيراً يا (أيمن) ما هذا الشيب الذي اشتعل في رأسك؟

(أيمن) واضعاً يده على رأسه باسماً: الزمن لا يرحم أحداً يا دكتور.. تفضل بالدخول

(د. جاسر) يخطو بقدمه لباحة المنزل الصغيرة ويجوب بنظره قائلاً: هل حضر البقية؟

(أيمن) وهو يغلق الباب: أنت أول الحاضرين.. دقيق في مواعيدك كما عهدتك

(د. جاسر) مبتسماً: الانضباط هو سر النجاح!

(أيمن) يشير بيده لصديقه بالتقدم نحو مجلس الضيوف باسماً: معك حق.. تفضل من هنا..

(د. جاسر) يسير لباب المجلس: ألم تكن تقيم في منزل آخر ؟

(أيمن): بلى صحيح لكني اضطررت لبيعه

(د. جاسر) خلال دخوله للمجلس الصغير: لماذا؟

(أيمن) يشير مبتسماً لـ (د. جاسر) بالجلوس: احتجت للمال فقط ..

جلس (د. جاسر) وقبل أن يسأل سؤالاً آخر طرق الباب الخارجي فسار (أيمن) على عجالة لخارج المجلس نحو باب المنزل واستقبل صديقه (عبد الحميد) تاجر المواشي والوحيد بين المجموعة الذي لم يكمل تعليمه واكتفى بشهادته الإعدادية قبل أن يتجه للتجارة الحرة.

(أيمن) مرحباً بـ (عبد الحميد) بحماس: أهلاً أبا راضي اشتقنا لك ولأحاديثك التي لا تمل!

(عبد الحميد) يطبق بكفوفه القوية على أكتاف (أيمن) الهزيلة ويهزها بقوة ويقول ضاحكاً: كيف حالك؟!

(أيمن) مبتسماً ومتألما قليلاً من قبضة أبي راضي على أكتافه: عنيف كعادتك!

(عبد الحميد) يدخل للمنزل ويقول بصوت مرتفع: أين الشباب؟!

(أيمن) وهو يدفع درفة الباب لإغلاقها ضاحكاً: عن أي شباب تتحدث أيها الكهل؟

(عبد الحميد) يضرب صدره ثلاث ضربات قوية ويقول: تحدث عن نفسك!.. أنا لا أزال في كامل صحتي وعنفوان شبابي!

قبل أن يطبق (أيمن) الباب وضع شخص قدمه ومنعه ليطل بعدها صديقهم معلم اللغة العربية (أ. سليمان) برأسه مبتسماً ويقول: «هذا الإزعاج لا يصدر إلا من أبي راضي!»

كانت بهجة (أيمن) تزداد مع حضور كل صديق من أصدقائه ولم تمضِ دقائق حتى وصل (مؤيد) وهو كاتب بإحدى الجرائد المحلية ليجتمع الجميع في مجلس (أيمن) الصغير ويبدؤوا بالحديث واسترجاع الذكريات والضحك عليها ولم ينقطع ذلك السمر إلا عندما دعاهم (أيمن) للغرفة المجاورة للمجلس لتناول العشاء. بعد ما انتهوا جلس الأصدقاء مرة أخرى في المجلس الصغير وأبدى (عبد الحميد) ملاحظة عن الطعام وقال لـ (أيمن): «الخروف الذي قدمته لنا طيبٌ جداً.. من أين اشتريته؟ »

(د. جاسر) ممازحاً أبا راضي: ما بك؟.. هل تخشى المنافسة؟

ضحك الجميع وقال (أيمن): كان قليلاً بحقكم لو كان بيدي لقدمت لكم ما هو أفضل

(مؤيد): لا تقل هذا لقد أكرمتنا بدعوتك ونحن سعداء جداً لرؤية الشلة مجدداً

(أ. سليمان): كم سنة مضت على آخر لقاء لنا؟

(عبد الحميد): أكثر من عشر سنوات على ما أظن..

(مؤيد): بل اثنا عشر عاماً بالتمام

(د. جاسر): يا الله.. كل هذا الوقت؟.. مضت وكأنها أشهر معدودة

(عبد الحميد) ضاحكاً: هذا لأنك كنت سعيداً لفراقنا!

استمرت المجموعة في الحديث والمزاح لساعات طويلة احتسوا فيها الشاي والقهوة ولم يشعروا بأنفسهم حتى قال (أ. سليمان) مبتسماً: «لقد تأخر الوقت ويجب أن نرحل لا نريد أن تغضب زوجة (أيمن) منا»

(أيمن) وقد تغيرت ملامح وجهه: لا أبداً ابقوا كما يحلو لكم..

(مؤيد) ممازحاً (أيمن): ألن تستاء زوجتك من سهرنا لهذه الساعة؟.. نحن لسنا ضيوفاً هادئين.. صوت أبي راضي وحده كفيل بإيقاظ الحي بأكمله

(أيمن) مبتسماً بحزن: زوجتي توفاها الله قبل عدة سنوات وأنا أقيم وحدي بعد زواج ابنتي الوحيدة

أحس الجميع بالخجل وقدموا العزاء لصاحبهم الذي أكد لهم أنه مكتف بالعيش على ذكراها وينتظر اليوم الذي يلحق فيه بها.

(عبد الحميد): ما هذا الكلام يا (أيمن)؟.. الوفاء لا يكون هكذا؟

(أيمن): ماذا تقصد؟

(عبد الحميد): من حقك أن تستأنف حياتك

(أيمن): أنا أعيش حياتي

(أ. سليمان): أبو راضي يقصد أن تتزوج مرة أخرى

(أيمن): لا رغبة لي بذلك..

(مؤيد) مخاطباً الجميع: لنغير الموضوع هذه خصوصيات لا دخل لنا بها

(عبد الحميد): ما زلت أرى أنه مخطئ

(د. جاسر): مخطئ في ماذا؟.. هل ستتزوج أنت على أم راضي لو توفيت لا قدر الله ؟

(عبد الحميد): ومن قال لك إني انتظرت حتى تموت؟.. لقد تزوجت بالفعل!

(مؤيد) مبتسمًا بتعجب: ما شاء الله متى حدث ذلك؟

(عبد الحميد) بشيء من التفاخر : عن أي زيجة تسأل؟

(أ. سليمان) ضاحكاً: أفهم من هذا أنك تزوجت أكثر من مرة؟!

(عبد الحميد) متباهياً: لقد تزوجت الرابعة قبل سنة!

ضحك الجميع عدا (أيمن) الذي فيما يبدو قد ضاق صدره بذكرى زوجته ولاحظ (مؤيد) ذلك فحاول تلطيف الأجواء قليلاً وقال: لمَ لا نلعب تلك اللعبة؟

(د. جاسر): أي لعبة؟

(مؤيد) مبتسماً: تلك اللعبة التي كنا نلعبها عندما كنا في الثانوية

(عبد الحميد): أنا لم ألتحق معكم في تلك المدرسة..

(مؤيد): لا تتظاهر بالغباء.. أقصد تلك اللعبة التي كنا نلعبها بعد المدرسة ليلاً عندما كنا نجتمع في الساحة الخاوية خلف السوق

(أيمن): يقصد لعبة «الخُلُوص»..

(مؤيد) مشيراً بسبابته لـ (أيمن) بحماس: نعم بالضبط!

(عبد الحميد): ألم يخبرنا شيخ الجامع أنها محرمة؟

(مؤيد): شيخ الجامع حرم كل شيء تقريباً فلا تكترث كثيراً لاجتهاداته

(أ. سليمان): حرمها لأننا كنا نراهن بالمال عندما لعبناها وهذا مبرر لأنها تحولت لقمار

(د. جاسر): نعم أذكر.. لقد خسرت معظم مصروفي بسببها

(مؤيد): سنلعبها الآن بلا مال إذاً وبذلك لن تكون محرمة

(عبد الحميد) باستنكار: ما الذي جعلها تخطر على بالك الآن؟

(مؤيد): مجرد تغيير لروتين الليلة بممارسة شيء كنا نستمتع به في الماضي.. لا تنكروا أنكم كنتم تستمتعون بها

ابتسم الجميع بمن فيهم (أيمن) الذي قال: ومن سيبدأ؟

(مؤيد): هل يذكر الجميع قوانين اللعبة؟

(عبد الحميد): نعم نعم.. كل واحد منا يقول قصة حدثت معه لا يمكن تصديقها ونحن نقرر إذا كانت حقيقية أو من نسج خياله

(أ. سليمان): والمخطئ يدفع مالاً محدداً لصاحب القصة إذا كان تخمينه خاطئاً

(عبد المجيد): ألم تقولوا بأننا لن نلعبها بالمال هذه المرة؟

(د. جاسر): اللعبة لن تكون ممتعة إذا لم يخسر أحد مالاً

(مؤيد): ماذا تقترح يا (أيمن)؟ .. أن نستخدم المال كما كنا نفعل في السابق؟

(عبد الحميد): إذا كنتم ستفعلون ذلك فلن ألعب معكم

(أ. سليمان) ضاحكاً: ما بك لقد كنت الأفضل في اللعبة هل تخشى الخسارة الآن؟

(عبد الحميد): لا لكن الشيخ قال إن اللعبة بالمال قمار!

(د. جاسر) بسخرية: منذ متى هذا التدين يا أبا راضي؟ .. ماضيك أسود كوجهك

(عبد الحميد) بخليط من الخبث والتهكم: هل نسيت ماضيك أنت يا دكتور أم تريد أن أنعش ذاكرتك؟

(د. جاسر): كل ما فعلت في الماضي وسأقوم به في المستقبل أتحمل مسؤوليته وأعترف به ولا يمكنك تهديدي به

(مؤيد) ضاحكاً ومقاطعاً للحوار الذي بدأ يلتهب ويتشعب : حسناً.. حسناً سنلعبها للمتعة فقط بدون مال وسنكتفي بإقصاء من يخدعنا بقصته.. موافقون؟

(د. جاسر) بتجهم: أفضل!

(مؤيد) مبتسماً: فك هذه التكشيرة أولاً يا أبا راضي نحن هنا للمرح وليس للشجار

(عبد الحميد) ينحني على (د. جاسر) ويقبل رأسه قائلاً: هل رضيت؟

(د. جاسر) يبتسم ويقول: نعم يا تاجر البهائم

(عبد الحميد) بتفاخر : أنا بطل هذه اللعبة في السابق وسأهزمك الليلة أيضاً!

(مؤيد) يجلس مبتهجاً ومتحمسًا: ممتاز!.. من منكم يريد البدء؟

(د. جاسر) مبتسماً بسخرية: أنا أرشح البطل السابق

(عبد الحميد) ضاحكاً: السابق والحالي لو سمحت!

(مؤيد): حسناً أبا راضي ابدأ أنت نحن منصتون

بدأ (عبد الحميد) بسرد حكاية قال بأنها حدثت له في الفترة التي افترقوا فيها وتحديداً عندما تقدم لخطبة زوجته الثالثة والجميع منصتون له باهتمام و(أيمن) يصب لهم الشاي وأذنه مع أبي راضي الذي قال:

تقدمت لخطبة ابنة شريك لي في تجارة الإبل بعد ما علمت منه خلال أحاديثنا الجانبية على مر السنين من العمل معاً أنه لديه الآن ثلاث بنات ولم ينجب صبياً ولم يزوج أيّاً منهن حتى الآن فاستجمعت شجاعتي يوماً وتقدمت لخطبة الصغرى متجاوزاً الكبرى والوسطى ظناً مني في بادئ الأمر أنه سيحاول إقناعي بالزواج من الكبرى لكن ذلك لم يحدث ورحب بطلبي ووافق مباشرة لدرجة أنه بدأ بالحديث معي في تفاصيل الزواج والمهر في الحال لكني استوقفته وطلبت منه أن يأخذ رأي الفتاة قبلها فأجابني بأن لا رأي لها بعد رأيه لكني أصررت عليه وفي الوقت نفسه طلبت منه إلقاء النظرة الشرعية عليها وهذا ما أثار استياءه لسبب ما لكنه وافق على مضض. لم أكترث لممانعته فأنا لم أكن سأتزوج دون رؤية من ستكون شريكة حياتي ولن أكرر الخطأ الذي وقعت فيه مع أم راضي.

توقف (عبد الحميد) عن سرد بقية القصة لبرهة خلال ضحك أصحابه على تعليقه الأخير ثم أكمل مبتسماً وقال: أقبلت علي الفتاة وجلست لدقائق معدودة في حضور والدها وكانت تلك الدقائق كافية كي أتعلق بها وأمد يدي لمصافحة أبيها بالموافقة واستكمال الحديث في تفاصيل الزواج بعد أسبوعين أقيم حفل عقد القرآن والذي اقتصر على النساء فقط من عائلتها فأنا لم أخبر

أحداً من أهلي بنيتي للزواج للمرة الثالثة وكان الاتفاق مع أبيها هو أن أعرج على صالة الأفراح تمام العاشرة مساء لأخذ عروسي معي. وصلت لقاعة الأفراح بسيارتي ووقفت عند المدخل الرئيس وأخرجت هاتفي من جيبي لأتصل بوالدتها لتخبر زوجتي الجديدة بأن تخرج لي لكن وقبل أن أجري تلك المكالمة فُتح باب السيارة وركبت العروس بجانبي مرتدية فستان زفافها وقد غطت رأسها بطرحتها البيضاء فقلت لها مبتسماً:

«هل كنتِ تنتظرينني؟»

أجابتني بصوت خفيض تخلله الخجل والحياء:

«نعم فقد أخبرني أبي بالموعد وكنت حريصة أن لا أبقيك منتظراً..»

سررت لتلك البادرة الطيبة منها لإرضائي وقدت السيارة للفندق الذي استأجرت فيه غرفة خاصة لليلتنا الأولى. بعد خلوتنا بأنفسنا في الغرفة اقتربت منها ورفعت طرحتها وهنا اختلطت مشاعري وشعرت بالارتباك.

(مؤيد): لماذا؟ ما الذي حدث؟

(عبد الحميد): كانت هي ولم تكن هي..

(د. جاسر) مبتسماً بسخرية: ماذا تقصد؟

(عبد الحميد): أنا لم أرها إلا لدقائق معدودة قبل هذه الليلة صحيح لكني لم أنسَ ملامحها والفتاة التي كانت أمامي كانت مختلفة.. أو كما ظننت في بادئ الأمر متغيرة.. تشبهها لكنها لم تكن هي فسألتها: «هل تذكرين لقاءنا الأول؟»

فأجابتني بارتباك: «نعم بالطبع.. »

(عبد الحميد): أخبريني إذاً.. في أي زاوية من المجلس جلستِ؟ بدأت معالم التوتر تتجلى على الفتاة وهي تقول: ماذا تقصد؟

(عبد الحميد): أقصد هل جلستِ أمامي أم بجانبي؟

أنزلت الفتاة طرحتها وقالت بنبرة متحشرجة: لمَ كل هذه الأسئلة؟

في تلك اللحظة رن هاتفي النقال وكان المتصل أباها فأجبته وصدمني بعبارة لن أنساها..

(أيمن) بترقب: ماذا قال؟

(عبد الحميد): قال: «لمَ لم تأتِ لأخذ عروسك؟.. لقد تجاوزت الساعة العاشرة»

(عبد الحميد) وهو يضحك بحسرة: أختها الكبرى.. هل تصدقون أنها تسللت لسيارتي على أمل أن لا ألاحظ الفرق وأتزوجها عوضاً عن أختها؟

(أ. سليمان) باستغراب: من كان معك إذاً؟

ضحك الجميع بقوة وخلال ضحكهم قال (مؤيد): هل أنت جاد؟!

(عبد الحميد) باسطاً كفيه للأعلى: من يرغب في تكذيبي فليقل كي نرى صدق حدسه..

(مؤيد) وهو لا يزال يضحك: ما رأيكم يا جماعة؟

(أيمن): أنا أصدقه..

(أ. سليمان): وأنا كذلك

(د. جاسر): بالرغم من غرابة القصة إلا أني أصدق تاجر المواشي

(مؤيد): وأنا كذلك.. حسناً إذا كانت القصة غير حقيقية فمعنى ذلك أننا جميعاً خسرنا هذه الجولة.. هيا يا أبا راضي أخبرنا.. هل القصة حقيقية؟

(عبد الحميد) مبتسماً: كل حرف منها حقيقة ولم أختلق شيئاً

عاود الجميع الضحك مرة أخرى..

(أيمن) مبتسماً: قصة غريبة فعلاً

(مؤيد): هيا لنكمل.. من التالي؟

(عبد الحميد): انتظر!.. أليس من المفترض أن تنتهي بخسارتكم جميعاً؟.. لم يكذبني أحد والنقاط تحسب لي

(مؤيد) ضاحكاً: أي نقاط؟ أنت لم تخدع أحداً منا فجميعنا صدقناك لو كان أحدنا قد قام بتكذيبك وقتها تستحق نقطة

(عبد الحميد) وهو يحك جبينه: هذه القوانين الجديدة مربكة

(د. جاسر): لا يوجد قوانين جديدة.. الأمر كما في السابق لكن دون مال

(عبد الحميد): حسناً حسناً فهمت لنكمل

(أ. سليمان) رافعاً يده: أنا سأكون التالي..

(مؤيد): حسناً تفضل لكن تذكر أن قانون اللعبة ينص أن تكون قصتك أغرب من التي قبلها وإلا تعتبر خاسراً وتخرج مباشرة

(أ. سليمان) بثقة: لا تقلقوا قصتي هذه أغرب بكثير من قصة أبي راضي وعروسه المتنكرة

(مؤيد) مبتساً: حسناً نحن منصتون..

أخذ الأستاذ (سليمان) رشفة من الشاي ثم قال:

بعد تخرجي من قسم اللغة العربية بامتياز مع مرتبة الشرف كنت في قمة سعادتي وبدأت أضع خططاً لحياتي المستقبلية والتي تضمنت إكمال دراسة الماجستير ومن بعدها الدكتوراه لكن أحلامي تبددت عندما لم أحصل على المنحة الدراسية التي أستحقها حسب ما تنص عليه لوائح الجامعة وهي أن الأول على الدفعة يكون المرشح الأحق لأي مقعد يطرح ويتوفر في فصول الدراسات العليا وعوضاً عن ذلك ذهب المقعدان اللذان طرحا لطالبين تخرجا معي بمعدل أقل بكثير مني فقط لكونها على علاقة جيدة مع رئيس القسم وعميد الكلية.

تجاوزت مرحلة الصدمة من الظلم الذي وقع علي وواجهت الأمر الواقع وقدمت أوراقي للحصول على وظيفة ريثما أبحث عن فرصة لإكمال الدراسة في جامعة أخرى لتحقيق حلمي وأتت الصدمة الأخرى وهي تعييني بمدرسة ابتدائية بقرية في منطقة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها نائية وتبعد عن مدينتي مسيرة أربع ساعات بالسيارة مما استوجب علي الانتقال لتلك القرية البعيدة والإقامة فيها. أخبرني الجميع أن هذا الوضع مؤقت وأن

معظم من يتم تعيينهم في تلك المناطق يتم نقلهم للمدن خلال عام أو عامين على الأكثر لكن ذلك لم يخفف عن أهلي وبالذات أمي التي تألمت لخبر سفري وبعدي عنها.

انقضت عطلة الصيف وقبل أول يوم دراسي استقللت سيارتي بعد صلاة الفجر وتوجهت لتلك القرية وبعد رحلة طويلة وشاقة تخللها السير في آخرها في طريق رملي غير معبد وصلت قبل الظهر بقليل لمجموعة من البيوت والخيام في قلب الصحراء يحيط بها مجموعة من الزرائب لتربية البهائم. كان همي الأول بعد أن ركنت سيارتي هو إيجاد مسكن لي أو حتى غرفة بسيطة لكن القرية كانت شبه مهجورة عندما وصلت إليها ولم أرَ أحداً فيها حتى مضت نصف ساعة قضيتها داخل سيارتي أراقب المكان حتى لمحت شخصاً يخرج من أحد البيوت ويسير نحو إحدى الزرائب فترجلت من سيارتي وسرت خلفه منادياً فالتفت علي وقلت له: «السلام عليكم..»

لم يرد الرجل السلام واكتفى بالتحديق بي بصمت فتجاهلت قلة ذوقه وقلت: «أنا مدرس جديد تم تعييني في مدرسة القرية وأريد..»

قبل أن أكمل حديثي أدار الرجل نظره عني وأكمل سيره مبتعداً عني وقفت مكاني متعجباً من تصرفه وخلال ذلك سمعت صوتاً يحدثني من الخلف قائلاً:

مرحباً بك يا أستاذ..

التفتُّ نحو الصوت الذي حدثني ورأيت رجلاً بدت عليه ملامح الصلاح وكانت طلته مريحة ومطمئنة فتبسمت له قائلاً: أهلاً بادلني الرجل الابتسام وقال: أنا الأستاذ (زكريا).. معلم مادة التربية الإسلامية في القرية

(سليمان): تشرفنا يا أستاذ.. أنا (سليمان) معلم اللغة العربية الجديد بالمدرسة

(زكريا): أعرف وأنا سعيد بحضورك فنحن بحاجة لكل معلم يمكن أن يساعدنا في عملنا المكتظ

(سليمان) ونظره للقرية الصغيرة ذات المنازل القليلة خلف (زكريا): لا يبدو أن تعداد السكان هنا كبير كي تكونوا مزدحمين بالطلاب.

(زكريا) وهو يأخذ بضع خطوات نحو (سليمان) واضعاً يده على كتفه باسماً: «تعال معي..»

سار الاثنان بضع خطوات عائدين نحو القرية وخلال سيرهما قال (سليمان): هل نحن ذاهبان للمدرسة؟.. اليوم الدراسي ألم ينتهِ بعد؟

(زكريا) باسماً: اليوم الدراسي لم يبدأ بعد..

(سليمان) باستغراب: لكننا في منتصف النهار والظهر قد أوشك على الحلول

(زكريا): نعم أعرف.. يومنا الدراسي يبدأ عقب صلاة المغرب

(سليمان) والعجب لا يزال متمكناً منه: هل هذا قرار من الوزارة أم أنه اجتهاد شخصي من مدير المدرسة؟

(زكريا) وقد وصل لباب أحد المنازل الصغيرة: سأشرح لك كل شيء بعد أن تستقر ..

(سليمان) موجهاً نظره للمنزل الصغير: هل سأقيم هنا؟

(زكريا): نعم.. أنا وأنت

(سليمان): وماذا عن بقية المعلمين؟.. أين يقيمون؟

يمد (زكريا) يده ويدير مقبض الباب باسماً دون أن يرد عليه..

دخل مدرس التربية الإسلامية المنزل ومن خلفه (سليمان) المرتاب والقلق مما سمع وشاهد حتى الآن وحينها جلس الاثنان أمام إبريق صغير من الشاي أعده (زكريا) تحدث قائلاً: «أنا حقاً سعيد بحضورك وفي الوقت نفسه أخشى أن لا تتفهم طبيعة العمل هنا وتتركه مثلما فعل الكثير من قبلك»

(سليمان): وهل مطلوب مني شيء آخر غير تدريس مادة اللغة العربية؟

(زكريا) وهو يصب الشاي في كأس زجاجي صغير: لا أبداً.. ليس مطلوباً منك شيء سوى ذلك

(سليمان): لا توجد مشكلة إذاً.. وبالنسبة لعزلة المكان فأنا لا أمانعها بل على العكس تماماً أحب الأماكن الهادئة وأعشق الاختلاء بنفسي.. وإذا كنت تقصد مواعيد العمل بعد المغرب فأنا واثق أن هناك سبباً وجيهاً لذلك وأن بقية الزملاء سيعاونونني على التكيف مع الأمر

(زكريا) يمد كأس الشاي له قائلاً: لا يوجد زملاء.. ولا حتى مدير للمدرسة

(سليمان) يأخذ كوب الشاي وهو مدهوش: ماذا؟.. هل تم إلغاء المدرسة في أول يوم أمارس فيه العمل؟.. أي حظ سيئ هذا

(زكريا) يأخذ رشفة من كوبه: جميع من يتم تعيينهم في هذه القرية النائية لا يستمرون بالعمل بعد ليلتهم الأولى وأنا الوحيد الذي بقي ويمارس عمله لأكثر من ثلاث سنوات الآن

(سليمان): لا أفهم.. أي عمل تمارس؟

(زكريا): التدريس بالطبع

(سليمان): كيف تستطيع إدارة مدرسة كاملة وحدك؟

(زكريا): هو فصل واحد فقط.. يبدأ من بعد صلاة المغرب وينتهي مع أذان العشاء.. تعداد أهل القرية لا يتجاوز الخمسين وجميعهم يجتمعون في المسجد أوقات الصلاة وبقية اليوم يمارسون أعمالهم في الرعي خارج القرية لذا لا ترى أحداً يتجول في الخارج

(سليمان): كم عدد الطلاب؟

(زكريا): لم أعدهم من قبل لكن أقدرهم بالألوف..

(سليمان) وهو مصدوم: ألوف؟.. لكنك قلت للتو..

(زكريا) مقاطعاً: اسمع.. هم لا يريدون تعلم شيء سوى القرآن.. سوف أوصلك للمكان الذي ستعلم منه طلابك.. أذكياء ويحفظون بسرعة.. ابدأ بتلاوة أي سورة تريدهم أن يحفظوها واستمر في إعادة التلاوة حتى يبدؤوا

في ترديدها خلفك وهذا هو المؤشر على أنهم قد حفظوها وعند حدوث ذلك انتقل للسورة التي تليها وكرر الأمر نفسه

(سليمان): أنا لا افهم شيئاً مما تقول..

(زكريا): إذا تجاوزت الليلة الأولى بسلام وثبت ولم تجزع فسأشرح لك كل شيء بالتفصيل غداً

(سليمان): ولمَ لا تشرح لي الآن؟

(زكريا): لأني في كل مرة يأتي فيها مدرس جديد أرهق نفسي بالحديث والشرح وأستيقظ اليوم التالي لأجد أنه قد لاذ بالهرب

(سليمان) بتوتر: وما الذي رآه من كانوا قبلي ليلوذوا بالهرب؟

(زكريا): أنا أمامك لم أهرب وبقيت هنا أعواماً طويلة وتزوجت منهم أيضاً.. ثبت قلبك وثق بالله ولا تجزع مما ستراه إذا أردت الاستمرار في العمل هنا

(سليمان): تزوجت من بنات أهل القرية؟

رفع أذان الظهر ..

(زكريا) وهو ينهض: هيا لترى مكان المسجد كي تقابلني عنده بعد صلاة المغرب اليوم

بعد أن أدى الاثنان صلاة الظهر جماعة مع بعض أفراد القرية القريبين من المكان توجه (سليمان) لسيارته وأحضر حقيبة ملابسه ووضعها في تلك الغرفة الصغيرة لكنه لم يفرغ محتواها وبقي يفكر وحده في كلام معلم التربية

الإسلامية حتى غفت عيناه ونام. استيقظ والمكان مظلم.. نهض ببطء في جو هادئ أحاط به. حدق مطولاً أمامه في صمت حتى اعتادت عيناه على ذلك الظلام وبدأت معالم الغرفة تظهر. بعد قليل سمع أذان المسجد يرفع لكنه لم يعلم لأي صلاة كانت.

نهض (سليمان) وتوضأ وخرج من الغرفة وذهب للمسجد ورأى أن المسجد حوى عدد مصلين أكثر مما كان عليه الظهر وكان (زكريا) هو الإمام الذي كبر وأم الناس للصلاة. من خلال عدد الركعات علم أنها صلاة المغرب وبعد التسليمة الثانية وخروج معظم المصلين اقترب (زكريا) منه وجلس بجانبه قائلاً: هل أنت مستعد لحصتك الأولى؟

(سليمان): نعم على ما أعتقد..

(زكريا): لا تنقض وضوءك أبداً ولو اضطررت لذلك فجدده في الحال بالتيمم.. لا تنهض أبداً عندما يبدأ الدرس

(سليمان) بتوتر: وكيف أعرف أن الدرس انتهى؟.. هل هناك جرس؟

(زكريا): أذان العشاء هو إعلان انتهاء الدرس وهم يعرفون ذلك وسينفضون من حولك

(سليمان): لدي سؤال..

(زكريا): قله بسرعة لقد تأخرنا

(سليمان): لقد قلت إن هناك فصلاً واحداً فقط.. هل سوف تقسم فصلك أم هؤلاء طلاب جدد؟

(زكريا): هؤلاء هم طلابي ومع الوقت سوف نقتسمهم لكن الليلة هو اختبار لك وعن ما إذا كنت ستبقى معنا أم لا.. هيا انهض لقد حان الوقت

نهض الاثنان وخرجا وسارا لمسافة في الصحراء المظلمة مستعينين بضوء نجوم السماء ولم يتوقفا حتى رفع (زكريا) ذراعه موقفاً (سليمان) السائر خلفه قائلاً وهو يحدق بالأفق:

اجلس هنا يا أستاذ..

(سليمان): هنا أين؟

(زكريا): اجلس فقط..

جلس سليمان وهو مشوش مما يحدث وما أن جلس حتى بدأ (زكريا) بالتحدث لكن حديثه لم يكن موجهاً له بل كان للأفق أمامه وكان بصيغة الجمع وتضمن حديثه تعريفاً سريعاً بـ (سليمان) وأنه سوف يكون بديله لليوم. بعدها استدار وقال: «يمكنك البدء الآن..»

(سليمان): البدء بماذا؟

(زكريا) وهو يشير خلفه: بالدرس.. إنهم ينتظرونك

(سليمان) ممعناً النظر حيث كان يشير (زكريا): اعذرني يا أستاذ لكني لست مستعداً لمجاراتك في هذا الجنون.. أعتقد أن عزلتك في هذه المنطقة قد أفقدتك عقلك

ابتسم (زكريا) وقال: لم أكن أريد أن يظهروا لك منذ أول يوم لكن يبدو أن ذلك ضروري لتقتنع

(سليمان) وهو ينهض نافضاً الرمال عن ثوبه: أقتنع بماذا؟ .. أنا عائد للقرية!

(زكريا) بصوت مرتفع: أظهروا أنفسكم لمعلمكم الجديد فهو يريد مقابلتكم

وفي لمح البصر ظهر في الأفق الممتد على مد البصر والذي كان خاوياً قبل ثوانٍ مجموعة كبيرة من الناس المتربعين على الأرض وغطوا كل تلك المساحة الشاسعة.

(سليمان) بخليط من الفزع والاندهاش: من هؤلاء؟!

(زكريا): طلابك..

(د. جاسر): وماذا فعلت؟

(أ. سليمان) مبتسماً: جريت هرباً من المكان بالطبع وما أن وصلت للقرية حتى ركبت سيارتي وقدتها دون توقف حتى وصلت لمنزل أهلي ولم أخرج إلا بعد عدة أسابيع عندما وصلني خطاب قبولي بإحدى الجامعات لإكمال الماجستير وعينت محاضراً بالجامعة نفسها لاحقاً.

(عبد الحميد) ضاحكاً: لقد كان طلابك من الجن!

(أ. سليمان): لا أعرف ماذا رأيت لكنهم بالتأكيد ليسوا من البشر..

(أيمن): لقد نجحت في غرابة القصة..لكن هل هي حقيقية؟

(مؤيد): هذا ما سنحدده بالتصويت..

(عبد الحميد): لدي سؤال قبله للأستاذ

(أ. سليمان): تفضل يا أبا راضي

(عبد الحميد): كم المهور عندهم؟

(أ. سليمان) ضاحكاً: عند من؟

(عبد الحميد): عند الجن.. ألم تقل بأن زميلك تزوج منهم؟

انفجر المجلس ضحكاً وسط استغراب أبي راضي الذي قال مبتسماً:

أنا أتحدث بجدية!

(مؤيد): لا أحد غيرك يا أبا راضي يمكن أن يفكر مثل هذا التفكير!

(أيمن) وضحكه يهدأ: أنا أصدق قصة الأستاذ (سليمان)

(د. جاسر): أنا أيضاً.. فلم أعهد عليه الكذب من قبل

(مؤيد): وأنا أيضاً

(عبد الحميد): أنا لا أصدقه..

(مؤيد) باسماً: جميل.. معنا أول إنكار.. وما هي حجتك يا أبا راضي؟

(عبد الحميد): قصته جميلة ومحبوكة لكنه أخفق في نقطة

(أيمن): وما هي تلك النقطة؟

(عبد الحميد): ليس من المنطقي أبداً أن تقام مدرسة رسمية تابعة للوزارة بدون مدير أو طاقم كامل وتكتفي بمدرس واحد فقط .. هذا ينافي المنطق

(مؤيد) لـ (أ. سليان): ما رأيك.. هل يقول الحق؟

(أ. سليمان) منزلاً رأسه باسماً: نعم.. القصة مفبركة

نهض أبو راضي رافعاً قبضتيه في الهواء وهو يصرخ ضاحكاً: كنت أعرف أنه كاذب!!

(د. جاسر) دافعاً (أ. سليمان) وهو يضحك: تباً لك ولثقتي بك!

(مؤيد) مبتسماً: بهذا يكون (أ. سليمان): أول الخارجين من اللعبة

(عبد الحميد) وهو يجلس وبحماس: ولن يكون الأخير.. سأخرجكم جميعاً وسأكون البطل مرة أخرى!

(مؤيد): سنرى.. من التالي؟

(عبد الحميد): أي تالٍ؟.. أليس من المفترض أن من صدقوه يخرجون معه؟

(مؤيد): لا.. لن يخرج إلا من يكشف أنه كاذب

(عبد الحميد): ما فائدة التخمين إذاً؟.. سوف أحكي الصدق كل مرة

(مؤيد): إذا التزمت بشرط أن تكون القصة أغرب من سابقتها فقل الصدق كما تشاء

(عبد الحميد): كيف أنافس قصة خيالية بقصة واقعية؟!

(مؤيد): هذا هو قانون اللعبة

(عبد الحميد): أنت تختلق قوانين جديدة فقط كي لا أربح

(أيمن) مبتسماً: صحيح.. القوانين ليست واضحة يا (مؤيد)

(مؤيد): لنسمع القصة التالية وسنرى

(عبد الحميد) بتذمر بهذه الطريقة لن أنتصر

(مؤيد): لنستمع لقصة الدكتور (جاسر).. ما رأيك يا دكتور؟

(د. جاسر): بصراحة لا أملك قصصاً مطولة ومفصلة مثل البقية لكن.. أملك قصة بسيطة خاصة بي

(مؤيد): لا يهم أن تكون طويلة المهم أنها لا تقل غرابة عن سابقتها

(د. جاسر): الحكم متروك لكم..

(أيمن): تفضل يا دكتور

بدأ الدكتور (جاسر) بسرد قصته:

كنت أحتسي قهوتي ذات صباح وأنا أجلس في حديقة منزلي في يوم إجازة حصلت عليه بعد أسابيع من العمل الشاق والمناوبات الليلية المتلاحقة بالمستشفى. سور تلك الحديقة كان منخفضاً ويمكنني من خلاله مشاهدة الشارع وتفاصيله من مارة وسيارات عابرة. منظر طلاب المدارس وهم

يسيرون لمدارسهم جميل بالنسبة لي فأنا نادراً ما أشاهد الناس في حالتهم الطبيعية يزاولون يومهم بهدوء فمعظم وقتي أقضيه معهم وهو يتألمون ويئنون من الوجع خصوصاً في غرفة الطوارئ فبحكم تخصصي فأنا أتعامل غالباً مع الحوادث المرورية المفجعة وهذا مع الوقت أصابني بالتبلد لكنه لم يؤثر على أدائي واهتمامي بالمرضى. خلال استمتاعي بذلك الصباح الهادئ وقع حادث مروع أمام منزلي وتجمهر الناس حول السيارتين وأخرجوا المصابين وكان أحدهم في حالة خطرة جداً ويحتاج إسعافات أولية مستعجلة ريثما تصل سيارة الإسعاف. راقبت المشهد ببرود وأنا أحتسي قهوتي وأقول في نفسي: «من المؤسف أنه لا يوجد أحد مهتم لمساعدتهم».. لم أجد في نفسي رغبة للنهوض والمشاركة بإسعافه بالرغم من أني كنت قادراً على ذلك.. لم أرَ الأمر يستحق قطع خلوتي التي كنت مستمتعاً بها.. أنا أنقذ العشرات يومياً وهذا الشخص لن يضيف أو ينقص من إحساسي بالإنجاز بل سينتزعني من وقت راحة واستجمام قلما أجد وقتاً له وأنا في أشد الحاجة إليه فاتخذت قرار التضحية به لمصلحة راحة بالي.. خاصة وأن المصاب هو المخطئ والمتسبب بالحادث بسبب تهوره في القيادة لذا شعرت أنه لا يستحق العون والشفقة ولا يستحق أن أهدر صباحي الجميل عليه لذا أكملت كوب الشاي وأنا أراقب الناس وهم يحاولون إسعافه بطرق خاطئة ولا أنكر أني ابتسمت عندما قام أحدهم برفعه بطريقة خاطئة غالباً تسببت في تفاقم الإصابة أكثر وزيادة معاناته التي ستنتهي بموته حتماً.

لقبوني بقاسي القلب أو حتى متوحش.. لا يهم.. حقيقة لم أعد أهتم برأي أحد فيَّ وهذا التجاهل وعدم الاهتمام لآراء الناس مصدر راحة اكتشفته مؤخراً وأقطف ثماره يومياً.. الجميع يتحدثون عن الحرية لكن لا يوجد

حرية أكثر من التحرر من قيود المجتمع وآرائه عنك وفيك.. أغلال خانقة لن تنفك عنك حتى تضعك في قبرك.

(عبد الحميد): وهل مات؟

(د. جاسر): نعم.. نزف حتى الموت لأن كل من حوله لم يتمكنوا من السيطرة على الجرح الغائر في فخذه.. كان يحتاج فقط ربطة بسيطة بعقدة قوية أعلى الفخذ ليبطئ تدفق الدم حتى يصل الإسعاف.. حل بسيط لكن لسوء حظه لم يكن أحد المتجمهرين يملك الخبرة لإسعافه بالشكل المناسب

صمت الجميع لثوانٍ يراقبون بعضهم بعضاً ثم قال (مؤيد): الدكتور معه حق.. أقصد صادق في قصته..

(أ. سليمان): أتمنى أن لا يكون صادقاً..

(عبد الحميد): أنت خارج اللعبة ولا يحق لك التصويت..

(مؤيد): وما هو رأيك أنت يا أبا راضي؟

(عبد الحميد) مراقباً (د. جاسر) بنظرات توجس: كنت أعرف أن «جاسر» قاسي القلب لكن لم أعلم إلى أي حد إلا هذا اليوم.. للأسف هو صادق في قصته فهو حتى لم يرمش خلال روايتها وهذا دليل أنه لا يكذب وأن قلبه قطعة من الثلج المتحجر لا يحمل فيه أي شفقة للغير كما قال هو بلسانه

(د. جاسر) وهو يسكب له بعض الشاي البارد مبتسماً: أنت تذبح البهائم كل يوم يا (عبد الحميد) فلا تدعِ أنك رهيف القلب..

(عبد الحميد) بتجهم: وهل تقارن البهائم بالبشر ؟!

(مؤيد) رافعاً كفه: حسناً يكفي.. لا نريد أن ندخل في نقاش.. من حق أي أحد قول ما يريد دون أن نُصدر عليه أحكاماً.. لنأخذ رأي (أيمن) ولننتقل للقصة الأخرى

(أيمن) بوجه مكتئب: لا أعرف ..

(مؤيد): هيا يا (جاسر) أخبرنا هل القصة حقيقية؟

(د. جاسر) مرتشفاً من طرف كوب الشاي البارد: نعم..

تجهم أبو راضي لكنه لم يعلق.. وجه (مؤيد) نظره لـ (أيمن) لكنه رأى أنه ليس بحالة ليشارك بقصته فقال: دوري الآن..

(أ. سليمان): من خسر هذه الجولة؟

(مؤيد): لا يهم الآن.. لننتهِ من اللعبة فقط

بدأ الصحفي برواية قصته وقال:

كنت أعمل على تحقيق صحفي حول محقق مشهور في المدينة اسمه (نادر) وكان التحقيق عن سيرته وتاريخه الباهر بكشف الكثير من القضايا المعقدة والشهرة الواسعة التي اكتسبها بسبب ذلك. لم أتمكن من إيجاد المحقق بعد تقاعده لإجراء مقابلة معه لذا استعنت بصديق لي في قسم الشرطة لجمع بعض المعلومات عنه والاطلاع على أشهر القضايا التي قام بحلها في السابق لأعد تقريري عنه وخلال حديثي معه أخبرني بأمر غريب لا يعرفه إلا القليل من أعضاء الشرطة الذين عاصروه.

(عبد الحميد): لقد سمعت عنه من قبل.. قرأت عن إحدى القضايا التي حلها بالجريدة؟

استأنف (مؤيد) الحديث قائلاً:

المحقق (نادر) كان من أبرز المحققين في قسم شرطة المدينة وتتلمذ وتدرب على يده الكثير من المحققين الكبار الذين أشادوا به في كل مناسبة يجدونها ويرجعون الفضل له في كل إنجاز يحققه أحدهم في حياته المهنية.

محقق لم يفشل في كشف أي جريمة توضع على مكتبه مهما بلغت صعوبتها وقلة الدلائل التي تقود لحلها. عقله مستنيرٌ وشديد الملاحظة وبالرغم من تفوقه في الدراسة وإمكانية خوضه أي مجال مهني يختاره إلا أنه فضل العمل في الشرطة بسبب شغفه الذي ورثه عن أبيه والذي كان محققاً سابقاً في القسم نفسه. ابنته الوحيدة فخورٌ بأبيها جداً وتتباهى به في كل مناسبة ومع تقدمه في العمر واقتراب يوم تقاعده من العمل كمحقق رأت القلق في عينيه لقرب حلول ذلك اليوم فتجاهلته إلى حينه.

حصلت ابنة (نادر) على منحة دراسية خارج المدينة التي كانوا يقطنون بها وكانت مترددة في ترك أبيها الذي أقام معها بعد وفاة والدتها قبل سنوات. لكنه أقنعها بقبول تلك المنحة وطمأنها بأن عمله سيأخذ جل اهتمامه ووقته ولن يشعر بالوحدة لغيابها. جاء اليوم الذي ستسافر فيه ابنة (نادر) وكان وداعهما مريراً مختلطاً بالدموع. أوصلها أبوها للمطار ولم يفارقها حتى أقلعت الطائرة.

مضت الأيام وكانت ابنة (نادر) تتصل بأبيها يومياً لتسأل عنه وعن أحواله وتطمئن عليه لتجده يوماً بعد يوم قد تكيف على العيش وحده بالرغم من

شوقه إليها والذي يعبر عنه من حين لآخر. كان يناقش ويحكي لها عبر مكالماته الهاتفية معها عن آخر القضايا التي يحلها في وقت قياسي وكانت هي تحكي له بدورها عن حياتها الجامعية الجديدة وسعادتها في دراسة تخصصها الذي حلمت به وهو الطب. كانت سعيدة جداً بسعادة أبيها وهو يحكي لها عن إنجازاته المستمرة بشغف.

بعد مرور بضعة أشهر واقتراب الإجازة الصيفية للجامعات تحرقت ابنة (نادر) شوقاً للعودة لديارها وقضاء عطلتها الصيفية مع أبيها الذي انقطعت اتصالاتها عنه فترة اختباراتها وقررت عدم الاتصال به ومفاجأته بحضورها شخصياً للمنزل لذا لم تبلغه بموعد وصولها للمنزل.

استقلت ابنة (نادر) سيارة للأجرة فور وصولها للمطار وتوجهت مباشرةً للمنزل كي تعد لأبيها مفاجأة جميلة لعلمها سلفاً أن موعد وصولها سيكون في الفترة التي يكون فيها في عمله. دخلت المنزل وصدمت برائحة عفنة قوية أجبرتها على وضع يدها على أنفها من شدة حدتها وبدأت بالتجول في المنزل بحثاً عن مصدر تلك الرائحة فوجدت المنزل مليئاً بالنفايات وبقايا الطعام التي كان أغلبها من المطاعم السريعة. فتحت النوافذ وبدأت في تنظيف المكان حتى سمعت صوت أبيها من الطابق العلوي يصرخ ويقول:
«من هنا ؟!»

تركت ابنته ما كان بيدها وصعدت مسرعة للطابق العلوي لتجد أباها في فراشه وقد نمت لحيته وشعره وشاربه بشكل كثيف وكان يبدو في حالة يرثى لها ورائحته تفوح وكأنه لم يستحم لأشهر. نظرت ابنته له باستغراب وقالت:

«ماذا حدث لك يا أبي لمَ أنت بهذه الحالة..؟ »

ابتسم (نادر) وأشعل سيجارة من علبة على المنضدة بجانب سريره وقال: «لقد تقاعدت عن العمل..»

جلست ابنته بجانبه ووضعت رأسها على كتف أبيها وقالت:

وهل هذا سبب لينتهي بك الحال هكذا؟

(نادر) نافخاً سحابة من الدخان: العمل كان كل حياتي..

(ابنته): لكن يا أبي لا يمكنك العيش هكذا يجب أن تجد هدفاً في الحياة وإلا فستموت بحسرتك

(نادر): لا تقلقي بشأني.. لمَ لم تخبريني بأنك قادمة؟

(ابنته) وهي تمسح دمعة خرجت من عينها قهراً على حال أبيها :

أحببت أن أفاجئك لكنك سبقتني عندما رأيتك هكذا..

ضحك (نادر) وعانق ابنته قائلاً: لا تقلقي فأنا أمارس حريتي وسعيد بها..

(ابنته) وهي تبتسم: يجب أن تستحم يا أبي..

مضت أيام الإجازة بسرعة وكانت ابنة (نادر) تحاول إخراج أبيها من تلك القوقعة التي حبس نفسه داخلها دون جدوى فقد رأت النور ينطفئ يوماً بعد يوم من عينيه اللتين كانتا تشعان بالحياة وراقبت الحياة تتسلل وتتسرب منه تدريجاً وهي تقف عاجزة عن فعل أي شيء لمساعدته. في يوم رحيلها عانقته بقوة وقالت: «عدني يا أبي بأنك ستعود كالسابق.. عدني..»

(نادر) يشد عناقها مبتسماً بحزن:.. أعدك..

(ابنته) تحمل حقائبها: ألن توصلني للمطار؟

(نادر) وهو مستاء: سامحيني يا ابنتي فأنا متعب اليوم..

خرجت ابنة (نادر) ودموعها كذلك وسارت نحو سيارة الأجرة التي استدعاها أبوها لتقلها للمطار. بعد رحيلها بقي (نادر) على حاله ولم يتغير حتى محاولات زملائه السابقين في الترفيه عنه باءت بالفشل فقد كان منطوياً على نفسه ويرفض الخروج من المنزل إلا لاستلام الجرائد اليومية من عتبة باب المنزل.

خرج (نادر) ذات يوم لأخذ الجرائد التي تركها تتراكم لعدة أيام ثم يقوم بقراءتها دفعة واحدة ليجد طرداً فوق كومة الجرائد على هيئة صندوق بتغليف ورقي أصفر. رفع (نادر) الطرد وقام بهزه بجانب أذنه فسمع اهتزاز شيء صغير. أخذ الطرد ودخل للمنزل وجلس وأشعل سيجارة تدلت من فمه خلال فتحه الأصفر.

سقطت السيجارة من فمه وأحرقت جزءاً من ملابسه بعد ما شاهد محتوى الطرد فقام على عجالة ليدوس على السيجارة وعينه لا تزال على محتوى الطرد الذي سقط على الأرض والذي كان أصبعاً لقدم بشرية مفصولة حديثاً. لاحظ (نادر) أن الطرد يحتوي على شيء آخر.. ورقة.. ورقة مطبوعة وليست مكتوبة بخط اليد وكانت تقول:

«هذا جزء منها.. وسيصلك كل يوم جزء آخر حتى تستطيع إيجادي..»

فزع (نادر) من الرسالة أكثر من منظر الأصبع المفصول وهرع نحو هاتفه النقال واتصل بابنته التي أجابته بسعادة ظنAاً منها أن أباها عاد لحالته الطبيعية لأنه لم يتواصل معها منذ رحيلها كما فعل في السابق لكنها فوجئت بسؤاله لها بقلق وعلى عجالة:

«هل أنتِ بخير ؟!.. هل أنتِ بخير؟!»

(ابنته) باستغراب: نعم يا أبي.. ما بك؟

(نادر): الحمد لله .. لا عليكِ لا تقلقي سأتحدث معكِ لاحقاً!

(ابنته): لكن يا أبي..

أغلق (نادر) الهاتف بسرعة والتقط الطرد ومحتواه وتوجه لقسم الشرطة الذي عمل به سابقاً وحكى لزملائه ما حدث فوعدوه بأنهم سيبحثون في الأمر وسيعينون أحداً ليراقب منزله في حال أن صاحب الرسالة نفذ تهديده وأرسل قطعة أخرى كما ادعى. بقي (نادر) في القسم لفترة ليسدي بعض النصائح للمحقق الذي أوكلت له القضية والذي كان سعيداً بهذه المساعدة لأن القضية كانت مبهمة وخالية من الدلائل. عاد (نادر) متأخراً ذلك اليوم لأن أصحابه لم يتركوه إلا بعد قضاء سهرة عشاء معه تخللها الكثير من الحديث عن ذكرياتهم الجميلة. عندما دخل (نادر) المنزل وجد ابنته في انتظاره فقال لها باستغراب:

«ما الذي تفعلينه هنا؟ »

(ابنته) وقد بدأت بالبكاء: كيف تغلق الخط في وجهي هكذا ولا تجيب على اتصالاتي بعدها؟!.. هل تعرف كم قلقت عليك؟!

تفقد (نادر) جيبه بحثاً عن هاتفه فاكتشف أنه نسيه في المنزل وعندما لمحه على الطاولة أمسكه وفتحه ليرى هذه العبارة:

« ٤٦٠ مكالمة فائتة..»

وجه (نادر) نظره لابنته التي أجهشت بالبكاء بحرقة فما كان منه إلا أن عانقها وهو يعتذر منها. باتت ابنته تلك الليلة معه بعد ما شرحت له أنها لن تعود للجامعة إلا بعد أن تتحقق من أنه بخير وبالرغم من محاولاته لإقناعها بالعدول عن قرارها إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل.

استيقظ (نادر) صباح اليوم التالي وعلى غير عادته منذ أن تقاعد أخذ حماماً طويلاً وحلق ذقنه وشاربه وبدل ملابسه استعداداً للخروج. مر بغرفة ابنته ليجدها نائمة فآثر تركها لترتاح وأن لا يوقظها ونزل للطابق السفلي متوجهاً للباب وقبل خروجه توقف عندما رأى طرداً مشابهاً للطرد الذي استلمه بالأمس يتوسط غرفة المعيشة. توجه (نادر) للنافذة وعينه على الطرد ولم يرفعها عنه إلا عندما رفع ستار النافذة ليتثبت من وجود الشرطي المتخفي الذي عُين لمراقبة المنزل ليجده على حاله مستيقظاً ويراقب المكان. تقدم (نادر) بخطوات بطيئة نحو الطرد حتى وصل إليه ورفعه وفتحه وشاهد محتواه.

حدق بالمحتوى لدقائق ثم مد يده ليرفع الأصبع المفصول داخل الطرد والذي كانت أسفل منه رسالة ملطخة بنقاط من الدماء تقول:

«هذا أصبعها الآخر.. وسيصلك كل يوم جزء منها حتى تستطيع إيجادي..»

جلس (نادر) على الأريكة وبدأ بالتفكير بعمق لدقائق توجه بعدها لقسم الشرطة..

بقي (نادر) في قسم الشرطة يناقش زملاءه والمحقق المسؤول عن القضية في موضوع تلك الطرود وعن استغرابه من وصول الطرد الثاني لوسط منزله بالرغم من وجود حراسة على الباب فقال أحدهم:

لعله استخدم الباب الخلفي للمنزل..

(نادر): لا أملك باباً خلفيًا ولا يوجد أي أثر لاقتحام للمنزل

صمت الحاضرون لفترة ثم تحدث رئيس القسم وقال:

«ما رأيك أن تستلم القضية يا (نادر)؟ »

(نادر): لا أريد التدخل في شؤون القسم خاصة وأني متقاعد الآن ثم إنه من غير اللائق أن آخذ قضية من زميلي وهو لم ينهها بعد

(المحقق المسؤول عن القضية) مبتسمًا: تعرف جيداً أني لن أتمكن من حلها.. أرجوك خذها من على عاتقي كي لا تكون نقطة سوداء في تاريخي

ابتسم (نادر) وقال: موافق.. أمهلوني وقتاً وسوف أحل لكم هذه القضية..

(رئيس القسم): يمكنك استخدام كافة المرافق هنا وطلب مساعدتنا في أي وقت

(نادر) وقد اتسعت ابتسامته: شكراً.. لن أخيب ظنكم

توجه (نادر) بعدها للمنزل منتشياً من السعادة بالرغم من إحساسه الداخلي بالذنب لأن هناك شخصاً يعاني بسبب هذه الجريمة لكنه لم يستطع إخفاء بهجته بالعودة للعمل ولو كان ذلك لفترة مؤقتة. دخل (نادر) للمنزل في

المساء وأخبر ابنته بما حدث وبمدى السعادة التي يشعر بها فقالت له وهي تشاركه الفرح:

«سعيدة جداً لك يا أبي سعيدة لأنك استعدت حياتك..!»

(نادر): أحس بالذنب لتلك السعادة وأن هناك من يعاني بسبب هذا المعتوه الذي يقطع أجزاءه يوماً بعد يوم وقد يفقد حياته لو تأخرت في حل القضية..

(ابنته) مبتسمة: لا تقل هذا يا أبي فهي لم تفقد سوى أصبعين من أقدامها لا أظنها ماتت ما زال أمامك متسع من الوقت لإنقاذها

(نادر) مبتسماً بحزن: وكيف علمتِ بمحتوى الطرد فأنا لم أخبرك بذلك؟.. وكيف علمتِ أنها امرأة من الأساس؟

(ابنته) وهي تبتسم بارتباك: لقد أخبرتني لكنك نسيت..

تغير وجه (نادر) للحزن والحسرة عندما لم يجد ردّاً مقنعاً من ابنته لأنه أدرك وقتها أنها هي الفاعل واستدرك في عقله أنها قامت بذلك لأجله ولإخراجه من الكآبة التي عاشها وأن الطرد الثاني لم يأتِ من خارج المنزل بل كان منها ومع تزاحم أفكاره وتوافقها مع نظرية أن ابنته هي الفاعل خرج عن صمت تفكيره وقال بهدوء: من هي؟

(ابنته) مبتسمة: عن ماذا تتحدث يا أبي؟

(نادر) وهو يصرخ بغضب: من هي تلك المسكينة التي قطعتِ أصابعها لتنفيذ خطتك البائسة؟!

(ابنته) وقد بدأت عيناها تدمعان: كيف عرفت؟

(نادر): لست بهذا الغباء كي لا أكشف حيلة حمقاء مثل هذه!! هيا تحدثي بسرعة كي ننقذ هذه المسكينة؟!.. هل هي محبوسة في شقتك؟!.. أم أنها جثة هامدة في مكانٍ ما؟!.. تكلمي!

(ابنته) وهي تخلع حذاءها وتكشف عن قدمها الفاقدة لأصبعين: لا يوجد ضحية يا أبي..

(نادر) مبهوراً وهو يرى قدم ابنته الملفوفة: لماذا؟!.. لماذا فعلتِ بنفسكِ ذلك؟!

(ابنته) وهي تبكي: كنت أريد أن أرى ابتسامتك مرة أخرى..

(نادر) بعد صمت يسير: هيا..

(ابنته): إلى أين؟

(نادر): سأعود معكِ لمدينتك وأقيم معكِ هناك..

(ابنته): والقضية؟

(نادر) وهو ينظر لابنته مبتسماً: ستنتهي وستحل بمجرد رحيلي معك أليس كذلك؟

(ابنته) وهي تعانق أباها: نعم..

(مؤيد): سلم المحقق ملف القضية للشرطة وشرح لهم الأمر بالتفصيل وطلب منهم إنهاء الموضوع بحكم أنه لا يوجد جريمة سوى إزعاج بسيط للسلطات

(عبد الحميد): قصة مسلية..

(مؤيد) ضاحكاً: هل أفهم أنها لم تعجبك يا أبا راضي

(عبد الحميد): لا أبداً لكن طبيب العظام عكر مزاجي بقصته

(د. جاسر): الحقيقة هي من عكرت مزاجك وليست قصتي

(عبد الحميد) بتجهم: نعم.. حقيقة أنك إنسان بلا قلب والمرعب في الأمر أنك مسؤول عن مرضى يلجؤون إليك

(أ. سليمان): هدئ من روعك يا أبا راضي.. الرجل تحدث بصراحة ويجب أن لا نحاسبه على ذلك وإلا فسنخيف المتحدث التالي.. أليس كذلك يا (أيمن)؟

(أيمن) مبتسماً: يمكننا تجاوز دوري..

(مؤيد) ضاحكاً: لا، مستحيل.. جميعنا شاركنا وأنت يجب أن تعطينا ما عندك.. أم أنك تريد التخلص منا؟.. لا تقلق.. بعد انتهائك سنرحل جميعاً.. اتفقنا؟

(أيمن): حسناً كما تشاؤون.. لكن.. أنا لن أحكي قصة.. سأتحدث عن مشاعري فقط

(عبد الحميد): مشاعرك؟ .. مشاعرك عن ماذا؟

(أيمن): قصصكم كانت جميلة.. جمالها يكمن في إحساسكم خلال روايتها ومدى إيمانكم بها.. شعرت بكل حرف خرج من أفواهكم.. لكن.. أنا لم تعد القصص تشكل جزءاً من حياتي.. ذهب كل شيء.. ذكرياتي.. ابتسامتي.. رغبتي في أخذ نفس آخر.. وحل مكانها شيء قبض ولا يزال قابضاً علي وحياتي تسير حسب ما يراه هو..

(مؤيد) واضعاً كفه على كتف (أيمن) قائلاً: تحدث بما تشاء.. نحن منصتون..

(أيمن): المرض.. لا تحدثوني عن الغيلان والوحوش عندما تتكلمون عن الخوف والجزع.. المرض.. المرض هو سيدهم كلهم.. هو من سينزعك من حياتك المطمئنة.. أكثر شيء مرعب يمكن أن تسمعه هو طبيب يخبرك بأنك مصاب بمرضٍ قاتل لا علاج له وأيامك باتت معدودة في هذه الدنيا والأسوأ من أن يخبرك بأن المرض فيك هو إخبارك بأنه في شخصٍ عزيز عليك.. أمك.. أبيك.. أحد إخوتك.. هذا هو الرعب الحقيقي وهذا ما عانيت منه وما زلت أعاني.. لا أستطيع وصف مشاعري عندما فقدتها.. فقدت زوجتي بعد خسارتنا المعركة مع مرضها.. لم أتصور يوماً أنني يمكن أن أبكي بهذا الشكل.. السنة التي أمضيتها بجانبها وهي تتعذب من مرضها كانت عذاباً لي ولها لكن أملي بأن تتعافي حجب كل مشاعر الحزن بداخلي وراكمها مخلفاً وراءه ابتسامة غبية تبددت يوم مماتها.. كنت أخدع نفسي ودفعت الثمن دفعة واحدة يوم فارقتني.. عرفت معنى مصيبة.. فجيعة.. حقاً ما أصابني ذلك اليوم فاجعة.. لم تكن جزءاً من حياتي بل كانت هي حياتي.

كنت دائماً أتساءل كيف يفكر شخص عاقل بالانتحار؟.. لُطمت بالإجابة ذلك اليوم.. أردت اللحاق بها.. أردت معانقتها مجدداً.. هل تعرفون معنى أن يرتجف جسدك حزناً؟.. أن يقبض شيء بارد لا تراه صدرك حد الاختناق؟.. أن تضيع وتتيه من قوة الألم؟.. شعور بحق لا أتمناه لألد أعدائي .. انكسار ونظرة مطولة لما يسمى بالجحيم. والمخيف في الأمر أنه قد يتكرر في أي لحظة ولا نستطيع حماية أنفسنا منه.. قد أفجع اليوم أو غداً بوفاة ابنتي.. ما الذي سيحميني وقتها؟.. كيف أخوض هذه التجربة من جديد؟.. أسمع كثيراً عن التبلد لكنه شيء لا وجود له عندما يتعلق الأمر بأحبابك ويأتي ما يهز أركانك ويزلزلها من تحت أقدامك.. خذوا الحذر.. خذوا الحذر جميعاً من هذا الحزن القادم إليكم لا محالة فإنه إذا أتى سيقتلعكم من جذور حياتكم المطمئنة الهادئة ولن يفك قبضته عنكم أو يرخيها أبداً حتى تفارقوا الحياة.

صمت الجميع ولم يعلق أي أحد على كلام (أيمن) واكتفوا بالانسحاب من المجلس واحداً تلو الآخر بعد ما ودعوه وشكروه على استضافتهم.. في الخارج اجتمع الأربعة قبل أن يركبوا سياراتهم:

(د. جاسر): رافقتكم السلامة..

(أ. سليمان): كانت ليلة.. غريبة.. في أمان الله

(عبد الحميد) بتهكم: ماذا عن الفائز؟

(مؤيد) وهو يركب سيارته: لا يوجد فائز يا أبا راضي.. جميعنا خاسرون هذه الليلة.. جميعنا..

الحرية الحقيقية تكفل لك حق اختيار أن تبقى سجيناً..

هذا ما حدث معي

ساحة واسعة في سجن كبير أسواره عالية..

مجموعة من المساجين انتشروا في تلك الساحة..

دخان سيجارة يتصاعد..

رجل مسند ظهره للحائط الخرساني..

يتمتم بكلمات خلال تدخينه وسرحانه..

يقترب منه أحد الحراس ويقف بجانبه بصمت يشاركه النظر في الأفق..

يتحدث إليه الحارس الضخم البنية دون أن يلتفت إليه قائلاً: «لِمَ تتحدث مع نفسك دائماً؟»

- هل سمعت عن «اضطراب تبدد الشخصية» من قبل؟

(الحارس الضخم): لا.. هل تعاني منه؟.. هل هذا سبب حديثك الدائم مع نفسك؟

- أطباء النفس حفنة من المخادعين.. أدخلوني في متاهات أكثر ضياعاً من المرض نفسه.. هو وحده فقط من تمكن من علاجي.. وتعلمت منه علاج غيري..

(الحارس الضخم): عن من تتحدث؟

أخذ الرجل نفساً عميقاً من سيجارته وقال: كنت تلميذه كما كان يقول..

(الحارس الضخم): عدت للهرطقة مرة أخرى كعادتك..

- وما الذي يجبرك على البقاء بجانبي والاستماع لهرطقاتي كما تقول؟

(الحارس الضخم) وهو يلتقط السيجارة من بين أصبعي الرجل ويأخذ نفساً منها: لقد أنقذت حياة ابنتي وأنا مدين لك..

نداء بمكبر صوت مزعج يطلب من نزلاء السجن العودة لزنازينهم..

يرمي الحارس السيجارة ويدعسها بقدمه قائلاً: هيا.. لقد حان وقت العودة..

- أنا لم أنتهِ من التدخين بعد..

(الحارس الضخم): يمكنك التدخين في زنزانتك وسوف نتغافل عنك كالمعتاد

بدأ الرجل بالتحرك وسار خلف المساجين المتوجهين لباب الدخول للعنابر..

يصدم به مسجون أصلع بكتفه متعمداً ويقول ضاحكاً: ألم يحن الوقت لتخبرني بعلاج زوجتي أيها المذيع؟!

(المذيع): أخبرتك أكثر من مرة أن لا تلقبني بالمذيع

(سجين آخر) يشاركهما الحديث خلال سيرهم نحو العنابر: ألست مذيعاً؟

(المذيع): كنت .. كنت مذيعاً.. أنا لي اسم!

(السجين الأصلع): نحن هنا لا نعترف بالأسماء.. كل سجين وله لقب.. هذا «مبرد» وذاك «مسمار» وهذا «ناقوس»..

(المذيع) مبتسماً: ذكرني لمَ يسمونك بـ (وسادة)؟

(وسادة) مبتسماً: لأن جميع ضحاياي ماتوا مختنقين بها بالطبع

(المذيع) ضاحكاً: آه نعم.. تذكرت

(وسادة) وهو يسير لصيقاً بالمذيع بين حشود المساجين: حسناً أيها المذيع.. ما علاجها؟

(المذيع) وهو يرى زنزانته تقترب في نهاية الممر: أخبرتك أن الثمن علبتا سجائر ..

(وسادة): لقد أعطيتك واحدة اليوم!

(المذيع): واحدة لا تعني اثنتين..

(وسادة): أرجوك.. إنها تعاني منذ سنوات

(المذيع): لم أعد أقدم مساعدة بلا مقابل

مد أحد السجناء السائرين بجانبهما علبة سجائر للمذيع وقال: خذ.. وقدم للرجل ما يريد..

(المذيع) وهو يقلب العلبة: هذا ليس الصنف الذي أدخنه

(السجين) مخرجاً سكيناً حادة من كمه: يمكنك تجربة شيء جديد أليس كذلك؟

(المذيع) وهو يدفع العلبة في جيبه: هل تظن أنك تخيفني؟

(وسادة) مبعداً نصل السكين بكفه ويقول للسجين الذي يحاول مساعدته: لا داعي لذلك..

(المذيع) لـ (وسادة): هل تعرف الزعتر؟

(وسادة): نعم كنت أتناوله من المخبز المجاور لمنزلي كل يوم قبل أن أحبس

(المذيع): لا يا أحمق.. العشبة وليس الفطيرة

(وسادة): نعم نعم.. ما بها

(المذيع) وقد شارف على الوصول لزنزانته: اخلطها مع بعض الزبدة الحيوانية ليس النباتية وأضف عليها قليلاً من الرماد وأخبر زوجتك بأن تتناول ملعقة من الخليط كل صباح على الريق ليومين فقط

(وسادة): رماد؟.. رماد ماذا؟

(المذيع): رماد أي شيء محروق.. لا يهم.. أو لا.. اجعله رماد حطب إن وجد

(وسادة): فقط هذا؟

(المذيع): نعم.. لا شيء آخر

(وسادة): شكراً.. أنا ممتن لك

(المذيع) وهو يدخل زنزانته: عبر عن امتنانك لي بإحضار علبة سجائر من التي أدخنها بدل النوع الرديء الذي قدمه لي صاحبك

(وسادة) مبتسماً: سأفعل.. شكراً لك مرة أخرى

دخل المذيع زنزانته الضيقة المعدة لشخصين وبها سريران تتوسطهما مغسلة صغيرة. جلس على طرف سريره وأشعل سيجارة من العلبة التي ناولها له السجين وما أن تذوقها حتى تجهم وقال: «مقرفة كمن قدمها..»

رمى المذيع عقب السيجارة على الأرض وخلال ذلك دخل زميله في الزنزانة والذي كان يلقب بـ (كهرب) بسبب نوبات الصرع التي تنتابه من وقت لآخر وأيضاً بسبب حالات الغضب التي تعتريه بدون سبب. جلس (كهرب) على طرف السرير المقابل للمذيع وقال:

«سوف أخرج بعد أسبوعين.. لقد وقع مدير السجن أوراق إطلاق سراحي..»

(المذيع) مخرجاً سيجارة من علبته الخاصة: مبارك

(كهرب): خمس عشرة سنة قضيتها هنا.. لقد نسيت كيف هو العالم الخارجي

(المذيع) وهو يشعل السيجارة: مدة طويلة جداً.. لا تقلق العالم الخارجي غالباً لا يزال كما هو .. مظلماً ومخيفاً..

(كهرب): أنت هنا منذ سنة.. كم سنة محكوم عليك؟

(المذيع): عشر سنوات..

(كهرب): ما الذي اقترفته لتحصل على هذه المدة الطويلة؟

(المذيع): أنت لم تسألني عن ذلك من قبل.. ما الذي تغير اليوم؟.. هل استعدت إنسانيتك مع اقتراب موعد إطلاق سراحك؟

(كهرب) مبتسماً: ربما..

(المذيع): جريمتي الوحيدة هي أني أنصت لضميري الأحمق..

(كهرب): أغلب المساجين هنا محبوسون لأنهم تجاهلوا ضائرهم وليس العكس

(المذيع) وهو يستلقي على الفراش ويحدق بالسقف: كان يجب أن أحذو حذوهم..

صمت الاثنان لدقائق قام فيها (كهرب) بغسل وجهه ومن ثم الاستلقاء هو الآخر على فراشه..

(المذيع) لزميله في الزنزانة دون أن يلتفت إليه: هل تناولت الخليط الذي أخبرتك به؟

(كهرب): لا.. لمَ تريد مني أن أتناول ذلك الخليط المقرف؟

(المذيع): لأنك تزعجني ليلاً بصراخك من تلك الكوابيس.. هذا الخليط سيريحك وسيريحني

(كهرب): لا أريد تناوله.. ولن أتناوله!

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان وهو يحدق بالسقف: إذا لم تفعل فسأخبر الحراس بما تخبئه تحت سريرك وتتعاطى منه كل ليلة وهذا سيؤخر موعد خروجك من هنا

(كهرب) بغضب: لن تجرؤ على ذلك!

(المذيع) بهدوء: جرب.. وسنرى إن كنت أجرؤ أم لا

(كهرب): لم يتبقَّ سوى أسبوعين وستتخلص مني

(المذيع): لن أصبر دقيقة واحدة أخرى.. تناول الخليط بدون جدال

بالرغم من شراسة (كهرب) وعدائيته إلا أنه لم يكن مغفلاً ويعرف مدى قوة علاقة المذيع مع الحراس والتي وطدتها مساعداته لهم ولأقربائهم بتقديم النصائح العلاجية لعلل وأمراض مستعصية عانوا منها فقد أصبح

خلال العام المنصرم مرجعاً للكثير في هذه الأمور ونصائحه لم تخب قط وأي تعرض له سيدفع ثمنه غالياً لذا نهض من مكانه وأخرج العلبة المعدنية التي قدمها له المذيع قبل أيام وطلب منه تناولها وقال: «ألم تفسد؟»

(المذيع): مكونات هذا الخليط لا تفسد.. تناوله دفعة واحدة ولا تشرب بعده ماء لمدة لا تقل عن ساعة

(كهرب): أنا لن أنام الآن..

(المذيع): لا فرق.. تأثيره سيستمر لعدة أشهر.. وقتها تكون قد خرجت وتنتقل المشكلة لمن سيشاركك الفراش

تناول (كهرب) الخليط بتجهم..

(المذيع) مبتسماً: بالهناء والشفاء.. ستنام كالطفل الليلة

حل الليل وأوى الجميع لمضاجعهم وأطفئت الأنوار في الممرات وعم الهدوء أرجاء السجن فيما عدا خطوات بعض الحراس الذين يتجولون من وقتٍ لآخر لتفقد الزنازين. توسد المذيع مخدته مبتسماً وقال محدثاً نفسه بعد ما نام زميله في الزنزانة:

«وأخيراً سأحظى بليلة هادئة.. »

بدأ (كهرب) بالشخير بقوة وبشكل متواصل..

(المذيع) محدثاً نفسه بحسرة: انتهينا من الصراخ وبدأنا بالشخير..

لم يحتمل المذيع ذلك الشخير الذي كان أسوأ من الصراخ حتى بعد ما غطى رأسه بالمخدة فنهض من فراشه حاملاً الوسادة ولطم بها وجه (كهرب) الذي استيقظ بهدوء وقال: ما الذي يحدث؟

(المذيع): ابقَ مستيقظاً حتى أغط أنا في النوم ثم يمكنك العودة للزلزال الذي تحدثه

جلس (كهرب) على طرف سريره وهو يضحك وأشعل سيجارة وبدأ يدخنها بصمت..

(المذيع) مستلقياً على فراشه: ما الذي يضحكك؟

(كهرب) نافخاً بعض الدخان وسارحاً بالقضبان الباردة لزنزانتهما: أضحك عليك وعلى محاولتك تغيير الأقدار.. عالجت صراخي كي تنام لكن شخيري باغتك.. إنها سخرية الحياة..

(المذيع): شخيرك مصيبة وليس قدراً..

(كهرب): لم تفهم قصدي أيها المذيع

(المذيع) ينهض ويجلس على طرف سريره قائلاً: بما أنك ستخرج قريباً أخبرني سبب دخولك من الأساس..

(كهرب): وما سر الاهتمام المفاجئ؟

(المذيع): أنت سألتني عن المدة المحكوم بها علي وأجبتك ومن الواضح كذلك أننا لن ننام الليلة مبكراً بسبب شخيرك لذا تحدث..

(كهرب): ماذا أقول؟.. إنني بريء؟.. إنني لم أقترف شيئاً يستحق أن أسجن كل تلك السنوات؟.. لقد توقفت عن محاولة تبرئة نفسي منذ زمن طويل

(المذيع): حديثك معي الآن ليس لتبرئة نفسك.. مجرد إضاعة للوقت

(كهرب): الوقت الذي ضاع مني خلف تلك القضبان وبين هذه الجدران كافٍ

(المذيع): إذا كنت لا تريد الحديث فلا بأس..

(كهرب): كنت في السابعة عشرة من عمري.... مسافراً ليلاً بالسيارة مع أختي الكبرى.. أحسست بالنعاس ولم أشأ التوقف في ذلك الطريق شبه الخاوي لأخذ غفوة لذا قررت التوجه لأقرب محطة لبيع المحروقات لشراء مشروب طاقة أو قهوة لتجديد نشاطي. رأيت في الأفق ضوءاً على جانب الطريق يقترب مني فأشرت نحوه وقلت لأختي: سوف نتوقف هنا قليلاً..

(الأخت): لماذا؟ .. هل تحتاج للتزود بالوقود؟

- لا لكني أريد أن أبتاع شيئاً من تموينات المحطة

دخلت للمحطة ولاحظت أمراً غريباً.. بل عدة أمور..

لم يكن هناك محل تموينات أو أي مرافق تذكر ولا حتى موظفون يشرفون على عدادات الوقود. لم يكن هناك سوى مبنى صغير كتب عليه «حمام» بخط يدوي صغير على لوحة معلقة بطريقة غير احترافية.

(الأخت): أين الناس؟

- يبدو أن المحطة مغلقة..

(الأخت): هذه المحطات لا تغلق أبداً وكونها منارة بهذا الشكل فلا بد أن هناك موظفاً مسؤولاً عنها

- ربما كان في دورة المياه وسيخرج الآن

(الأخت): معك حق.. لننتظر

- ننتظر ماذا؟.. أنا هنا لأجل مركز التموين فقط ولا أحتاج التزود بالوقود

(الأخت): أنا أريد استخدام دورة المياه

- وما الذي يمنعك؟.. اذهبي وسأكون بانتظارك

(الأخت): ألا ترى أنه لا يوجد دورات مياه مخصصة للنساء.. سأنتظر خروج الموظف لأستخدم الحمام

- نحن لم نتيقن من نظرية أن هناك موظفاً بالداخل.. هذا مجرد تكهن

(الأخت): لننتظر ونرَ..

مضت عشر دقائق كاملة ولم يخرج أحد من دورة المياه فاقترحت على أختي أن أدخل لأتحقق من خلو المكان من عدمه كي تستخدمه ونرحل على الفور.

(الأخت) بقلق: هل ستتركني وحدي؟

- أنتِ ستكونين وحدك عاجلاً أم آجلاً عندما تدخلين دورة المياه

(الأخت) وهي تنظر حولها: نعم.. لكن.. لنبحث عن محطة أخرى.. لا بد وأن هناك واحدة في طريقنا غيرها

- الحمام أمامك وتريدين أن نقطع مسافة مجهولة لمحطة أخرى

(الأخت): المكان غير مريـح..

نزلت من السيارة وقلت لها بنبرة مطمئنة: لن أغيب طويلاً.. سوف أقفل الأبواب عليكِ لا تقلقي

سرت لدورة المياه وطرقت بابها عدة طرقات وأنا أقول: هل يوجد أحد بالداخل؟..

لم أتلقَّ إجابة فنظرت لأختي نظرة سريعة ورأيت التوتر في عينها فتبسمت لها وأدرت المقبض ودخلت. توقعت أني سأدخل للحمام مباشرة لكني فوجئت بأن المكان أكبر مما تصورت فقد رأيت ممراً صغيراً مظلماً بلا إنارة توزعت على جوانبه أربعة أبواب فتحتها جميعاً وكما توقعت كانت مجموعة من الحمامات النظيفة نسبياً فقررت الخروج وطمأنة أختي لاستخدام أيٍّ منها. لكن وقبل أن أتوجه لباب الخروج وجدت رجلاً.. أو كما ظننت في البداية أنه رجل يقف عند مدخل دورة المياه من الداخل.. يحدق بي بصمت. لم أستطع رؤية ملامحه بالكامل لكن جزءاً منها واضح بسبب النور القليل الآتي من الخارج من خلال النافذة الصغيرة التي وقف بجانبها فقلت له بتوتر: «هل أنت موظف المحطة؟»

لم يجبني..

بدأ بالتحرك نحوي..

استعددت للاشتباك معه..

لكنه غير اتجاه سيره ودخل أحد الحمامات وأغلق على نفسه..

خرجت جرياً من المكان..

لم أجد أختي بالسيارة.. فزعت..

كانت أول ردة فعل لي هي بفتح جميع أبواب السيارة وتفتيشها بالكامل وكأني فقدت محفظتي وليس شخصاً بالغاً. لم أكن مصدقاً لما يحدث وبدأت الافتراضات تعصف بعقلي..

لعلها لم تصبر وذهبت لقضاء حاجتها في مكان ما خلف المحطة..

ربما أنها تمزح معي وتحاول إخافتي.. لكن هذا ليس من طبعها.. ما الذي يحدث؟ .. أين أختي؟

شعرت بالعجز والحيرة بعد ما فتشت كل أركان المحطة.. عدت وفتشت دورة المياه ولم أجدها أو حتى ذلك الرجل الغريب.. هل أرحل؟.. هل أبقى بانتظارها؟.. أحتاج إلى قرار سريع فالوقت ليس من مصلحتي.

قررت الاتصال بالشرطة لكن الإرسال كان مفقوداً في تلك المنطقة النائية فتحركت بالسيارة وبدأت بالسير على الخط السريع وتفحص شاشة هاتفي في انتظار برج إرسال واحد أستعين به للاتصال. قطعت مسافة طويلة مبتعداً عن المحطة ولم أحصل على أي إشارة. شعرت بضيق شديد تزايد مع كل كيلومتر قطعته مبتعداً عن المحطة.

رأيت النور عندما رأيت النور..

نقطة تفتيش تظهر لي بالأفق..

الإرسال يعود لهاتفي..

لا داعي للاتصال بالشرطة فهم أمامي الآن..

زدت من تسارع السيارة حتى وصلت إليهم ونزلت منها وأنا أشرح لهم بتوتر وكلام مشوش ما حدث فقال لي أحدهم: سوف ترافقك دورية للمحطة.. لكن حاول الاتصال بأختك فلعلها تجيب عليك ..

رفعت هاتفي وأجريت الاتصال..

الهاتف يرن.. صوت نغمة هاتف أختي يُسمع في الجوار.. إنه قادم من صندوق السيارة.. الشرطي يحدق بي بأعين مصدومة قائلاً: افتح الصندوق..

(المذيع): وماذا وجدتم بالصندوق؟

(كهرب): أختي.. أو ما تبقى منها..

(المذيع): هل هذا هو سبب كوابيسك التي تصرخ منها كل ليلة؟

(كهرب): كيف يجتاز المرء رؤية أشلاء شخص يحبه مكومة أمامه؟

صمت المذيع ولم يُعلق لكن (كهرب) أكمل قائلاً: اتهموني بالطبع بقتلها وحكم علي بالسجن خمسة عشر عاماً لأني قاصر فيما يبدو وقضيت سنة منها في سجن الأحداث ثم تم نقلي هنا لأكمل محكوميتي.. كان يجب أن أنصت لكلامها ولا أتركها وحدها..

(المذيع): لا تلقِ اللوم على نفسك..

(كهرب): لكني ما زلت لا أفهم كيف تمكن منها وهي داخل السيارة وتقرير الشرطة أكد أن السيارة لم تُفتح عنوة وأنها هي من فتحت الباب وخرجت بإرادتها

(المذيع): الشخص الذي رأيته داخل دورة المياه.. صفه لي

(كهرب): كما أخبرتك فأنا لم أرَ كثيراً من تفاصيله.. كان كالخيال.. وبالرغم من مرور كل تلك السنوات إلا أني ما زلت أتذكره جيداً.. أسود ونحيل كعود الثقاب المحترق..

(المذيع): هل رأيت عينيه؟

(كهرب): غريب أن تذكر هذا الأمر.. نعم رأيتهما.. أكثر شيء لفت انتباهي فيه هو عيناه .. صفراوان لامعتان.. سوادهما صغير.. كعيون القطط

(المذيع): هل سترتاح لو علمت حقيقة ما حدث لأختك ومن هو قاتلها؟

(كهرب): بعد كل هذه السنين؟.. لا أظن.. لقد فقدت إيماني . بكل شيء وعلى رأسها الحقيقة.. كنت أعتقد أن الحياة أبسط من ذلك..

(المذيع): من المريح أن نضع نصب أعيننا بعض الثوابت المطمئنة ونتعامل معها كمسلمات لن تتغير وغير قابلة للنقض.. الكلاب تكره القطط.. الأرانب تحب الجزر.. القردة تعشق الموز.. الفئران تفضل الجبن.. كل هذه مسلمات بالنسبة لمعظمنا بالرغم من أنها علمياً غير صحيحة إلا

أن كثيراً من الناس يتعاملون معها كحقائق ولا يقبلون أن يصححها لهم أحد.

(كهرب): ماذا تريد أن تقول؟

(المذيع): إننا لا نعرف شيئاً على الإطلاق وجهلنا هذا نعمة عظيمة..

مضى الأسبوعان وحان موعد خروج (كهرب) للعالم الخارجي مرة أخرى وخلال توديعه للمذيع في باحة السجن قال وهو يفك عناقه: هل تريد شيئاً من العالم الخارجي؟

(المذيع) وهو يبتسم: أن يتركني وشأني.. هل تستطيع تحقيق ذلك؟

(كهرب) ضاحكاً: سأكتفي بإرسال بعض علب السجائر لك

(المذيع) مبتسماً: هذا سيكون كافياً.. رافقتك السلامة

سار (كهرب) نحو مبنى السجن ودخل لينهي إجراءات خروجه..

أشعل المذيع سيجارة وبدأ بتدخينها بصمت وهو يراقب المساجين بالباحة وبينما كان يدخن اقترب منه الحارس الضخم وقال: كيف حالك اليوم؟

(المذيع): بخير.. هل من جديد؟

(الحارس): لا يستجد شيء في هذا المكان إلا المصائب

يكمل المذيع تدخينه مبتسماً لدقائق ثم يقول: هل من الممكن أن تتركوني وحدي بدون رفيق في الزنزانة بعد ما أطلق سراح (گهرب)؟

(الحارس) وهو يأخذ السيجارة من يد المذيع: تعرف أن هذا مخالف لقوانين السجن.. لا أستطيع مساعدتك في هذا الأمر

(المذيع): لا بأس.. من هو زميلي الجديد ؟

(الحارس) نافخاً سحابة من الدخان: القرار عند مأمور السجن لكننا سنعرف بنهاية اليوم

(المذيع) مستعيداً سيجارته من يد الحارس: المهم أن لا يشخر أو يصرخ خلال نومه

(الحارس) ضاحكاً: لا أضمن لك ذلك..

انتبه المذيع خلال سرحانه في المساجين المتجولين في الباحة لسجين لم يرَه من قبل فقال للحارس وهو يشير إليه بيده الحاملة للسيجارة: من هذا؟

(الحارس): أحد المساجين الجدد.. وصل اليوم مع الدفعة الصباحية

(المذيع) وهو يأخذ نفسًا من سيجارته: ما تهمته؟

(الحارس): قتل مجموعة من الأطفال إن لم تخني الذاكرة

- (المذيع): جريمة بشعة .. هيئته لا تدل على أنه يمكن أن يقوم بأمر كهذا

(الحارس) مغيراً محور الحديث: بالمناسبة.. كنت أطلع على قوائم الزوار اليوم ورأيت أن اسمك مدون على القائمة

(المذيع): ماذا؟.. هل تقصد أن هناك من يريد زيارتي؟

(الحارس): نعم..

(المذيع) بتعجب: أنا لم أتلقَّ زيارة واحدة منذ دخولي هنا..

(الحارس): ربما يكون أحد أقربائك

(المذيع) رامياً عقب السيجارة تحت قدمه: لا أحد من أقربائي الأحياء تربطني به علاقة قوية.. هل أستطيع رفض مقابلته؟

(الحارس): هذا من حقك لكن لا أنصحك بذلك

(المذيع) ملتفتاً على الحارس: لمَ؟

(الحارس) وهو يراقب المساجين: الزيارة تبدو مهمة أو من جهة رسمية لأن مكان اللقاء بينك وبينه محدد في مكتب مأمور السجن وليس غرف الزيارة المعتادة

(المذيع): وماذا يعني ذلك؟

(الحارس): لعل هناك تطوراً في قضيتك وهذا الزائر من جهة مسؤولة ويريد نقل الخبر إليك شخصيّاً..

صمت المذيع وأشعل سيجارة أخرى وبدأ بتدخينها..

(الحارس): قابله.. لن تخسر شيئاً..

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان: متى موعد هذه الزيارة؟

(الحارس): بعد انتهاء فترة التجول في الباحة.. سوف أعود لأخذك لمكتب مأمور السجن عندما يحين الوقت..

يشاهد المذيع في الأفق المسجون الجديد وهو يتعرض للكمة قوية من أحد المساجين يسقط على أثرها أرضاً..

(المذيع) وهو يهم بالسير نحوه ويقول للحارس: حسناً سنلتقي بعد ما يُطلق إنذار العودة للزنازين..

بعد ما يقارب نصف الساعة أطلق الإنذار معلناً عن انتهاء فترة التجول في باحة السجن وبدأ المساجين بالتوجه لباب المبنى للعودة لزنازينهم ومن بينهم المذيع الذي استقبله الحارس الضخم قائلاً: هل أنت مستعد؟

(المذيع): تتحدث وكأني متوجه لغرفة الإعدام.. هو لقاء قصير وسينتهي

(الحارس) مبتسماً: هيا بنا إذاً

أوصل الحارس المذيع لمكتب مأمور السجن الذي كان فارغاً وقتها وطلب منه الجلوس عند مكتبه والانتظار.

(المذيع): هل سيطول الأمر؟

دخل مأمور السجن قبل أن يجيب الحارس وقال له: شكراً.. يمكنك الانصراف

خرج الحارس وأغلق الباب خلفه..

جلس المأمور وقال وهو يبحث بين الأوراق على سطح مكتبه: كيف حالك؟

(المذيع): بخير..

(المأمور) وهو لا يزال يبحث بين الأوراق: كيف كانت إقامتك عندنا خلال العام الذي قضيته معنا؟

(المذيع) بتهكم: خدمة الغرف يمكن أن تكون أفضل..

توقف المأمور عن البحث في الأوراق ووجه نظره لثوانٍ للمذيع ثم التقط ملفّاً ونهض وخرج من المكتب.

(المذيع) محدثاً نفسه: ما الحكاية؟

لم يمضِ وقت طويل حتى دخل رجل عليه وجلس أمامه واضعاً ساقاً على ساق مبتسما.

(المذيع): ومن تكون أنت؟

- كيف حالك؟

(المذيع): ما حكايتكم مع «حالي» اليوم؟.. بخير بخير

- لندخل في الموضوع مباشرة

(المذيع): يستحسن ذلك

- أنا جزء من منظمة يهمها أمرك.. منذ أن بدأ برنامجك «هذا ما حدث معي» ونحن مهتمون بطرحك ونتابعه باستمرار

(المذيع): شكراً.. هل أتيت لتحصل على توقيعي؟

- أتيت لضمك..

(المذيع): ضمي لمن؟

- لمنظمتنا. .

(المذيع) بتهكم: بإذن الله عندما أخرج بعد تسع سنوات يمكنك تقديم عرضك للانضمام لإذاعتكم

- نحن لسنا جهة إعلامية

(المذيع): ماذا إذاً؟

- يمكن أن تعتبرنا جهة أمنية نوعاً ما

(المذيع): أمنية؟

- زميلك الجديد في الزنزانة سيحاول قتلك الليلة..

(المذيع): أنا لا أعرفه ولم أقابله بعد

لقد تمت الترتيبات كي يكون رفيقك في الزنزانة قاتلاً مرسلًا لك

(المذيع): مرسل من قبل منظمتكم؟

- نحن هنا لإنقاذك ..

(المذيع): إنقاذي مِن مَن؟

- من الذين نطاردهم ونلاحقهم يوميّاً وأنت كنت أحد أسباب كشفهم دون أن تشعر.. برنامجك اختصر علينا الكثير وهذا الأمر أزعجهم

(المذيع): أزعج من؟.. تحدث بوضوح

- مثلما تريد منظمتنا تجنيدك في صفوفها لأنها ترى فيك فائدة كبيرة لها ولتوجهاتها هناك منظمة أخرى موازية لنا ترى أن ما تقوم به مضر لها ولمخططاتها وتريد إسكاتك.. وللأبد

(المذيع): أنا لم أفهم كلمة مما تقول..

- ستعرف كل شيء بعد خروجك معي من هنا

(المذيع) ضاحكاً: للتذكير فقط.. أنا محبوس وما زال بقي الكثير حتى أرى النور

- موافقتك على الانضمام لنا هي مفتاح خروجك.. ما قولك؟

(المذيع): هل تقصد أنك تستطيع إخراجي من هذا المكان؟

- نعم.. اختر مصيرك.. الخروج من هنا كعضو في منظمتنا أم الموت الليلة في فراشك على يد القاتل المرسل إليك؟

(المذيع): حتى لو وافقت فلن تستطيع إخراجي من هنا اليوم، المسألة تستلزم إجراءات طويلة ومبيتي في فراشي الليلة أمر مهرب منه

- اترك الأمر لنا.. أعطني إجابة الآن

(المذيع): وما المطلوب مني في هذه المنظمة؟

- لا شيء.. فقط أن يستمر برنامج «هذا ما حدث معي»..

(المذيع): تتحدث وكأن مصير البرنامج بيدي

- سيكون بيدك وستكون مالك المحطة بأكملها..

(المذيع) بتعجب: أنت تتحدث بثقة غريبة

- وافق وسترى إلى أي مدى أستطيع دعم كلامي بأفعال..

(المذيع): سأوافق لسبب واحد فقط وهو أنني مقتنع أنك تهرطق

وقف الرجل مبتسماً وفتح الباب ليرى مأمور السجن يقف خلفه منتظراً ويقول: هل وافق؟

(الرجل) وعينه على المذيع وقبضته على مقبض الباب: نعم.. سوف نرحل معاً الآن..

أشار مأمور السجن للمذيع بأن ينهض ويخرج مع الرجل وهو منبهر بما يحدث..

وقف المذيع وسار حتى وصل للرجل ثم توقف وقال له: من أنتم؟

(الرجل): نحن «المستشارون» وأنت منذ اليوم واحد منا وستعمل معنا ولمصلحتنا..

.. بعد عدة أشهر ..

يوم الجمعة.. منتصف الليل..

يجلس المذيع خلف طاولته استعداداً لبث الحلقة الأولى من برنامج «هذا ما حدث معي..» بعد انقطاعٍ طويل..

تدخل عليه معدة البرنامج وتمد يدها له قائلة: مرحباً يا سيدي وعوداً حميداً

(المذيع) وهو يضع السماعات على أذنيه بعد مصافحتها: سيدك؟

(المعدة) خلال جلوسها أمامه عند لوحة استقبال المكالمات: أنت مدير المحطة ومالكها الآن وهذا لقبك

(المذيع) مشعلاً سيجارة: إذاً سنتبع سياسة جديدة بالبرنامج

(المعدة): تفضل يا سيدي..

(المذيع) نافخاً سحابة من الدخان: نبهي على المتصلين أن لا يعرفوا بأنفسهم بأسمائهم.. ستكون الاتصالات مباشرة بدون تعريف

(المعدة) وهي تلبس سماعتها: حاضر

(المذيع): وهناك أمر آخر..

(المعدة): تفضل

(المذيع): سوف أقدم استشارة وحلولاً لكل من يريد..

(المعدة) مبتسمة: أمرك

(المذيع) وهو يبادلها الابتسام: لنأخذ أول اتصال..

يمكنكم متابعة البرنامج في الإصدار الخاص من سلسلة «صخب الخسيف»

هذا ما حدث معي

■■

«هذا أغرب اتصال تلقيته في حياتي.. »

المذيع

الروائي

أسامة المسلم

الأحجية الأخيرة

رجل يدخل غرفة ويجلس على أريكة ويقرأ كتاباً..

يتجهم معظم الوقت خلال قراءته..

يغلقه عند انتهائه ويقول متأففاً:

«هذا أسوأ كتاب قرأته في حياتي»

يخرج بعدها متجهماً من الغرفة...

تدخل امرأة بعده وتجلس على الأريكة نفسها وتقرأ الكتاب نفسه..

تبكي ثم تبتسم خلال القراءة ثم تغلقه وتحتضنه قائلة:

«من أجمل ما قرأت»

تخرج سعيدة ومبتهجة..

يدخل فتى بعدها ويمسك بالكتاب دون الجلوس على الأريكة ويبدأ بقراءته

يضحك أوله ويشعر بالعجب مع اقتراب نهايته..

يضعه وهو يهز رأسه باسماً بعد الانتهاء منه ويخرج دون أن يقول شيئاً..

يبقى الكتاب سنة مكانه دون أن يقرأه أحد..

يدخل رجل كهل ويمسك الكتاب نافخاً عنه الغبار ويلبس نظارته ذات العدسات المستديرة الصغيرة ثم يجلس واضعاً

ساقاً على ساق ويبدأ بالقراءة بوجه خالٍ من التعابير..

ابتسم مرة في منتصف الكتاب فقط..

انتهى من القراءة وأغلق الكتاب ووضعه في حجره..

بقي جالساً على الأريكة يفكر ولم يرحل على الفور..

بعد أقل من ساعة نهض ووضع الكتاب على الأريكة وخرج..

بعدها بأيام دخلت أنت وفتحت الكتاب وبدأت القراءة وشارفت على الانتهاء منه وستغلقه بعد قليل..

أعرف أنه لا يوجد سؤال مباشر.. لكن..

.. هل تعرف الإجابة؟

أرسلها لي هنا إذا تمكنت من حل الأحجية فأنا أبحث عنه:

osamahalmuslim@twitter.com

osamahalmuslim@instigram.com

Snapchat: Komontage

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

ميساء طه.
أشرف غالب.


ما نفع الحرية في هذا العالم
وأنت حبيس أوهامك ..؟
أوهام تملئ رأسك وتخبرك
أنها الحقيقة الغير قابلة للخطأ.
غشاوة سميكة تحكم قبضتها
على أبصارنا ومعلمنا يرفض
بشراسة ويدفع كل من يحاول
الاقتراب منا لإزالتها ..
حتى بتنا لا نبصر الطريق ..
نفق أسود
نصبنا فيه الخيام
ولا ننوي الرحيل عنه
في القريب العاجل .